

الْفَصْلُ

فِي الْمَلِكِ، وَالْإِهْوَاءِ وَالنَّحْسِ

نَدَامَا بِهَيْزَمِ الظَّاهِرِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمُرْتَضَى

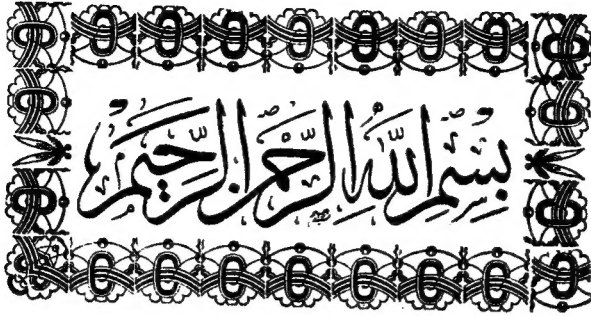
وَمَكَامُشُهُ

الْمَلِكِ النَّحْسِيِّ الشَّيْخِ سَيِّدِ الْمُلُوكِ فِي سَنَةِ ٥٤٨ هـ

الجزء الخامس

مكتبة السلام العالمية

٣٢ من الفلكي ت ٣١٠٧٣



﴿المعاني التي يسميها اهل الكلام اللطائف والكلام في السحر﴾
 (وفي المعجزات التي فيها احالة الطباع يحوز واحدها لغير الانبياء أم لا)

﴿قال ابو محمد﴾ ذهب قوم الى ان السحر قلب للاعيان واحالة للطباع وانهم يرون (١) اعين الناس مالا يرى واجازوا للصالحين على سبيل كرامة الله عز وجل لم اختراع الاجسام وقلب الاعيان وجميع احالة الطباع وكل معجز للانبياء عليهم السلام ورأيت لمحمد ابن الطيب الباقلاني ان الساحر يمشي على الماء على الحقيقة وفي الهواء ويقلب الانسان حمارا على الحقيقة وان كل هذا موجود من الصالحين على سبيل الكرامة وانه لافرق بين آيات الانبياء وبين ما يظهر من الانسان الفاضل ومن الساحر أصلا الا بالتحدى (٢) فان النبي يتحدى الناس بان ياتوا بمثل ما جاءه هو به فلا يقدر أحد على ذلك فقط وان كل مالم يتحد به النبي صلى الله عليه وسلم الناس فليست آية له وقطع بان الله تعالى لا يقدر على اظهار آية على لسان متنبئ كاذب وذهب اهل الحق الى انه لا يقرب احد عينا ولا يحيل طبيعة الا الله عز وجل لانبيائه فقط سواء تحدوا بذلك أو لم يتحدوا وكل ذلك آيات لهم عليهم الصلاة والسلام تحدوا بذلك ام لا والتحدى لامعنى له وانه لا يمكن وجود شيء من ذلك لصالح ولا لساحر ولا لاحد غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام والله تعالى قادر على اظهار الآيات على ايدي الكذابين المدعين للتبوة لكنه تعالى لا يفعل كما لا يفعل مالا يريد ان يفعله من سائر ما هو قادر عليه

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره برهان ذلك قوله عز وجل * وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته * وقال عز وجل . وعلم آدم الاسماء كلها . وقال تعالى . انما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون : فصيح ان كل ما في العالم مما قدرته الله عز وجل الترتيب الذي لا يتبدل وصح ان الله عز وجل اوقع كل اسم على مسماه فلا يجوز ان يوقع اسم من تلك الاسماء على غير مسماه الذي اوقمه الله تعالى عليه لانه كان يكون تبديلا لكلمات الله تعالى التي ابطال عز وجل ان تبدل ومنع من ان يكون لها مبدل ولو جاز ان تحال صفات مسمى منها التي بوجودها فيه استحق وقوع ذلك الاسم عليه لوجب ان يسقط عنه ذلك الاسم الذي اوقمه الله تعالى عليه فاذا ذلك كذلك فقد وجب ان كل ما في العالم مما قدرته

(١) يرون بضم أوله فتانيه اى يشبهون على اعين الناس فيرونهم من الاشياء المتخيلة ما ليس برئي على الحقيقة
 (٢) التحدى طلب المعارضة وأصله من تمارى الحاديين في الحداء ومعارضة كل منهما لآخر فيه ويقال تحدثت فلانا اذا باريته ونازعه الغلبة وهو في عرف المتكلمين عبارة عن قول النبي اية صدقي كذا مصححه

الله على ما هو عليه من فصوله الذاتية وأنواعه وأجناسه فلا يقبل شيء منه قطعا الا حيث قام البرهان على تبديله وليس ذلك الاعلى احد وجهين اما استحالة معبودة جارية على رتبة واحدة وعلى ما بنى الله تعالى عليه العالم من استحالة المني حيوانا والنوي والبزور شجرة ونباتا وسائر الاستحالات المعهودات واما استحالة لم تعهد قط ولا بنى الله تعالى العالم عليها ولذلك قد صح للانبياء عليهم السلام شواهد لهم على صحة نبوتهم وجود ذلك بالمشاهدة ممن شهدهم وثقله الى من لم يشاهدهم بالتواتر الموجب للعلم الضروري فوجب الاقرار بذلك وبقي ما عدا أمر الانبياء عليهم السلام على الامتناع فلا يجوز البتة وجود ذلك لامن ساحر ولا من صالح بوجه من الوجوه لانه لم يقدّم برهان بوجود ذلك ولا صح به نقل وهو ممتنع في العقل كما قدمنا ولو كان ذلك ممكنا لاستوى الممتنع والممكن والواجب وبطلت الحقائق كلها ولكن كل ممتنع ومن لحق هاهنا لحق بالسوفسطائية على الحقيقة ونسال من جاوز ذلك للساحر والفاضل هل يجوز لكل احد غير هذين ان لا يجوز الا لهذين فقط فان قال ان ذلك للساحر والفاضل فقط وهذا هو قولهم سالنا عن الفرق بين هذين وبين سائر الناس ولا سبيل لهم الى الفرق بين هؤلاء وبين غيرهم الا بالدعوى التي لا يجوز عنها احد وان قالوا ان ذلك جائز ايضا لغير الساحر والفاضل لحقوا بالسوفسطائية حقا ولم يشعروا حقيقة وجاز تصديق من يدعى أنه يصعد الى السماء ويرى الملائكة وانه يكلم الطير ويمتحن من شجر الخروب التمر والبناب وان رجلا حملوا وولدوا وسائر التخليط الذي من صار اليه وجب ان يعامل بما هو اهله ان امكن اوان يمرض عنه لجنونه وقلة حياته

وقال ابو محمد **﴿﴾** لافرق بين من ادعى شيئا مما ذكرنا لفاضل وبين دعوى الرافض ترد الشمس على بن ابي طالب مرتين حتى ادعى بعضهم ان حبيب بن اوس قال

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

نضاضوها صنغ الدجنة وانطوي * لبهجتها فوق السماء المرجع

فوالله ما ادري على بدلنا * فردت له ام كان في القوم يوشع

وكذلك دعوى النصراني لرهبانهم وقدمائهم فانهم يدعون لهم من قلب الاعيان اضما فاما يدعيه هؤلاء وكذلك دعوى اليهودي لاحبارهم ورؤس الثايب عندهم ان رجلا منهم رحل من بغداد الى قرطبة في يوم واحد وانه اثبت قرنين في رأس رجل مسلم من بني الاسكندراني كان يسكن بقرطبة عند باب اليهود وهذا كله باطل موضوع وبني الاسكندراني كانوا اقواما اشرفا معروفين لم يعرف لاحد منهم شيء من هذا والحماقة لاحد لما وهذا برهان كاف لمن نصح نفسه

وقال ابو محمد **﴿﴾** واما السحر فانه ضروب منه ما هو من قبل الكواكب كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في المقرب فينفع امساكه من لدغة العقرب ومن هذا الباب كانت الطلسمات وليست احالة طبيعة ولا قلب عين ولكنها قوى ركبها الله عز وجل مدافعة لقوى اخر كدفع الحر للبرد ودفع البرد للحر وكقتل القمر للدابة الدبرة اذا لاقى الدبرة ضوءه اذا كانت دبرتها (١) مكشوفة للقمر ولا يمكن دفع الطلسمات لا تناقد شاهدنا أنفسنا آثارها ظاهرة الى الآن من قرى لا تدخلها جراد ولا يقع فيه برد وكسرى قسطه التي لا يدخلها جيش الا ان يدخل كرها وغير ذلك كثير جدا لا ينكره الامعان وهى اعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة وانقطع من العالم ولم يبق الا آثار صناعاتهم فقط ومن هذا الباب كان ما تذكره الاوائل في كتبهم في الموسيقى وانه كان يؤلف به بين الطبايع ويتأفر به ايضا بينها ونوع آخر (١) الدبرة بالتحريك فرحة الدابة والبعر من دبر البعير يدبر كفرح فهو دبر وأدبر والاني دبرة كفرحه دبراه كمشواه

من السحر يكون بالرقى (١) وهو كلام مجموع من حروف مقطعة في طوابع معروفة ايضا يحدث لذلك التركيب قوة تستثار بها الطبائع وتدافع قوى آخر وقد شاهدنا وجربنا من كان يرقى الدمع الحاد النوى الظهور في أول ظهوره فيبديس يبدأ من يومه ذلك بالذبول ويتم ينسه في اليوم الثالث ويقلع كما تقلع قشرة القرحة اذا تم يسها جربنا من ذلك مالا نحصىه وكانت هذه المرأة ترقى احد دملين قد دفعا على انسان واحد ولا ترقى الثاني فيبديس الذي رقت ويتم ظهور الذي لم ترق ويلقى حامله منه الاذى الشديد وشاهدنا من كان يرقى الورم المعروف بالخنزير فيندمل ما يفتح منها وبذبل مالم يفتح وبرأ كل ذلك البرء التام كان لا يزال يفعل ذلك في الناس والدواب ومثل هذا كثير جدا وقد اخبرنا من خبره عندنا كشاهدتنا لثقتهم وتجربتنا لصدقه وفضله انه شاهد مالا يحصى نساء يتكلمن على الذين يمحضون (٢) الزبد من اللبن بكلام فلا يخرج من ذلك اللبن زبد ولا فرق بين هذين الوجهين وبين ملافة فضلة الصفراء بالسقمونيا وملافة ضعف القلب بالكندر وكل هذه المعاني جارية على رتبة واحدة من طلب علم ذلك أركه ومنه ما يكون بالخاصة كالخبر الجاذب للحديد وما شبه ذلك ومنه ما يكون لطيف يد كحيل ابي العجائب التي شاهدناها الناس وهي اعمال لطيفة لا تحيل طبعا اصلا

وقال ابو محمد وكل هذه الوجوه التي ذكرناها ليست من باب معجزات الانبياء عليهم السلام ولا من باب ما يدعيه اهل الكذب للسحرة والصالحين لان معجز الانبياء هو خارج عن الرتب وعن طبائع كل مافي العالم وعن بنية العالم لا يجري شيء من ذلك على قانون ولا على سنن معلوم لكن قلب عين واحالة صفات ذاتية كشق القمر وخلق البحر واختراع طعام وماء وقلب العصا حية واحياء ميت قد أرم وأخراج ناقته من صخرة ومنع الناس من يتكلموا بكلام مذكور أو من ان يأتوا بمثله وما اشبه هذا من احالة الصفات الذاتية التي بوجودها تستحق الاسماء ومنها تقوم الحدود وهذا يعينه هو الذي يدعيه المبطلون للساحر والفاضل

(قال ابو محمد) وانما يلوح الفرق جدا بين هذين السبيلين لاهل العلم بحدود الاسماء والمسميات وطبائع العالم وانقسامه من مبدئه من اجناس اجناس الى انواعه الى اشخاصه وما هو من اعراضه ذاتي وما هو منها غيري وما يسرع الاستحالة والزوال من الغيري منها وما يبطيء زواله منها وما يثبت منها ثبات الذاتى وان لم يكن ذاتيا والفرق بين البرهان وبين ما نظن انه برهان وليس برهانا والحمد لله على ما وهب وانعم به علينا لا اله الا هو حدثنا محمد بن سعيد بن يبياتي ثنا احمد بن عبد البصير قال ثنا قاسم بن أصبغ ثنا محمد بن عبد السلام الحشني ثنا محمد بن المثني ثنا عبد الرحمن ابن مهدي ثنا سفيان الثوري عن ابي اسحاق الشيباني عن بشير بن عمرو قال ذكر الفيلا في عند عمر بن الخطاب فقالوا انهم يتحولون فقال عمر انه ليس احد يتحول عن خلقه الذي خلق له ولكن لهم سحرة كسحرتكم فاذا خشيتهم شيئا من ذلك فاذنوا فهذا

(١) الرقى بضم ففتح جمع رقية بضم فسكون وهي العود التي يرقى بها الحموم أو المصروع او نحوها من ارباب الافات وقد جاء في بعض الاحاديث جوازها وفي بعضها النهى عنها ومن الجواز قوله استرقوا لها فان بها النظرة اي طالبوا لها من يرقىها ومن النهى عنها قوله لا يسترقون ولا يكتنون وعلى ربهم يتوكلون ووجه الجمع بين الاحاديث ان الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان وبغير اسماء الله تعالى وكلامه وان يعتقد أنها نافعة فيتكل عليها ولا يكره منها ما كان بالرقى المروية من غير أن يعتقد فيها تأثيرا أو نفعا م مصححه

(٢) يمحضون بفتح عين الفعل وكسرها وضمها ثلاث لغات من محض اللبن يمحضون محضاسا فهو ممحوض ومغيض أخذ زبده

عمر رضى الله عنه يطل احواله الطوائع وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين كثيرا وقد نص الله عز وجل على ما قلنا فقال تعالى * فاذا جبالهم وعصبيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى * فاخبر تعالى ان عمل أولئك السحرة انما كان تخيلا لا حقيقة له وقال تعالى * انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى * فاخبر تعالى انه كيد لا حقيقة له فان قيل قد قال الله عز وجل * سحرُوا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم * قلنا نعم انها حيل عظيمة واثم عظيم اذ قصدوا بها معارضة معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم كادوا عيون الناس اذ أوهموهم ان تلك الجبال والمعصي تسعى فاتفقت الايات كلها والحمد لله رب العالمين وكان الذى قدر ممن لا يدري حيلهم من انها تسعى ظنا أصله اليقين وذلك انهم رأوا صفة حيات رقط (١) طوال تضطرب فسارعوا الى الظن وقدرروا انها ذوات حيات ولوا منموا الظن وفتشوها لوتفوا على الحيلة فيها وانما ملئت زئبقا ولدا فيها تلك الحركات كما يفعل المجاني الذي يضرب بسكينة فى جسم انسان فيظن من رآه ممن لا يدري حيلته ان السكين غاصت فى جسد المضروب وليس كذلك بل كان نصاب السكين مثقوبا فقط فغاصت السكين فى النصاب وكاد خاله خيطا فى حلقة خاتم يمسك انسان منهم طرفى الخيط بيديه ثم ياخذ المجاني (٢) الخاتم الذى فيه الخيط بفيه وفى ذلك المقام ادخله تحت يده وكان فى فيه خاتم اخرى يرى من حضر حلقة الخاتم الذى فى فيه يوههم انه قد أخرجه من الخيط ثم يرد فيه الى الخيط ويرفع بيده وقد ينظر الخاتم الذى كان فيه الخيط وكذلك سائر حيلهم وقد وقفنا على جميعها فهذا هو معنى قوله تعالى سحرُوا عيون الناس وأسترهنوم أى انهم أوهمو الناس فيما رأوا وظنونا متوهمة لا حقيقة لها ولو فتشوها للاح لهم الحق وكذلك قوله تعالى * فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء و زوجته * فهذا أمر ممكن يفعله التمام وكذلك ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم فولد ذلك عليه مرضا حتى كان يظن انه فعل الشئ وهو لم يفعله فليس فى هذا أيضا احواله الطبيعية ولا قلب عين وانما هو تأثير بقوة تلك الصناعة كما قلنا فى الطلسمات والرقى فلا فرق ونحن نجد الانسان يسب أو يقابل بحركة يفضب منها فيستحيل من الحلم الى الطيش وعن السكون الى الحركة والنزق حتى يقارب حال المجانين أو ربما أمرضه ذلك وقد قال عليه السلام ان من البيان لسحرا لان من البيان ما يؤثر فى النفس فيثيرها او يسكنها عن ثورانها ويحيلها عن عزماتها وعلى هذا المعنى استعملت الشعراء ذكر سحر اليون لا ستماتها للنفوس فقط

(١) قال ابو محمد * ويقال لمن قال ان السحر يحيل الاعيان ويقلب الطوائع اخبرونا اذا جاز هذا فافى فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم والساحر ولعل جميع الانبياء كانوا سحرة كما قال فرعون عن موسى عليه السلام * انه لكبيركم الذى علمكم السحر . وان هذا المكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلهما . واذا جاز ان يقلب سحرتموسى عليه السلام وعصبيهم واجبالهم حيات وقلب موسى عليه السلام عصاه حية وكان كلا الامرين حقيقة فقد صدق فرعون بلاشك فى انه ساحر مثلهم الا انه أعلم منهم به فقط وحاشا لله من هذا بل ما كان فعل السحرة الا من حيل ابى العجائب فقط فان لجؤا الى ما ذكره الباقى من التحدى قيل لهم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدى فى كون آية النبي آية دعوى كاذبة سخيفة لا دليل على صحتها الا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من اجماع ولا من قول صاحب ولا من حجة عقل ولا قال بهذا احد قط قبل هذه الفرقة الضعيفة وما كان هكذا فهو فى غاية السقوط والمجته قال الله عز وجل . قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . فوجب

(١) رقط جمع رقطاء كحمر وحمره والرقطة كالحرة سواد يشوبه نقط يابض

(٢) المجاني ما يسمى فى عرف اهل مصر بالحاوى

ضرورة ان من لا برهان له على صحة قوله فهو كاذب فيها غير صادق وثانيها . انه لو كان ما قالوا لسقطت اكثر آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم كنبهان الماء . من بين اصابعه واطعامه المئين والشرات من صاع شعير وعناق (١) ومرة اخرى من كسر ملفوفة في خمار وكشفه في العين فجاشت بماء غزير الى اليوم وحين الجذع وتكليم الدراع وشكوى البعير والذئب والاخبار بالقبوب وتمر جابر وسائر معجزاته العظام لانه عليه الصلاة والسلام لم يتحد بذلك كله احد ولا عمله الا بحضرة اهل اليقين من اصحابه رضى الله عنهم ولم يبق له آية حاشا القرآن ودعاء اليهود الى تمنى الموت (٢) وشق القمر فقط وكفى تحسا بقول أدى الى مثل هذا فان ادعوا انه عليه السلام تحدى بهام من حضرو غاب كذبوا واخترعوا هذه الدعوى لانه لم يأت في شيء من تلك الاخبار انه تحدى بها احدا وان تمادوا على ان كل هذه ليست معجزات ولا آيات اكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اذ فعل ذلك اشهد انى رسول الله والثالث وهو البرهان الدافع وهو قول الله تعالى . واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون . وقوله . وما معننا نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون . فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبة من الانبياء عليهم السلام آيات ولم يشترط عز وجل في ذلك تحديا من غيره فصح ان اشترط التحدى باطل محض وصح انها اذا ظهرت فهي آية كان هنالك تحدى أو لم يكن وقد صح اجماع الامة (٣) المتيقن على ان الآيات لا باتى بها ساحر ولا غير نبى فصح ان المعجزات اذا هي آيات لا تكون اساحرو ولا احديس نبيا والرابع انه لو صح حكم التحدى لكان حجة عليه لان التحدى عندم يوجب ان لا يقدر على مثل ذلك احد اذ لو امكن ان يوجد مثل ذلك من احد لكان قد بطل تحديه وقيل له قد وجد من يعمل مثل عملك هذا اما صالح واما ساحر والخامس انه لو كان ما قالوا وجاز ظهور معجزة من ساحر لا يتحدى بها او فاضل لا يتحدى بها لا يمكن ان يتحدى لها بها بعد موتها من ضل فيها كافلت الغلاة بلى رضى الله عنه فعلى كل حال قولهم ساقطوا الحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) وامان ادعى انه يشبه الساحر على العيون فيريهم ما لا يرى فان هذه الطائفة لم تكذب بالكفر بابطال النبوات اذ لعل ما اتى بالنبي ﷺ كان تشبيها على العيون لاحقيقة له حتى رامت ابطال الحقائق كلها اولها عن اخرها ولحقت بالسوفسطائية لحاقا صحيحا بلا تكلف ويقال لهم اذا جاز ان يشبه على العيون حتى يرى المشبه عليها ما لا حقيقة له ولا تراه فما يدريك لعلكم تكلمكم الا ان مشبه على عيونكم ولعل بعض السحرة قد شبه عليكم فانكم انكم تتوضئون وتصلون واتم لا تفعلون شيئا من ذلك ولعلكم تظنون انكم تزوجتم وانما في بيوتكم ضان ولا معزول لعلكم الا ان على ظهر البحر ولعل

(١) الحناق الانثى من اولاد المعز وهو بفتح العين المهمة

(٢) أى فى قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صاقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايهم فقد تحدام النبي صلى الله عليه وسلم بطلب الموت ودعاهم الى تمنيه فلم يقع منهم ذلك لانهم لو تمنوه لنقل اليها ذلك كما غيره من الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب اكثر من غيرهم وهذا من المعجزات لانه اخبار بالغييب اه مصححه

(٣) مذهب المتكلمين أن المعجزة أمر خارق للمادة أى ليس وقوعه من المعتاد كالسحر وما يوجد فى بعض الاشياء من القوى المؤثرة وفى بعض الاجسام من الخواص يفعلها الله سبحانه وتعالى مقارنا لدعوى الرسالة متحدى به من الرسول كاحياء الموتى وقلب العصا حية وابراء الاكمه والابرص فان ذلك وامثاله مما يفعله الله سبحانه عند دعوى الرسالة مقرونا بالتحدى ومن أئمة المتكلمين من ذهب الى جواز وقوع الامر الخارق على يد الولي لكن لاعتقاده منه واختيار وقوعه ومنهم من ذهب الى ان كل ما وقع من الخوارق لنبي لا يقع كرامة لولى ومنهم من صرح بمنع وقوع الخوارق مطلقا سواء كانت معجزة لنبي ام لا على يدولى وهذا ما ذهب اليه ابن حزم من أن احالة الطوائع (قال وتبدل الاعيان لا يقع على يد ساحر ولا على يد عبد صالح اه مصححه

كل ما يعتقدون من الدين تشبيه عليكم وهذا كله لا يخلص لهم منه وقد عاب الله عز وجل من ذهب الى هذا فقال * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون * فلو جاز ان يكون للسحر حقيقة ويشبه ما يأتي به الانبياء عليهم السلام وامكن ان يشبه على البصر ما ذمهم الله عز وجل بان قالوا شيئا يمكن كونه لكنهم لما قالوا مالا يمكن البتة وتملقوا بذلك في دفع الحقائق عابهم الله تعالى بذلك وانكره عليهم

* (قال ابو محمد) * وليس غلط الحواس في بعض الاوقات من باب التشبيه عليها في شيء لان احدنا قد يرى شخصا على بعد لا يشك فيه الا انه سارع فقطع انه انسان او انه فلان فقطع بظنه ولو انه لم يعمل ظنه ولا قطع به لكان باقيا على ما ادرك من الحقيقة وهكذا في كل ما حكم فيه المرء بظنه واما ذو الافة كمن فيه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لاحقيقة لها فهو ايضا كما ذكرنا واما الماء المثل على حدقته يوهمه انه رأى شيئا وقطع بذلك فاذا ثبت في كل ذلك لاحل الحق من الظن وكذلك من فسد مكان التخيل من دماغه فان نفسه تظن ما يوهمه فتقطع به ولو قوى تمييزها لفرقت بين الحق والباطل وهكذا القول في ادراك السمع والذوق وهذا كله يجري على رتب مختلفة بمن يعمل ظنه وعلى رتب غير مختلفة في جهل هذه الاوقات بل هي ثابتة عند اهل التحقيق والمعرفة معروفة الملاج حتى يعود منها الى صلاحه مالم يتسحكم فسادا ولا يظن ظانا انه ممكن ان تكون في مثل حال هؤلاء اذ لو كان هذا لم نعرف شيئا من العلوم على رتبته واحكامه الجارية على سنن واحد وبالله تعالى التوفيق ثم نسالهم باي شيء يعرفون انه لم يشبه على عيونكم فقد عرفناكم نحن بماذا نعرف ان حواسنا سليمة وان عقولنا سليمة مادامت سالمة وبماذا نعرف الحواس المدخولة والعقول المدخولة وغير المدخولة وهو اجراء ما ادرك بالحواس السليمة والعقول السليمة على رتب محدودة معلومة لا تبدل عن حدودها ابد او اجراء ما ادرك بالحراس الفاسدة والعقول المدخولة على غير رتب محدودة فانهم لا يقدررون على فرق اصلا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وكذلك ما ذكر عن ليس نبيا من قلب عين لو احالة طبيعة فهو كاذب الا ما وجد من ذلك في عصر نبي فانه آية كذلك لذلك الشيء وذلك الذي ظهرت عليه آية بمنزلة الجذع الذي ظهرت فيه الحنين والذراع الذي ظهر فيه النطق والمصالي ظهرت فيها الحياة وسواء كان الذي ظهرت فيه الآيات سالما او فاسقا وذلك كنحو النور الذي ظهر في سوط عمر بن حنيفة الدوسي وبرهان ذلك انه لم يظهر فيه بدموت النبي صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) فان قيل اذا اجزتم ان تظهر المعجزة في غير نبي لكن في عصر نبي لتكون آية لذلك النبي فهلا اجزتموه كذلك بدموت النبي صلى الله عليه وسلم لتكون آية له ايضا ولا فرق بين الامرين . قلنا انما اجزنا ذلك الشيء في الجماد وسائر الحيوان وفيمن شاء الله تعالى اظهار ذلك فيه من الناس لانخص بذلك فاضلا لفضله ولا نمنع ذلك في فاسق لفسقه او كافر وانما ننكر على من خص بذلك الفاضل فجعلها كرامة له فلو جاز ذلك بدموت النبي صلى الله عليه وسلم لاشكل الامر ولم تكن في أمن من دعوى من ادعى انها آية لذلك الفاضل ولذلك الفاسق والانسان من الناس يدعيها آية له ولو كان ذلك لكان اشكالا في الدين وتلبيسا من الله تعالى على جميع عباده اولهم عن آخرم وهذا خلاف وعد الله تعالى لنا واخباره بانه قد بين علينا الرشد من الغي وليس كذلك ما كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يكون الا من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وبإخباره وانذاره فبذلك انها له لا للذي ظهرت منه وهذا في غاية البيان والمدد رب العالمين

(قال ابو محمد) واما لذى روى في ذلك عن الثلاثة اصحاب الغار وانفراج الصخرة ثلثا ثلثا عند ما ذكروا اعمالهم فلا تعلق لهم به لان تكسير الصخرة ممن في كل وقت ولكل احد بلا اعجاز وما كان هكذا فجائز وقوعه بالدعاء وبغير الدعاء لكن وقع وفاقا لتنبئه كمن دعا في موت عدوه او تفرج همه او بلوغ امنيته في دنياه ولقد حدثني حكم بن منذر بن سعيد ان اياه رحمه الله كان في جماعة في سفرة في صحراء فمطشوا وابتقوا بالهلكة ونزلوا في ظل جبل ينتظرون الموت قال فاسندت رأسي الى حجر نائي فتأذيت به فقلعته فاندفع الماء العذب من تحته فشر بنا وتزودنا ومثل هذا كثير مما يفرج وحتى لو كانت معجزة لوجب بلا شك ان يكونوا انبياء اولي من في زمن نبي لا بد مما قدمناه

*(قال ابو محمد) * ولا عجب اعجب من قول من يحيز قلب الاعيان للساحر وهو عندم فاسق أو كافر ويحيز مثل ذلك للصالح وللنبي فقد جاز عندهم قلب الاعيان للنبي وللصالح وللناسق وللکافر فوجب ان قلب الاعيان جائز من كل احد ويؤساقول اذى الى مثل هذا وهم يحيزون للمغيرة بن سعيد وبيان ومنصور الكشف وقلب الاعيان على سبيل السحر وقد جاء بعدهم من يدعى لهم النبوة بها فاستوى عند هؤلاء المخذولين والنبي والساحر نعوذ بالله من الضلال المبين

(قال ابو محمد) فان اعترضوا بقول الله تعالى * وقال بكم ادعوني استجب لكم * وبقوله تعالى * اوجب دعوة الداع اذا دعان * فهذا حق وانما هو بلا شك انه في الممكنات التي علم الله تعالى انها تكون لا فيمافي علم الله تعالى انها لا تكون ولا في المحال ونسألهم عن دعائي الله تعالى في أريجعله نبيا او في ان ينسخ دين الاسلام او بان يجعل القيامة قبل وقتها او يمسح الناس كلهم قردة او بان يجعل له عينا ثلثة او بان يدخل الكفار الجنة او المؤمنين النار وما شبه هذا فان اجازوا كل هذا كفروا ولحقوا مع كفرهم بالمجانين وان منعوا من كل هذا تركوا استدلالهم بالآيات المذكورة وصح ان الاجابة انما تكون في خاص من الدعاء لافي العموم وبالله تعالى التوفيق

*(قال ابو محمد) * وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسامة وخالد هلا شقت عن قلبه لتعلم أقالها متعوذا أم لا

*(قال ابو محمد) * فلو جاز ظهور المعجزة على غير نبي على سبيل الكرامة لوجب القطع على مافي قلبه وانه ولي الله تعالى وهذا لا يعلم من أحد بعد الصحابة رضى الله عنهم الذين ورد فيهم النص وأما قول الباقلاني ان الله تعالى لا يقدر على اظهار آية على يد كذاب فهو داخل في جملة تمجيذ الباري تعالى وهو ايضا تمجيذه سخيف داخل في جملة المحال وذلك انه جعل الله تعالى قادرا على اظهار الآيات على كل ساحر (١) فان علم انه يقول انه نبي لم يقدر على أن يظهرها عليه وهذا قول في غاية الفساد لازم قدر على شيء لم يجز أن يبطل قوته عليه علمه بان ذلك الذي يظهر فيه الفعل يقول أنا نبي ولا يتم هذا ولا يتشكل في الفعل ولا يمكن البتة وانما قوم اهلوا حكم الله تعالى عليهم وأطلقوا حكمهم عليه تعالى ومافي الكفر اسعج من هذا ولا طم ولا ابراد

*(قال ابو محمد) * ورأيت للبلاقلاني في فصل من كلامه ان الناس ليسوا عاجزين عن مثل هذا القرآن ولا قادرين عليه ولا هم عاجزون عن الصعود الى السماء ولا عن احياء الموتى ولا عن خلق الاجسام ولا اختراعها ولا قادرين على ذلك هذانص كلامه دون تاويل منا عليه ثم قال ان القدرة لا تقع الا حيث يقع المعجز (قال ابو محمد) وكل هذا هوس لا يأتي به الا الممرور (٢) وأطم من ذلك احتجاجة بان المعجز لا يقع الا

(١) اى ان الله تعالى فيذهب اليه البلاقلاني قادر على اظهار الخوارق على يد ساحر او فاضل مالم يدع النبوة فان ادعاها كان كاذبا والله تعالى لا يقدر على تاديب كذاب باظهار الآيات على يده
(٢) الممرور الذي غلبت عليه المرة وهى مزاج من أمزجة البدن اذا انحرف سبب لصاحبه اختلاطا وهذيانا

حيث تقع القدرة ولا ندري في أى لغة وجد هذا الكذب أم في أى عقل وجد هذا السخف وما شك ذو علم باللغة من الخاصة والمامة في بطلان قوله وفي أن المعجز ضد القدرة وأن ما قدر الانسان عليه فلم يعجز عنه في حين قدرته عليه وأن ما عجز عنه فلم يقدر عليه في حين عجزه عنه وأن نفي القدرة اثبات للعجز وأن نفي المعجز اثبات للقدرة ما يحل هذا عامي ولا خاصي اصلا وهو ايضا معروف باول العقل والعجب أن يأتي بمثل هذه الدعاوى السخيفة بغير دليل اصلا لكن حماقات وضلالات يطلقها هذا الجاهل وامثاله من الفساق في دين الله تعالى فينلقفها عنهم من اضله الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان وقد قال الله تعالى * واعلموا انكم غير معجزي الله * فاقضى هذا انهم مقدور عليهم لله تعالى وقال تعالى * ليس بمعجز في الارض * فوجب انه مقدور عليه وقال تعالى * والله على كل شيء قدير * فصح انه غير عاجز وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الكلام في الجن ووسوسة الشيطان وفعله في المصروع

قال ابو محمد * لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم في العالم بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل امكان كونهم لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق ما يشاء ولا فرق بين ان يخلق خلقا عنصر من التراب والماء فيسكنهم الارض والهواء والماء وبين ان يخلق خلقا عنصر من النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والارض بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته لكن لما اخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما ابدى على ايديهم من المعجزات الحيلة للطبائع بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلفتهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك و بانهم أمة عاقلة مميزة متميزة موعودة متوعة متناسلة يموتون وأجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون واكثر اليهود حاشا السامرة فقط فمن انكر الجن او تناول فيهم تاويلا يجرهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال قال تعالى * افتخذونه وذريته أولياء من دوني *

(قال ابو محمد) وم يروتنا ولا نراهم قال الله تعالى * انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم * فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل * الا ابليس كان من الجن *

(قال ابو محمد) واذا اخبرنا الله عز وجل اننا لانراهم فن ادعى انه يراهم أو رآهم فهو كاذب الا ان يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نقلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال فاخذته فذكرت دعوة أخى سليمان ولو لا ذلك لاصبح موثقا يراه أهل المدينة أو كما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن أبي هريرة الذي رأى انما هي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى وجود خبر يصح برؤية جنى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي منقطعات أو عن لاخير فيه

(قال ابو محمد) وم أجسام رقاق صافية هو آتية لألوان لهم وعنصرهم النار كما ان عنصر النار والتراب وبذلك جاء القرآن قال الله عز وجل (والجان خلقنا من قبل من نار السوء) والنار والهواء عنصران لألوان لهما وانما حدث اللون في النار المشتملة عندنا لامتزاجها برطوبات ما تشتمل فيه من الحطب والكتان والادهان وغير ذلك ولو كانت لهم ألوان لرأيناهم بحاسة البصر ولولم يكونوا أجساما صافية رقاقا هوآتية لادر كناهم بحاسة اللمس وصح النص بانهم يوسوسون في صدور الناس وان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنا أن الله عز وجل جعل لهم قوة يتوصلون بها الى حذف ما يوسوسون به في النفوس برهان ذلك قول الله تعالى * من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس * ونحن نشاهد الانسان يرى من له عنده نار فيضطرب وتتبدل أعراضه وصورته واخلاقه وتعمور ناريته ويرى من يحب فيثور له حال أخرى ويتبع وينبسط ويرى من يخاف فتحدث له حال أخرى

من صفة ورعثة وضعف نفس ويشير الى انسان آخر باشارات يحيل بها طبائمه فيغضبه مرة ويخجله اخرى ويفزعه ثالثة ويرضيه رابعة وكذلك يحيله ايضا بالكلام الى جميع هذه الاحوال فعلمنا ان الله عز وجل جعل للجن قوى يتصلون بها الى تغير النفوس والقذف فيها بما يستدعونها اليه نموذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ومن شرار الناس وهذا هو جريه من ابن آدم مجري الدم كما قال الشاعر وقد كنت اجري في حشاها من مرة كجري معين الماء في قصب الآس

(قال ابو محمد) واما الصرع فان الله عز وجل قال * كالذي يتخبطه الشيطان من المس. فذكر عز وجل تاثير الشيطان في المصروع انما هو بالمساسة فلا يجوز لاحد ان يزيد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال ما لا علم له به وهذا حرام لا يحل قال عز وجل * ولا تقف ما ليس لك به علم. وهذه الامور لا يمكن ان يعرف البتة الا بخبر صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ما ذكرنا والله تعالى التوفيق فصح ان الشيطان يمس الانسان الذي يسلطه الله عليه مساكما جاء في القرآن يشير به من طبائعه السوداء والا بخرة المصاعدة الى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بالاخلاف منهم فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده وهذا هو نص القرآن وما توجه به المشاهدة وما زاد على هذا فخرافات من توليد العزامين والكذابين والله تعالى نتايد وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان (١) فاذا ارتفعت فارقتها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقتها فاذا جنحت للغروب قارنها فاذا غربت فارقتها ونهى عن الصلاة في هذه الاوقات او كما قال عليه السلام مما هذا معناه بلا شك فقد قلنا انه عليه السلام لا يقول الا الحق وان كلامه كله على ظاهره الا ان ياتي نص بان هذا النص لبس على ظاهره فنسمع ونطيع او يقوم بذلك برهان من ضرورة حس او اول عقل فنلم أنه عليه السلام انما اراد ما قد قام بصحته البرهان لا يجوز غير ذلك وقد علمنا يقينا ان الشمس في كل دقيقة طالمة على افق من الآفاق مرتفعة على آخر مستوية على ثالث زائلة عن رابع جانحة للغروب على خامس غاربة على سادس هذا مالا شك فيه عند كل ذي علم بالهيئة فاذا ذلك كذلك فقد صح يقينا انه عليه السلام انما عني بذلك افقا ما دون سائر الآفاق لا يجوز غير ذلك اذ لو اراد كل افق لكان الاخبار بانه يفارقتها كذبا وحاشاله من ذلك فاذا شك في هذا كله فلا مريية انه عليه الصلاة والسلام انما عني به افق المدينة اذ هو الافق الذي اخبر اهله بهذا الخبر فانهم بما يقارن الشمس في تلك الاحوال وما يفارقتها من الشيطان والله اعلم بذلك القرآن ما هو لا يزيد على هذا ادلايان عندنا فيما بينه

(١) ومعه قرن الشيطان الرواية المشهورة ان الشمس تطلع من بين قرن الشيطان فلا تصلوا لطلوعها والمراد بقرن الشيطان رأسه لان القرن يطلق على حرف الراس من الانسان وللرأس حرقان أى جانبان وهذا من باب تسمية الشيء باسم موضعه والحديث للنهي عن الصلاة مع طلوع الشمس لانه الوقت الذي كان عبدة الشمس يسجدون فيه للشمس وقد درج كثير من الامم السابقة على عبادتها والسجود لها وفي القرآن في نبا ملكة سبا ان الهدد قال لسليمان عليه السلام اني وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في وقت طلوعها لانه الوقت الذي يسجد فيه عبدة الشمس لها واعلمنا ان ابليس يطلع رأسه مقارنا لطلوع الشمس فهم يسجدون له بسجودهم للشمس ويؤمنونه وكذلك في وقتي الاستواء والغروب الملاسة وانه يفارقتها في غير هذه الاوقات وليس المعنى ان للشيطان قرونا على نحو ما في الحيوان من البقر والشاة وان الشمس تجرى من بين قرنيه على الحقيقة بل تاويل ذلك ما ذكرنا من ان الشيطان يطلع لهم في هذه الاوقات ليؤموه ويسجدوا له مع سجودهم للشمس اه باختصار من كتاب تاويل مختلف الحديث

الا انه ليس شيء من ذلك بممتنع أصلاً فصح بما ذكرنا ان اول الخبر خاص كما وصفنا وان نهيهم عن الصلاة في الاوقات قصة اخرى وقضية ثانية وحكم غير الاول فهو على عمومته في كل زمان وكل مكان الا ما قام البرهان على تخصيصه من هذا الحكم بنص آخر كما بينا في غير هذا الكتاب في كتب الصلاة من تأليفنا والحمد لله رب العالمين كثيرا

الكلام في الطبائع

(قال ابو محمد) ذهبت الاشعرية الى انكار الطبائع جملة وقالوا ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا في العالم طبيعة أصلاً وقالوا انما حدث حر النار جملة وبرد الثلج عند الملاسة قالوا ولا في الحر طبيعة اسكار ولا في المني قوة يحدث بها حيوان ولكن الله عز وجل يخلق منه ماشاء وقد كان ممكناً ان يحدث من منى الرجال جملاً ومن منى الحمار انساناً ومن زوينة الكزبر نخلاً

(قال ابو محمد) ما نعلم لهم حجة شغبوا بها في هذا الهوس اصلاً وقد ناظرت بعضهم في ذلك فقلت له ان اللغة التي نزل بها القرآن تبطل قولكم لان من لغة العرب القديمة ذكر الطبيعة والخلقة والسليقة والتجيزة والفريزة والسجية والسيمة والجلبة بالجيم ولا يشك ذوعلم في ان هذه الالفاظ استعملت في الجاهلية وسميها النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكرها قط ولا انكرها احد من الصحابة رضى الله عنهم ولا احد من بعدهم حتى حدث من لا يعتد به وقد قال امرؤ القيس

وان كنت قد ساءت مني خليفة * فسلني ثيابي من ثيابك تنسل

وقال حميد بن ثور الملالى الكندى

لكل امرئ يام عمرو طبيعة * وتفرق ما بين الرجال الطبائع

وقال النابغة

لهم سيمة لم يعطها الله غيرهم * من الجود والاحلام غير عواذب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجارود اذا أخبره ان فيه الحلم والاناة فقال له الجارود الله جبلني عليهما يارسول الله ام هما كسب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الله جبلك عليهما ومثل هذا كثير وكل هذه الالفاظ اسما مترادفة بمعنى واحد عندم وهو قوة في الشيء يوجد بها على ما هو عليه فاضطرب ولجا الى ان قال اقول بهذا في الناس خاصة فقلت له وانني لك بالتخصيص وهذا موجود بالحس وببديهة العقل في كل مخلوق في العالم فلم يكن عنده تمويه

(قال ابو محمد) وهذا المذهب الفاسد حدام على ان سموا ما تأتي به الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيات المعجزات خرق البادة لانهم جعلوا امتناع شق القمر وشق البحر وامتناع احياء الموتى واخراج ناقة من صخرة وسائر معجزاتهم انما هي عادات فقط

(قال ابو محمد) * معاذ الله من هذا ولو كان ذلك عادته لما كان فيها اعجاز اصلاً لان المادة في لغة العرب والدأب والدين والديدن والمجبرى (١) الفاظ مترادفة على معنى واحد وهي في اكثر استعمال الانسان لها مما لا يؤمن تركه اياه ولا ينكر زواله عنه بل هو ممكن وجود غيره ومثله بخلاف الطبيعة التي الخروج عنها ممتنع فالعادة في استعمال العرب العامة التلحى وحمل الفناء وتحمل بعض الناس الفلنسة وكاستعمال بعضهم خلق الشعر وبعضهم توفيره

(١) يقال ما زال ذلك هجيراء بكسر أوله وتشديد ثانية أي رأبه وعادته ومنه قول الشاعر

رمي فاختا والاقدار غالبية * فانصن والويل هجيراء والحرب

قال الشاعر

تقول وقد درأت لها وضئى * أهذا دينه أبدا ودينى (١)

وقال آخر * ومن عاداته الخلق الكريم

وقال آخر

قدعود الطير عادات وثقن بها * فمن يصحبه فى كل مرتحل

* عودت كعدة عادات فصير لها *

وقا آخر

* وشديد عادة منتزعة *

وقال آخر

فذكر أن انتزاع العادة يشد إلا أنه ممكن غير ممتنع بخلاف إزالة الطبيعة التى لا سبيل إليها وربما وضعت العرب لفظة العادة مكان لفظة الطبيعة كما قال حميد بن ثور الهلالي

سلى الربيع أن يممت بأمر سالم * وهل عادة للربيع أن يتكلم

(قال أبو محمد) وكل هذه الطباع والعادات مخلوقة خلقها الله عز وجل فرتب الطبيعة على أنها لا تستحيل ابتداء ولا يمكن تبدلها عند كل ذى عقل كطبيعة الإنسان بأن يكون ممكناته التصرف في العلوم والصناعات أن لم يعترضه آفة وطبيعة الخمر والبغال بأنه غير ممكن منها ذلك وكطبيعة البران لا ينبت شعيرا ولا جوزا وهكذا كل مافى العالم والقوم مقرون بالصفات وهى الطبيعة نفسها لأن من الصفات المحمولة فى الموصوف ما هو ذاتى به لا يتوهم زواله الا بفساد حامله وسقوط الاسم عنه كصفات الخمر التى ان زالت عنها صارت خللا ويطل اسم الخمر عنها وكصفات الخبز واللحم التى اذا زالت عنها صارت زبلا وسقط اسم الخبز واللحم عنهما وهكذا كل شئ له صفة ذاتية فهذه هى الطبيعة ومن الصفات المحمولة فى الموصوف ما لو توهم زواله عنه لم يطل حامله ولا يفارق اسمه وهذا القسم ينقسم اسما ثلاثة فاحدها ممتنع الزوال كالنفس والقصر والزرقي وسواد الزنجى ونحو ذلك الا أنه لو توهم زائلا لبقى الانسان انسانا بحاله وثانيها بطل زوال كالردوة وسواد الشعر وما أشبه ذلك وثالثها سريع الزوال كحمرة الحجل وصفرة الوجع وكمدة الهم ونحو ذلك فهذه هى حقيقة الكلام فى الصفات وما عدا ذلك فطريق السوفسطائية الذين لا يحققون حقيقة ونموذ بالله من الخذلان

﴿نبوة النساء﴾

﴿قال أبو محمد﴾ هذا فصل لانعلمه حدث التنازع العظيم فيه الا عندنا بقرطبة وفى زماننا فان طائفة ذهبت الى ابطال كون النبوة فى النساء جملة وبدعت من قال ذلك وذهب طائفة الى القول بأنه قد كانت فى النساء نبوة وذهب طائفة الى التوقف فى ذلك

﴿قال أبو محمد﴾ ما نعلم للمانعين من ذلك حجة اصلا الا ان بعضهم نازع فى ذلك بقول الله تعالى . وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم .

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا امر لا ينازعون فيه ولم يدع احدا ان الله تعالى ارسل امرأة وانما الكلام فى النبوة دون الرسالة فوجب طلب الحق فى ذلك بان ينظر فى معنى لفظة النبوة فى اللغة التى خاطبنا الله بها عز وجل فوجدنا هذه اللفظة مأخوذة من الانبياء وهو الاعلام فمن اعلمه الله عز وجل بما يكون قبل ان يكون او اوحى اليه منبأ له بامر ما فهو نبي بلا شك وليس هذا من باب الالهام الذى هو طبيعة كقول الله تعالى . واوحى ربك الى النحل . ولا من باب الظن والتوهم الذى لا يقطع بحقيقته الاجنون ولا من باب السكينة التى هى من

(١) درأت أى بسطت لها الوضين على الارض والوضين بطان من جلد منسوج بعضه على بعض يشد به الرجل على الناقة بمنزلة الحزام للسرج

استراق الشياطين السمع من السماء فيرمون بالشهب الثواقب وفيه يقول الله عز وجل . شياطين الانس والجن
يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . وقد انقطعت الكهانة بمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولامن باب النجوم التي هي تجارب تعلم ولا من باب الرؤيا التي لا يدري اصدقت ام كذبت بل الوحي الذي هو
النبوة قصد من الله تعالى الى اعلام من يوحى اليه بما يعلم به ويكون عند الوحي به كالمه بما ادرك بحواسه وبديهة عقله
المذكورة يحدث الله عز وجل لمن اوحى به اليه علمه اضروريا يصح ما اوحى به كالمه بما ادرك بحواسه وبديهة عقله
سواء لاجال للشك في شيء منه اما بمجيء الملك به اليه واما بخطاب يخاطب به في نفسه وهو تعلم من الله تعالى لمن يعلمه
دون وساطة معلم فان انكروا ان يكون هذا هو معنى النبوة فليعرفونا ما معناها فانهم لا ياتون بشيء اصلا فاذ ذلك
كذلك فقد جاء القرآن بان الله عز وجل ارسل ملائكة الى نساء فاخبروهن بوحي حق من الله تعالى فبشروا ام اسحاق
باسحاق عن الله تعالى قال عز وجل * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراءه اسحاق يعقوب قالت يا ليتنا
ألدوا نا عجوز وهذا بلى شيخا از هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت * فهذا خطاب الملائكة لام اسحاق عن الله عز وجل بالشارة لها باسحاق ثم يعقوب ثم
يقولهم لها أتعجبين من امر الله ولا يمكن البتة ان يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبي بوجه من الوجوه
ووجدناه تعالى قد ارسل جبريل الى مريم ام عيسى عليهما السلام يخاطبها وقال لها * انما انا رسول ربك
لاهب لك غلاما زكيا * فهذه نبوة صحيحة بوحي صحيح ورسالة من الله تعالى اليها وكان ذكرها عليه السلام
يحدث عندها من الله تعالى رزقا واردا تمنى من اجله ولدا فاضلا ووجدنا ام موسي عليهما الصلاة والسلام
قد اوحى الله اليها بالقاء ولدها في اليم واعلمنا انه سيرده اليها ويجعله نبيا مرسل فلهذه نبوة لاشك فيها
وبضرورة العقل يدري كل ذي تمييز صحيح انها لو لم تكن واثقة بنبوة الله عز وجل لها لكانت بالقائها
ولدها في اليم برؤيا تراها او بما يقع في نفسها او قام في حاجتها في غاية الجنون والمرار الهائج ولو قل
ذلك احدنا لكان في غاية الفسق او في غاية الجنون مستحقا لمائة دماغ في البيارستان لا يشك في هذا احد
فصح يقينا ان الوحي الذي ورد لها في القاء ولدها في اليم كالوحي الوارد علي ابراهيم في الرؤيا في ذبح ولده
فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لو لم يكن نبيا واثقا بصحة الوحي والنبوة الوارد عليه من ذبح ولده ولكنه
ذبح ولده لرؤيا رآها او ظن وقع في نفسه لكان بلا شك فاعل ذلك من غير الانبياء فاسقا في نهاية الفسق
او مجنوننا في غاية الجنون هذا ما لا يشك فيه احد من الناس فصحت نبوتهم ييقين ووجدنا الله تعالى قد قال
وقد ذكر من الانبياء عليهم السلام في سورة كهيعص ذكر مريم في حملهم ثم قال عز وجل * اولئك الذين
انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح * وهذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها
من حملتهم وليس قوله عز وجل وامه صديقة بمانع من ان تكون نبية فقد قال تعالى * يوسف ايها الصديق *
وهو مع ذلك نبي رسول وهذا ظاهر وبالله تعالى التوفيق ويلحق بهن عليهن السلام في ذلك امرأة
فرعون بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الامريم بنت عمران
وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون او كما قال عليه السلام والكمال في الرجال لا يكون الا لبعض المرسلين عليهم
الصلاة والسلام لان من دونهم ناقص عنهم بلا شك وكان تخصيصه صلى الله عليه وسلم مريم وامرأة فرعون
تفضيلا لهما على سائر من اوتيت النبوة من النساء بلا شك اذ من نقص عن منزلة اخر ولو بدقيقة فلم يكمل
فصح بهذا الخبر ان هاتين المرأتين كملتا كما لا لم يلحقهما فيه امرأة غيرها اصلا وان كن بنصوص القرآن
نبيات وقد قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض * فالكمال في نوعه هو الذي لا يلحقه احد
من اهل نوعه فهم من الرجال الرسل الذين فضلهم الله تعالى على سائر الرسل ومنهم نبينا وابراهيم عليهما

الصلاة والسلام بلاشك للنصوص الواردة بذلك في فضلها على غيرها وكمل من النساء من ذكر عليه الصلاة والسلام

(الكلام في الرؤيا)

(قال ابو محمد) ذهب صالح تلميذ النظام الى ان الذي يرى احدا في الرؤيا حق كما هو وانه من رأى انه بالصين وهو بالاندلس فان الله عز وجل اختزعه في ذلك الوقت بالصين

(قال ابو محمد) وهذا القول في غاية الفساد لان العيان والعقل يضطر ان الى كذب هذا القول وبطلانه اما العيان فلاننا نشاهد حينئذ هذا النائم عندنا وهو يرى نفسه في ذلك الوقت بالصين واما من طريق العقل فهو معرفتنا بما يرى الحالم من المحالات من كونه مقطوع الرأس حيا وما اشبه ذلك وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قص عليه رؤيا فقال لا تخبر بطلب الشيطان بك

(قال ابو محمد) والقول الصحيح في الرؤيا هو انواع فمنها ما يكون من قبل الشيطان وهو ما كان من الاضغاث والتخليط الذي لا ينضبط ومنها ما يكون من حديث النفس وهو ما يشتغل به المرء في اليقظة فيراه في النوم من خوف عدو أو لقاء حبيب أو خلاص من خوف أو نحو ذلك ومنها ما يكون من غلبة الطبع كروية من غلب عليه السم للانوار والزهر والحمرة والسرور ورؤية من غلب عليه الصفراء للنيران ورؤية صاحب البلغم للتلوج والمياه وكروية من غلب عليه السوداء الكهوف والظلم والخاوف ومنها ما يريه الله عز وجل نفس الحالم اذا صفت من اكدار الجسد وتخلصت من الافكار الفاسدة فيشرف الله تعالى به على كثير من المنيات التي لم تات بعد وطى قدر تفاضل النفس في النقاء والصفاء يكون تفاضل ما يراه في الصدق وقسما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يبق بعده من النبوة الا المبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له وانها جزء من ستة وعشرين جزءا من النبوة الى جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة الى جزء من سبعين جزءا من النبوة وهذا نص جلي ما ذكرنا من تفاضلها في الصدق والوضوح والصفاء من كل تخليط وقد تخرج هذه النسب والاقسام على انه عليه السلام انما أراد بذلك رؤيا الانبياء عليهم السلام فمنهم من رؤياه جزء من ستة وعشرين جزءا من أجزاء نبوته وخصائصه وفضائله ومنهم من رؤياه جزء من ستة واربعين جزءا من نبوته وخصائصه وفضائله ومنهم من رؤياه جزء من سبعين جزءا من نبوته وخصائصه وفضائله وهذا هو الاظهر والله أعلم ويكون خارجا على مقتضى الفاظ الحديث بلا تاويل بتكلف وأما رؤيا غير الانبياء فقد تكذب وقد تصدق الا أنه لا يقطع على صحة شيء منه الا بعد ظهور صحته حاشا رؤيا الانبياء فانها كلها وحى مقطوع على صحته كرؤيا ابراهيم عليه السلام ولو رأى ذلك غير نبي في الرؤيا فانفذ في اليقظة لكان فاسقا حاشا واجنونا ذاهبا التميز بلاشك وقد تصدق رؤيا لكافر ولا تكون حينئذ جزءا من النبوة ولا مبشرات ولكن انذار له أو غيره ووعظا والله تعالى التوفيق

(الكلام في أى الخلق افضل)

(قال ابو محمد) ذهب قوم الا ان الانبياء عليهم السلام افضل من الملائكة وذهبت طائفة تنسب الى الاسلام ان الصالحين غير النبيين افضل من الملائكة وذهب بعضهم الى ان الولي افضل من النبي وانه يكون في هذه الامة من هو افضل من عيسى بن مريم ورأيت الباقلاني يقول جائز ان يكون في هذه الامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين بعث الى ان مات ورأيت لأبي هاشم الجبائي انه لو طال عمر انسان من المسلمين في الاعمال الصالحة لا يمكن أن يوازي عمل النبي صلى الله عليه وسلم كذب لعنه الله (قال ابو محمد) ولولا انه استعجيا قليلا مما لم يستحي من نظيره الباقلاني لقال ما يوجب هذا القول من انه

كان يزيد فضلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
(قال ابو محمد) وهذه الاقوال كفر مجرد لا ترد في وحاشا لله تعالى من ان يكون احد ولو عمر عمر الدهر
يلحق فضل صاحب فكيف فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم اوني من الانبياء عليهم السلام فكيف ان يكون
افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا لا تقبله نفس مسلم كانهم ماسمعوا قول الله عز وجل . لا يستوى منكم
من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا . وقول النبي صلى الله عليه
وسلم دعوا الى اصحابي فلو كان لاحدكم مثل احد ذهابا فانفقته في سبيل الله ما بلغ مداحدم ولا نصيفه
(قال ابو محمد) فكيف يلحق ابدا من ان تصدق هو بمثل جبل احد ذهابا وتصدق صاحب بنصف مد من شعير
كان نصف مد الشعير لا يلحقه في الفضل جبل الذهب فكيف برسل الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الحق ان
الملائكة افضل من كل خلق خلقه الله تعالى ثم بعدم الرسل من النبيين عليهم السلام ثم بعدم الانبياء غير الرسل
عليهم السلام ثم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما رتبنا قبل
(قال ابو محمد) ومن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن له من الفضل ما لساير الصحابة بعموم قوله صلى
الله عليهم وسلم دعوا الى اصحابي وافضل الرسل محمد صلى الله عليه وسلم اما افضل الملائكة على الرسل من غير
الملائكة فلبراهين منها قول الله عز وجل امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقول . قل لا اقول لكم عندي خزائن
الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الى . فلو كان الرسول ارفع من الملك او مثله ما امر الله
تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم هذا القول الذي اتما قاله منحطاعن الرفع بان يظن انه عنده خزائن
الله او انه يعلم الغيب أو أنه ملك منزل لنفسه المقدسة في مرتبة التي هي دون هذه المراتب بلا شك إذ لا يمكن البتة
أن يقول هذا عن مراتب هو ارفع منها وايضا فان الله عز وجل ذكر محمدا الذي هو افضل الرسل بعد الملائكة
وذكر جبريل عليهما السلام وكان التباين من الله عز وجل بينهما تباينا بيذا وهو انه عز وجل قال . انه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين . فهذه صفة جبريل عليهم السلام ثم ذكر محمدا
صلى الله عليه وسلم فقال * وما صاحبكم بمجنون * ثم زاد تعالى بيانا رافعا للاشكال جملة فقال * ولقد رآه
بالاق المبين . فعظم الله تعالى من شان اكرم الانبياء والرسل بان رأى جبريل عليه السلام ثم قال * ولقد
رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ ينشي السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى
من آيات ربه الكبرى . فامتن الله تعالى كما ترى على محمد صلى الله عليه وسلم بان اراه جبريل مرتين وانما
يتفاضل الناس كاتدما بوجهين فقط أحدهما الاختصاص المجرد واعظم الاختصاص الرسالة والتعظيم فقد
حصل ذلك للملائكة قال تعالى * جاعل الملائكة رسلا * فهم كلهم رسل الله ثم اختصهم تعالى بان ابتداء في الجنة
وحوالى عرشه في المكان الذي وعد رسله ومن اتبهم بان نهايه كرامتهم مصيرهم اليه وهو موضع خلق الملائكة
ومحلهم بلا نهاية مذ خلقوا وذكرهم عز وجل في غير موضع من كتابه فاثبت على جميعهم ووصفهم بانهم لا يفترون
ولا يسمون ولا يصون الله ففى عنهم الزلل والفترة والسامة والسهو وهذا امر لم ينفه عز وجل عن الرسل
صلوات الله عليهم بل السهو جائز عليهم وبالضرورة نعلم من عصم من السهو افضل ممن لم يصم منه وان من
عصم من العمد كالا نبياء عليهم السلام افضل ممن لم يصم ممن سواهم فان اعتراض معتز بقول الله عز وجل * الله
يصطفى من الملائكة رسلا ومم الناس * قيل له ليس هذا معارضا لقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا
فان كل آية قانله تحمل على مقتضاها او موجب لفظها ففي هذه الآية ان بعض الملائكة رسل وهذا حق لا شك فيه
وليس اخبارا عن سائرهم بشيء لا بانهم رسل ولا بانهم ليسوا رسلا فلا يحل لاحد ان يزيد
في الآية ما ليس فيها ثم في الآية الاخرى زيادة على ما في هذه الآية والاخبار بان جميع الملائكة

رسل في تلك الآية بمض ما في هذه الآية وفي هذه الآية كل ما في تلك وزيادة ففرض قبول كل ذلك كما ان الله عز وجل اذ ذكر في كعيص من ذكر من النبيين فقال * أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين * وقد قال تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك * افترى الرسل الذين لم يقصصهم الله تعالى عليه جملة اوفى هذه السورة خاصة لم ينعم عليهم معاذ الله من هذا فما يقوله مسلم والوجه الثاني من اوجه الفضل هو تفاضل الملائكة في أعمال الطاعة والمعصية من المعاصي والذنوب وقد نص الله تعالى على ان الملائكة لا يفترزون من الطاعة ولا يسمون منها ولا يصون البتة في شيء امر وابه فقد صرح ان الله عز وجل عصمهم من الطبايع الناقصة الداعية الى الفتور والكسل كالطعام والتغوط وشهوة الجماع والنوم فصح يقيننا انهم افضل من الرسل الذين لم يعصموا من الفتور والكسل ودواعيهم

قال ابو محمد * واحتج بعض المخالفين في هذا بان قال قال الله عز وجل * ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * قالوا فدخل في العالمين الملائكة وغيرهم

قال ابو محمد * وهذه الآية قد صرح البرهان بانها ليست على عمومها لانه تعالى لم يذكر فيها محمدا صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في انه افضل الناس قال الله تعالى * كنتم خيرا ما اخرجت للناس * فان قال آله ابراهيم وآل محمد قيل له فنحن اذا افضل من جميع الانبياء حاشا آل عمران وآدم ونوحا فقط وهذا لا يقوله مسلم فصيح يقينا ان هذه الآية ليست على عمومها فاذ لاشك في ذلك فقد صرح ان الله عز وجل انما اراد بها عالمي زمانهم من الناس لا من الرسل ولا من النبيين نعم ولا من عالمي غير زمانهم لاننا بلا شك افضل من آل عمران فبطل تعلقيهم بهذه الآية جملة والله تعالى التوفيق وصح انها مثل قوله تعالى * يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين * ولا شك في انهم لم يفضلوا على الرسل ولا على النبيين ولا على امتنا ولا على الصالحين من غيرهم فكيف على الملائكة ونحن لا نكر ازالة النص عن ظاهره وعمومه ببرهان من نص آخر او اجماع متيقن او ضرورة حسن وانما ننكر ونمنع من ازالة النص عن ظاهره وعمومه بالدعوى فهذا هو الباطل الذي لا يحل في دين ولا يصح في امكان العقل والله تعالى التوفيق

* قال ابو محمد * وذكر بعضهم قول الله عز وجل * الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية *

* قال ابو محمد * وهذا مما لا حجة لهم فيه اصل لان هذه الصفة نعم كل مؤمن صالح من الانس ومن الجن نعم وجميع الملائكة عموما مستويا فانما هذه لاية تفضيل الملائكة والصالحين من الانس والجن على سائر البرية والله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واحتجوا بامر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام

(قال ابو محمد) وهذا اعظم حجة عليهم لان السجود المأمور به لا يخلو من ان يكون سجود عبادة وهذا كفر ممن قاله ولا يجوز ان يكون الله عز وجل يامر احدا من خلقه بعبادة غيره وما ان يكون سجود تحية وكرامة وهو كذلك بلا خلاف من احدهم الناس فاذ هو كذلك فلا دليل ادل على فضل الملائكة على آدم من ان يكون الله تعالى بلغ الغاية في اعظامه وكرامته بان تحييه الملائكة لانهم لو كانوا دونه لم يكن له كرامته ولا مزية في تحيتهم له وقد أخبر الله عز وجل عن يوسف عليه السلام فقال * ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا او قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلناك رجلا محقا وكانت رؤياهم التي ذكر الله عز وجل عنه اذ يقول * اني رايت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين

(قال ابو محمد) وليس في سجود يعقوب عليه السلام ليوسف ما يوجب ان يوسف افضل من يعقوب واحتجوا

ايضا بان الملائكة لم يعلموا اسماء الاشياء حتى انبأهم بها آدم علي جميعهم السلام بتعليم الله عز وجل آدم اياها
 (قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان الله عز وجل يعلم من هو انقص فضلا وعلم في الجملة اشياء لا يعلمها
 من هو افضل منه واعلم منه بما عدا تلك الاشياء فعلم الملائكة ما لا يعلمه آدم وعلم آدم اسماء الاشياء ثم امره بان
 يعلمها الملائكة كاخص الخضر عليه السلام بعلم لم يعلمه موسى عليه السلام حتى اتبعه موسى عليه السلام ليتعلم
 منه وعلم ايضا موسى عليه السلام علوم ما لم يعلمها الخضر وهكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الخضر قال
 لموسى عليه السلام اني على علم من علم الله لا تعلمه انت وانت على علم من علم الله لا أعلمه أنا
 * (قال ابو محمد) وليس في هذا أن الخضر أفضل من موسى عليه السلام

(قال ابو محمد) وقد قال بعض الجهال ان الله تعالى جعل الملائكة خدام أهل الجنة ياتونهم بالتحف من عند ربهم
 عز وجل قال تعالى * تعلقام الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون * وقال تعالى * والملائكة يدخلون عليهم من
 كل باب سلام عليكم بما صبرتم *

(قال ابو محمد) أما خدمة الملائكة لأهل الجنة وأقبالهم اليهم بالتحف فشيء ما علمناه قط ولا سمعناه الا من القصص
 بالخرافات والتكاذيب وانما الحق من ذلك ما ذكره الله عز وجل في النص الذي اوردنا وهو والله المحدث اقوى الحجج في
 فضل الملائكة على من سوامهم وانهم هذا المحتج اذا كان اقبال الملائكة بالبشارات الى أهل الجنة دليل على فضل أهل الجنة عليهم
 أن يكون اقبال الرسل اليها مبشرين ومنذرين بالبشارات من عند الله عز وجل دليل على أننا افضل منهم وهذا كفر مجرد
 ولكن الحقيقة هي أن الفضل اذا كان للانبيا عليهم السلام على الناس بانهم رسل الله اليهم ووسائط بين ربهم
 تعالى وبينهم فالفضل واجب للملائكة على الانبياء والرسل لكونهم رسل الله تعالى اليهم ووسائط بينهم وبين
 ربهم تعالى واما فضل الله تعالى على أهل الجنة بالاكل والشرب والجوع واللباس والالات والتصور فانما
 فضلهم الله عز وجل من ذلك بما يوافق طباعهم وقد نزه الله سبحانه الملائكة عن هذه الطباع المستدعية لهذه
 اللذات بل ابانهم وفضلهم بل جعل طباعهم لا تلتذ بشيء من ذلك الا بذكر الله عز وجل وعبادته وطاعته
 في تنفيذ اوامره تعالى فلان منزلة أعلى من هذه وعجل لهم سكنى المحل الرفيع الذي جعل تعالى غاية كرامتنا الوصول
 اليه بعد لقاء الامرين في التسبيح في عمارة هذه الدنيا النكد وفي كلف الاعمال ففي ذلك المكان خلق الله عز وجل
 الملائكة منذ ابتداء وفيه خلدوا وبالله تعالى التوفيق

* (قال ابو محمد) وقال بعض السخفاء ان الملائكة بمنزلة الهواء والرياح

(قال ابو محمد) وهذا كذب وقحة وجنون لان الملائكة بنص القرآن والسنن واجماع جميع من يقر بالملائكة
 من أهل الاديان المختلفة عقلا متعبدون منهيون مأمورون وليس كذلك الهواء والرياح لكنها لا تنقل ولا هي
 متكلفة متعبد بل هي مسخرة مصرفة لاختيار لها قال تعالى * والسحاب المسخر بين السماء والارض * وقال
 تعالى * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام * وذكر تعالى الملائكة فقال * بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
 وهم بأمره يعملون * وقال تعالى * ويستغفرون لمن في الارض * وقال تعالى * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا
 انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ
 للمجرمين * فقرن تعالى نزول الملائكة برؤيته تعالى وقرن تعالى اتيانه باتيان الملائكة فقال عز وجل * هل ينظرون
 الا ان ياتيهم الله في ظلم من الغمام والملائكة * واعلم ان اعراب الملائكة هاهنا بالرفع عطف على الله عز وجل لا على
 الغمام ونص تعالى على ان آدم عليه الصلاة والسلام انما كل من الشجرة ليكون ملكا او ليخلد كما نص تعالى
 علينا اذ يقول عز وجل * ما نها كما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين *
 (قال ابو محمد) فيبين ندرى ان آدم عليه السلام لولا يقينه بان الملائكة افضل منه وطمعه بان يصير ملكا لما قبل

من ابليس ماغره به من أكل الشجرة التي نهاها الله عز وجل عنها ولوعلم آدم ان الملك مثله اودونه لما حمل نفسه على مخالفة امر الله تعالى لينحط عن منزلته الرفيعة الى الدون هذا ما لا يظنه ذو عقل اصلا

(قال ابو محمد) وقال الله عز وجل * ان يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقر بوز * فقلوه عز وجل بعد ذكر المسيح ولا الملائكة المقر بوز بلوغ الغاية في علو درجتهم على المسيح عليه السلام لان بنية الكلام ورتبته انما هي اذا اراد القائل نفى صفة ما عن متواضع عنها ان يبدأ بالادنى ثم بالاعلى واذا اراد نفى صفة ما عن مترفع عنها ان يبدأ بالاعلى ثم بالادنى فنقول في القسم الاول ما يطمع في الجلوس بين يدي الخليفة خازنه ولا وزيره ولا اخوه ونقول في القسم الثاني ما ينحط الى الاكل في السوق والولاد من مرتبة ولا متصا من التجار او الصناع لا يجوز البتة غير هذا والله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وايضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بان الله سبحانه وتعالى خلق الملائكة من نور وخلق الانسان من طين وخلق الجن من نار

(قال ابو محمد) ولا يحل فضل النور على الطين وعلى النار احد الا من لم يحمل الله له نورا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقد صرح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربّه في ان يجعل في قلبه نورا فالملائكة من جوهر دعا افضل البشر به في ان يجعل في قلبه منه وبالله تعالى التوفيق وفي هذا كفاية لمن عقل

(قال ابو محمد) وقال عز وجل * ولقد ذكرنا بنى آدم وحملائهم في البر والبحر * الى قوله * وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا * قائما بفضل الله تعالى بنص كلامه عز وجل بنى آدم على كثير ممن خلق لاعلى كل من خلق وبلا شك ان بنى آدم يفضلون على الجن وعلى جميع الحيوان الصامت وعلى ما ليس حيوانا فلم يبق خلق يستثنى من تفضيل الله تعالى بنى آدم عليه الا الملائكة فقط

(قال ابو محمد) واما فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل رسول قبله فالثابت عنه عليه السلام انه قال فضلت على الانبياء بست وروى بخمس وروى باربع وروى بثلاث رواه جابر بن عبد الله وانس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابو هريرة وبقوله صلى الله عليه وسلم اناسيد ولد آدم ولا فخر وانه عليه السلام بث الى الاحمر والاسود وانه عليه السلام اكثر الانبياء اتباعا وانه ذو الشفاعة التي يحتاج اليه يوم القيامة فيها النبيون فمن دونهم امانتنا الله على ملته ولا خالف بتابعته وهو ايضا عليه السلام خليل الله وكنيته

(الكلام في الفقر والغنى)

(قال ابو محمد) اختلف قوم في اى الامر من افضل الفقر ام الغنى قوم في اى الامر من افضل الفقر ام الغنى (قال ابو محمد) وهذا سؤال فاسد لان تفاضل العمل والجزاء في الجنة انما هو للمامل لا لحالة محمولة فيه الا ان يأتى نص بتفضيل الله عز وجل حال على حال وليس هاهنا نص في فضل احدي هاتين الحالتين على الاخرى

(قال ابو محمد) وانما الصواب ان يقال ايما افضل الغنى ام الفقر والجواب هاهنا هو ما قاله الله تعالى اذ يقول * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * فان كان الغنى افضل عملا من الفقر فالغنى افضل وان كان الفقر افضل عملا من الغنى فالفقر افضل وان كان عملهما متساويا فها سواء قال * عز وجل ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من فتنة الفقر وفتنة الغنى وجعل الله عز وجل الشكر بازاء الغنى والصبر بازاء الفقر فمن اتقى الله عز وجل فهو الفاضل غنيا كان او فقيرا وقد اعترض بعضهم هاهنا بالحديث الوارد ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بكذا وكذا خريفا ونزع الآخرون يقول الله عز وجل * ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى * قال

(قال ابو محمد) والنفي نعمة اذا قام بها جاملها بالواجب عليه فيها واما فقراء المهاجرين فهم كانوا اكثر وكان النفي فيهم قليلا والامر كله منهم وفي غيرهم راجع الى العمل بالنص والاجماع على انه تعالى لا يمجزى بالجنة على فقر ليس معه عمل خير ولا على غنى ليس معه عمل خير وبالله التوفيق
- الكلام في الاسم والمسمى -

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان الاسم هو المسمى وقال آخرون الاسم غير المسمى واحتج من قال ان الاسم هو المسمى بقول الله تعالى * تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام * ويقرأ أيضا ذو الجلال والاكرام قال ولا يجوز ان يقال تبارك غير الله فلو كان الاسم غير المسمى ما جاز أن يقال تبارك اسم ربك وبقوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * فقالوا ومن الممتنع ان يامر الله عز وجل بان يسبح غيره وبقوله عز وجل * ماتبدون من دونه الاسماء سميتوها اتم وآباؤكم * وقالوا الاسم مشتق من السمو وانكروا على من قال انه مشتق من الوسم وهو العلامة وذكروا قول لبيد

الى الحلول ثم اسم السلام عليكم ومن يك حولا كاملا فقد اعتذر

وقالوا قال سيبويه الافعال امثلة احدث من لفظ احدث الاسماء قالوا وانما اراد المسدين هذا كل ما احتجوا به قد تصيناهم ولا حاجة لهم في شيء منه اما قول الله عز وجل تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وذو الجلال فحق ومعنى تبارك تفاعل من البركة والبركة واجبة لاسم الله عز وجل الذي هو كلمة مؤلفة من حروف الهجاء ونحن نتبرك بالذكرة وبتمظيمه وبمجمله ونكرمه فله التبارك وله الاجلال منا ومن الله تعالى وله الاكرام من الله تعالى ومنا حينما كان من قرطاس او في شيء منقوش فيه او مذكور باللسنة ومن لم يجمل اسم الله عز وجل كذلك ولا اكرمه فهو كافر بلا شك فالاية على ظاهرها دون تاويل فبطل تعلقهم بها جملة والله تعالى الحمد وكل شيء نص الله تعالى عليه انه تبارك فذلك حق ولو نص تعالى بذلك على أي شيء كان من خلقه كان ذلك واجبا لذلك الشيء واما قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * فهو على ظاهره دون تاويل لان التسبيح في اللغة التي بها نزل القرآن وبها خاطبنا الله عز وجل هو تنزيه الشيء عن السوء وبلا شك ان الله تعالى امرنا ان نزه اسم الذي هو كلمة مجموعة من حروف الهجاء عن كل سوء حيث كان من كتاب او منطوقا به ووجه آخر وهو ان معنى قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * ومعنى قوله تعالى . ان هذا هو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم . معنى واحد وهو ان يسبح الله تعالى باسمه ولا سبيل الى تسبيحه تعالى ولا الى دعائه ولا الى ذكره الا بتوسط اسمه فكلا الوجهين صحيح حق وتسبيح الله تعالى وتسبيح اسمه كل ذلك واجب بالنص ولا فرق بين قوله تعالى . فسبح باسم ربك العظيم . وبين قوله . فسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم . والحمد بلا شك هو غير الله وهو تعالى نسبح بحمده كما نسبح باسمه ولا فرق فبطل تعلقهم بهذه الآية والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) اما قوله تعالى . ماتبدون من دونه الا اسماء سميتوها اتم وآباؤكم . فقول الله عز وجل حق على ظاهره ولهذه الآية وجهان كلاهما صحيح احدهما ان معنى قوله عز وجل . ماتبدون من دونه الا اسماء برهان هذا قوله تعالى اثر ذلك متصلا بها سميتوها اتم وآباؤكم فصح يقينا انه تعالى لم يمن بالاسماء هاهنا ذوات المعبودين لان العابدين لها لم يتحدثوا قط ذوات المعبودين بل الله تعالى توحد باحدائها هذا لا شك فيه والوجه الثاني ان اولئك الكفار انما كانوا يعبدون اوثانا من حجارة او بعض المعادن او من خشب وبقين ندرى انهم قبل ان يسموا تلك الجبل من الحجارة والمعادن ومن الخشب باسم اللات والعزى ومناة وهبل وودوسواع ويغوث ويعوق ونسرا وبطل قد كانت ذواتها بلا شك موجودات قائمة وم لا يعبدونها ولا تستحق عندم عبادة

فلما اوقعوا عليه هذه الاسماء عبيدوها حينئذ فصح يقينا انهم لم يقصدوا بالعبادة الا الاسماء كما قال الله تعالى لا الذوات المسميات فمادت الآية حجة عليهم وبرهاننا على ان الاسم غير المسمى بلا شك وبالله تعالى التوفيق واما قولهم ان الاسم مشتق من السمو وقول بعض من خالفهم انه مشتق من الوسم فقولان فاسدان كلاهما باطل انتله أهل النحور لم يصح قط عن العرب شيئا منهما وما اشتق لفظ الاسم قط من شيء بل هو اسم موضوع مثل حجر وجبل وخشبة وسائر الاسماء لا اشتقاق لها واول ما تبطل به دعواهم هذه الفاسدة أن يقال لهم قال الله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح ان من لا برهان له على صحة دعواه فليس صادقا في قوله هاتوا برهانكم على ان الاسم مشتق من السمو أو من الاسم والا فهي كذبة كذتموها على العرب وافتربتوها عليهم أو على الله تعالى الواضع للغات كلها وقول عليه تعالى أو على العرب بغير علم والا فمن أين لكم ان العرب اجتمعوا فقالوا نشئت لفظة اسم من السمو أو من الوسم والكذب لا يستحله مسلم ولا يستسهله فاضل ولا سبيل لهم الى برهان اصلا بذلك وايضا فلو كان الاسم مشتقا من السمو كما تزعمون فتسمية المذرة والكلب والجيفة والقدر والشرك والخنزير والخساسة رفعة لها وسمو لهذه المسميات وتبا لكل قول أدى الى هذا الهوس البارد وايضا فهيك انه قد سلم لهم قولهم ان الاسم مشتق من السمو اي حجة على ان الاسم هو المسمى بل هو حجة عليهم لان ذات المسمى ليست مشتقة اصلا ولا يجوز عليها الاشتقاق من السمو ولا من غيره فصح بلا شك ان ما كان مشتقا فهو غير ما ليس مشتقا والاسم باقرارهم مشتق والذات المسماة غير مشتقة فالاسم غير الذات المسماة وهذا يلحق لكل من نصيح نفسه ان المحتج بمثل هذا السفه عيار مستهزئ بالناس متلاعب بكلامه ونموذ بالله من الخذلان (قال ابو محمد) وهذا قول يؤدي من اتبعه وطرده الى الكفر المجرد لانهم قطعوا ان الاسم مشتق من السمو وقطعوا ان الاسم هو الله نفسه فعلى قولهم المهلك الخبيث ان الله يشق وان ذاته مشقة وهذا مالا ندرى كافرا بلغه والحمد لله على ما من به من الهدى وايضا فان الله تعالى يقول * وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * الى قوله تعالى (قال يا آدم انبئهم باسمائهم)

(قال ابو محمد) فلا يخلو ان يكون الله عز وجل علم آدم الاسماء كلها كما قال عز وجل اما بالربية واما بلغة أخرى او بكل لغة فان كان عز وجل علمه الاسماء بالربية فان لفظة اسم من جملة ما علمه لقوله تعالى الاسماء كلها ولا مره تعالى آدم بان يقول للملائكة انبئوني باسماء هؤلاء فلا يجوز ان يخص من هذا العموم شيء اصلا بل هو لفظ موقوف عليه كسائر الاسماء ولا فرق وهو من جملة ما علمه الله تعالى آدم عليه السلام الا ان يدعو ان الله تعالى اشتقه فالتوهم كثيرا ما يستسهلون الكذب على الله تعالى والاخبار عنه بما لا علم لهم به فصح يقينا ان لفظة الاسم لا اشتقاق لها وانما هي اسم مبتدأ كسائر الاسماء والانواع والاجناس وان كان الله تعالى علم آدم الاسماء كلها بغير العربية فان اللغة العربية موضوعة للترجمة عن تلك اللغة بدل كل اسم من تلك اللغة اسم من العربية موضوع للعبارة عن تلك الالفاظ واذا كان هذا فلا مدخل للاشتقاق في شيء من الاسماء اصلا لاللفظة اسم ولا غيرها وان كان تعالى علمه الاسماء بالعربية وبغيرها من اللغات العربية فلفظة اسم من جملة ما علمه وبطل ان يكون مشتقا اصلا والحمد لله رب العالمين فبطل قولهم في اشتقاق الاسم وعاد حجة عليهم وبالله تعالى التوفيق واما بيت لبيد فانه يخرج على وجهين احدهما ان السلام اسم من اسماء الله تعالى قال تعالى * الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن * وليد رحمة الله مسلم صحيح الصحبة النبي ﷺ ومعناه ثم اسم الله عليكم حافظ لكم والوجه الثاني انه اراد بالسلام التحية وليد لا يقدر هو ولا غيره على ايقاع التحية عليهما انما يقدر لبيد وغيره على ايقاع اسم التحية والدعاء بها فقط فاي الامرين كان فاسم السلام في بيت لبيد هو غير معنى السلام فالاسم في ذلك البيت غير المسمى ولا بد ثم لو صح ما يدعون به على لبيد ولو صح لكان قول عائشة رحمها الله ورضي الله عنها انما أهجر اسمك بيانا ان الاسم غير المسمى وان اسمه

عليه السلام غيره لانها اخبرت انها لا تهجره وانما تهجر اسمه رضوان الله وهي ليست الفصاحة في دون لبيدوهي اولى بان تكون حجة من لبيد فكيف وقول لبيد حجة عليهم لاهم والحمد لله رب العالمين وقد قال رؤيته - باسم الذي في كل صورة سر - ورؤية ليس دون لبيد في الفصاحة وذات البارئ تعالى ليست في كل صورة وانما في الصورة اسم الله تعالى فلا شك ان الذي في الصورة غير الذي ليس فيها وقال ابوساسان حصين بن المنذر ابن الحارث بن ويلة الرقاشي لابنه غياظ

وسميت غياظا ولست بغياظ * عدوا ولكن الصديق تفيظ

فصرح بان الاسم غير المسمى تصريحاً لا يحتمل التأويل بخلاف ما ادعوه علي لبيد واما قول سيبويه ان الافعال امثلة احدث من لفظ احداث الاسماء فلاحجة لهم فيه فيقتن ندرى انه اراد احداث اصحاب الاسماء برهان ذلك قوله في غير ما وضع من كتابه امثلة الاسماء في الثلاثي والرباعي والخماسي والسداسي والسباعي وقطعه ان السداسي والسباعي من الاسماء مزدان ولا بدوان الثلاثي من الاسماء اصلي ولا بدوان الرباعي والخماسي من الاسماء يكونان اصلين كجعفر وسفرجل ويكونان مزدانين وان السنائي من الاسماء منقوض مثل يدودم ولو تتبعنا قطعة على ان الاسماء هي الابنية المسموعة الموضوعة ليعرفها المسميات للبلغ ان يذم ثلثمائة موضع أفلا يستحي من يدري هذا من كلام سيبويه اطلاقاً املمه بان مراده لا يخفى على احد قرأ من كتابه ورقتين ونمود بالله من قلة الحياء واول سطر في كتاب سيبويه بعد البسملة هذا باب علم ما السك من العربية فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمني ليس باسم ولا فعل فالاسم رجل وفرس فهذا بيان جلي من سيبويه ومن كل من تكلم في النحو قبله وبعده على ان الاسماء هي في بعض الكلام وان الاسم هو كلمة من الكلام ولا خلاف بين احد له حس سليم في ان المسمى ليس كلمة ثم قال بعد اسطر يسيرة والرفع والجر والنصب والجزم بحروف الاعراب وحروف الاعراب الاسماء المتمكنة والافعال المضارعة لاسماء الفاعلين وهذا منه بيان لا اشكال فيه ان الاسماء غير الفاعلين وهي التي تضارعها الافعال التي في اوائلها الزوائد الاربعة وما قال قط من يرمي بالحجارة ان الافعال تضارع المسميات ثم قال والنصب في الاسماء رأيت زيدا والجر مررت بزيد والرفع هذا زيد وليس في الاسماء جزم لتمكنها والحق الفنون وهذا كله بيان ان الاسماء هي الكلمات المؤلفة من الحروف المقطعة لا المسمون بها ولو تتبع هذا في ابواب الجمع وابواب التصغير والنداء والترخيم وغيرها لكثير جدا وكاد يفوت التحصيل

قال ابو محمد فسقط كل ما شغب به القائلون بان الاسم هو المسمى وكل قول سقط احتجاج اهله وعري عن برهان فهو باطل ثم نظرنا فيمن احتج به القائلون ان الاسم غير المسمى فوجدناهم يحتجون بقول الله تعالى * والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه * قالوا والله عز وجل واحد والاسماء كثيرة وقد تعالى الله عن ان يكون اثنين او اكثر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من احصاها دخل الجنة قالوا ومن قال ان خالقه او معبوده تسعة وتسعون فهو شر من النصارى الذين لم يجعلوه الا ثلاثة

(قال ابو محمد) وهذا برهان ضروري لازم ورايت لمحمد بن الطيب الباقلائي ولمحمد بن الحسن بن فورك الاصهاني انه ليس لله تعالى الا اسم واحد فقط

(قال ابو محمد) وهذا معارضة وتكذيب لله عز وجل وللقرآن ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع العالمين ثم عطفنا فقالا معنى قول الله عز وجل والله الاسماء الحسنى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما انما هو التسمية لا الاسماء

(قال ابو محمد) وكان هذا التسميم ادخل في الضلال من ذلك الاجمال ويقال لهم فلي قولكم هذا أراد الله تعالى ان يقول لله التسميات الحسنى فقال الاسماء الحسنى واراد رسوله الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ان لله تسمية وتسعين تسمية فقال تسعة وتسعين اسما عن غلط وخطا قال الله تعالى ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم أم عن عمد ليضل بذلك أهل الاسلام ام عن جهل باللغة التي تنبها لها نأما ولا بد من احد هذه الوجود ضرورة لا محيد عنها وكلها كفر مجرد ولا بد لهم من احدها وتركها قالوه من الكذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا ودعواهم في ذلك ظاهر الكذب بلا دليل ولا يرضى بهذا لنفسه عاقل

الاسم على المسمى فهي شيء ثالث غير الاسم وغير المسمى فذات الخالق تعالى هي الله للمسمى والتسمية هي تحريكنا عضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف وهي غير الحروف لان الحروف هي الهواء المنقطع بالتحريك فهو المحرك بفتح الراء والانسان هو المحرك بكسر الراء والحركة هي فعل المحرك في دفع المحرك وهذا امر معلوم بالحس مشاهد بالضرورة متفق عليه في جميع اللغات واحتجوا أيضا بقول الله تعالى * ان الله يبشرك بفلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا * وهذا نص لا يحتمل تاويلا في ان الاسم هو الباء والحاء والياء والالف ولو كان الاسم هو المسمى لما عقل احد معنى قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا ولا فهم ولكن فارغا حاشا لله من هذا ولا خلاف في ان معناه لم يخلق هذا الاسم على احد قبله وذكروا ايضا قول الله عز وجل عن نفسه هل تعلم له سميا وهذا نص جلي على ان اسماء الله تعالى التي اختص بها لا تقع على غيره ولو كان ما يدعونه لما عقل هذا اللفظ احد ايضا حاشا لله من هذا واحتجوا ايضا بقول الله تعالى مبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وهذا نص على ان الاسم هو الالف والحاء والميم والداد اذا اجتمعت واحتجوا ايضا بقول الله عز وجل وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال ينثوي باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الى قوله قال يا آدم انبثم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الماقل لكم الاية وهذا نص جلي على ان الاسماء كلها غير التسميات لان التسميات كانت اعيانا قائمة وذوات ثابتة تراها الملائكة وانما جهلت الاسماء فقط التي علمها الله آدم وعلمها آدم الملائكة وذكروا قول الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وهذا مالا حيلة لهم فيه لان لفظة الله هي غير لفظة الرحمن بلاشك وهي بنص القرآن اسماء الله تعالى والمسمى واحد لا يتغاير بلاشك وذكروا قول الله عز وجل * ولانا كلوا مما يذكر اسم الله عليه * وهذا بيان ايضا جلي بجمع عليه من أهل الاسلام ان الذي عنده التذكية فهو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة مثل الله والرحمن والرحيم وسائر اسمائه عز وجل واحتجوا من الاجماع بان جميع اهل الاسلام لانحاشي منهم احدا قد اجمعا على القول بان من حلف باسم من اسماء الله عز وجل فحنت عليه الكفارة ولا خلاف في ان ذلك لازم فيمن قال والله او الرحمن او الصمد او اى اسم من اسماء الله عز وجل حلف بها فما أسخف عقولا بدخل فيها تحطئة ما جاء به الله عز وجل في القرآن وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه أهل الاسلام وما أطبق عليه أهل الارض قاطبة من أن الاسم هو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة وتصويب الباقلاني وابن فورك في ان ذلك ليس هو الاسم وانما هو التسمية والحمد لله الذي لم يخلتنا من اهل هذه الصنعة المردولة ولا من هذه العصاة للخذولة واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك فذكرت اسم الله فكل فصيح ان اللفظ المذكور هو اسم الله تعالى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له اسماء وهي احمد ومحمد والعاقب والحاشر والمأحى فيا لله ويا للسلمين ايجوز ان يظن ذومسكة عقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ذوات تبارك الذي يخلق ما لانم وذكروا قول رسول الله صلى الله

عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكونوا بكنيتي فصيح ان الاسم هو الميم والحاء والميم والدا ل يقيّن لاشك فيه واحتجوا بقول عائشة رضي الله عنها بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال لها عليه السلام اذا كنت راضية عني قلت لا ورب محمد واذا كنت ساخطة قلت لا ورب ابراهيم قالت اجل والله يا رسول الله ما اهجرت الا اسمك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك القول فصيح ان اسمه غيره بلاشك لانها لم تهجرت اسمه وانما هجرت اسمه واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن واصدق الاسماء همام والحارث وروى كذبها خالد ومالك وهذا كله بين ان الاسم غير المسمى فقد يسمى عبد الله وعبد الرحمن من يفضيه الله عز وجل وقد يسمى من يكون كذابا بالحارث وهما ويسمى الصادق خالدا ومالك فهم بخلاف أسمائهم واحتجوا ايضا بان قالوا قد اجتمعت الامة كلها على انه اذا سئل المرء ما اسمك قال فلان واذا قيل له كيف سميت ابنك وعبدك قال سميت به فلانا فصيح ان تسميته هي اختياره وايقاعه ذلك الاسم على المسمى وان الاسم غير المسمى واحتجوا من طريق النظر بان قالوا انتم تقولون ان اسم الله تعالى هو الله نفسه ثم لا تقولون بان تقولوا اسماء الله تعالى مشتقة من صفاته فليسم مشتق من علم وقدير مشتق من قدرة وحي من حياة فاذا اسم الله هو الله واسم الله مشتق فالله تعالى على قولكم مشتق وهذا كفر بارد وكلام سخيف ولا غلص لهم منه فصحت البراهين المذكورة من القرآن والسنة والاجماع والعقل واللغة والنحو على ان الاسم غير المسمى بلاشك ولقد أحسن احمد بن جدار ماشاء أن يحسن اذ يقول

هيهات يا أخت آل بما * غلطت في الاسم والمسمى

لو كان هذا وقيل سم * مات اذا من يقول سما

(قال ابو محمد) واخبرني ابرو عبد الله السائح القطان انه شاهد بعضهم قد كتب الله في سحاة وجعل يصلي اليها قال فقلت له ما هذا قال معبودي قال فنفتخت فيها فطارت فقلت له قد طار معبودك قال فضربني (قال ابو محمد) وموهوا فقالوا فاسماء الله عز وجل اذا مخلوقة اذ هي كثيرة واذا هي غير الله تعالى قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق ان كنتم تنفون الاصوات التي هي حروف الهجاء والمداء الخطوط به في الفواطيس فما يختلف مسلمان في كل ذلك مخلوق وان كنتم تريدون الالهام والتمويه باطلاق الخلق على الله تعالى فن اطلق ذلك فهو كافر بل ان اشار مشير الى كتاب مكتوب فيه الله او بعض اسماء الله تعالى او الى كلامه اذ قال يا الله او قال بعض اسمائه عز وجل فقال هذا مخلوق او هذا ليس بربكم او تكفرون بهذا لما حل لمسلم الا ان يقول حاشا لله من ان يكون مخلوقا بل هو ربي وخالقي أو من به ولا اكفر به ولو قال غير هذا لكان كافرا حلال الدم لانه لا يمكن ان يسأل عن ذات الباري تعالى ولا عن الذي هو ربنا عز وجل وخالقنا والذي هو المسمى بهذه الاسماء ولا الى الذي يخبر عنه ولا الى الذي يذكر الا بذكر اسمه ولا بد فلما كان الجواب في هذه المسألة يومه اهل الجهل بايصال ما لا يجوز الى ذات الله تعالى لم يجز ان يطلق الجواب في ذلك البنية بالانقسام كما ذكرنا وكذلك لو كتب انسان محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم او نطق بذلك ثم قال لنا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ليس رسول الله وتؤمنون بهذا أو تكفرون به لكان من قال ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أكفر به كافرا حلال الدم باجماع اهل الاسلام ولكن نقول بل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نؤمن به ولا يختلف اثنان في الصوت المسموع والخط المكتوب ليس هو الله ولا رسول الله وبالله تعالى التوفيق فان قالوا ان احمد بن حنبل وأبا زرعه عبيد الله بن عبد الكريم وأبا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الراويين رحمهم الله تعالى يقولون ان الاسم هو المسمى قلنا لم هؤلاء رضي الله عنهم وان كانوا من أهل السنة ومن أئمتنا فليسوا معصومين من الخطا ولا أمرنا الله عز وجل بتقديم واتباعهم في كل ما قالوه وهؤلاء رحمهم الله

أرام اختيار هذا القول قولهم الصحيح ان القرآن هو المسموع من القرآن المخلوط في المصاحف نفسه وهذا قول صحيح ولا يوجب أن يكون الاسم هو المسمى على ما قد بينا في هذا الباب وفي باب الكلام في القرآن والحمد لله رب العالمين وإنما المعجب كله بمن قلب الحق وقارق هؤلاء المذكورين حيث اصابوا وحيث لا يحل خلافهم وتعلق بهم حيث وموا من هؤلاء المنتمين الي الاشعري القائلين بان القرآن لم ينزل قط علينا ولا سمعناه قط ولا نزل به جبريل علي قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي في المصاحف هو شيء آخر غير القرآن ثم اتبعوا هذه الكفرة الصلواة بان قالوا ان اسم الله هو الله وانه ليس الله الاسم واحد وكذبوا الله تعالى ورسوله في ان لله أسماء كثيرة تسعة وتسعين ونمود بالله من الخذلان

قال ابو محمد **﴿**ولو أن انسانا يشير الى كتاب مكتوب فيه الله فقال هذا ليس ربي وأنا كافر بهذا لكان كافرا ولو قال هذا المداد ليس ربي وأنا كافر برؤية هذا الصوت لكان صادقا وهذا لا ينكر وإنما تنف حيث وقفنا قال محمد رسول الله رحمه الله لم يبعد من الاستخفاف فلو قال اللهم ارحم محمد وآل محمد لكان محسنا ولو أن انسانا يذكر من أبويه العضو المستور باسمه لكان عاقا أتى كبيرة وان كان صادقا وبالله تعالى التوفيق

* (الكلام في قضايا النجوم والكلام في هل يقل الفلك والنجوم ام لا) *

(قال ابو محمد) زعم قوم ان الفلك والنجوم تمقل وانها ترى وتسمع ولا تذوق ولا تشم وهذه دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مردود عند كل طائفة باول العقل اذ ليست أصح من دعوى اخرى تضادها وتعارضها وبرهان صحة الحكم بان الفلك والنجوم لا تمقل اصلا هو ان حركتها ابداعا رتبة واحدة لا تتبدل عنها وهذه صفة الجماد المدير الذي لا اختيار له فقالوا الدليل على هذه ان الافضل لا يختار الا لافضل العمل فقلنا لهم ومن اين لكم بان الحركة افضل من السكون الاختياري لاننا وجدنا الحركة حركتين اختياريه واضطرارية ووجدنا السكون سكونين اختياريه واضطراريه فالدليل على ان الحركة الاختياريه افضل من السكون الاختياري ثم من لكم بان الحركة الدوريه افضل من سائر الحركات يمينا ويسارا او امام او وراء ثم من لكم بان الحركة من شرق الى غرب كما يتحرك الفلك الا كبر افضل من الحركة من غرب الى شرق كما يتحرك سائر الافلاك وجميع الكواكب فلاح ان قولهم غرقة فاسدة ودعوى كاذبة موهمة وقال بعضهم لما كنا نحن نمقل وكانت الكواكب تدبرنا كانت أولى بالعقل والحياة منا فقلنا هاتان دعوتان مجموعتان في نسق أحدهما القول بانها تدبرنا فهي دعوى كاذبة بلا برهان على ما ذكره بعد هذا از شاء الله تعالى والثاني الحكم بان من تدبرنا احق بالعقل والحياة منا فقد وجدنا التدبير يكون طبيعيا ويكون اختياريه فلو صح انها تدبرنا لكان تدبيرها طبيعيا كدبير الغذاء لنا وكدبير الهواء والماء لنا وكل ذلك ليس حيا ولا عاقلا بالمشاهدة وقد أبطلنا الان ان يكون تدبير الكواكب لنا اختياريه بما ذكرنا من جريها على حركة واحدة ورتبة واحدة لا تتقل عنها اصلا واما القول بقضايا النجوم فانا نقول في ذلك قولا لا تعاضا ظاهرا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) أما معرفة قطعها في أفلا كهآ وآناء ذلك ومطالها وابعادها وارتفاعاتها واختلاف مرا كز أفلا كهآ فعمل حسن صحيح رفيع يشرف به الناظر فيه على عظيم قدرة الله عز وجل وعلى يقين ناثره وصنعتة واحتراعه تعالى للعالم بما فيه وفيه الذي يضطر كل ذلك الى الافرار بالخالق ولا يستغنى عن ذلك في معرفة القبلة وأرقام الصلاة وينتج من هذا معرفة رؤيا الالهة لفرض الصوم والفطر ومعرفة الكسوفين برها ذلك قول الله تعالى ولقد خلقنا قوم سمع طرائق وقال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها

لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقال تعالى والسماء ذات البروج وقال تعالى
 لتعلموا عدد السنين والحساب وهذا هو نفس ما قلنا وبالله تعالى التوفيق
 واما القضاء بها فالقطع به خطأ لما نذكره ان شاء الله تعالى واهل القضاء ينقسمون قسمين احدهما القائلون
 بانها والفلك عاقلة مميزة فاعلة مدبرة دون الله تعالى او معه وانها لم تزل * فهذه الطائفة كفار مشركون حلال
 دماءهم واموالهم باجماع الامة وهؤلاء عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول ان الله تعالى قال اصبح
 من عباده كافر بى مؤمن بالكواكب وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم انه القائل مطرنا بنوء كذا
 وكذا واما من قال بانها فى المدن التى يمكنهم فيها دعوى ان بناءها كان فى طالع كذا ونصه كذا لكن فى
 الاقاليم والقطع من الارض التى لم يتقدم كون بعضها كون بعض كذبهم فيما عليه بنوا قضايام فى النجوم
 وكذلك قسمتهم اعضاء الجسم والفزات على الدرارى ايضا وبرهان سادس اتنا نجد نوعا وانواعا من انواع
 الحيوان قد فشافها الذبح فلا تكاد يموت شئ منها الا مذبحا كالدجاج والحمام والضأن والمغز والبقر التى لا يموت منها
 حتف ان الله لا فى غاية الشذوذ ونوعا وانواعا لا تكاد تموت الاحتف انوفها كالخيل والبغال وكثير من السباع
 وبالضرورة يدري كل احد انها قد تستوى اوقات ولادتها فبطل قضائهم بما يوجب الموت الطبيعى وبما
 يوجد الكرمى لاستواء جميعها فى الولادات واختلافها فى انواع المنايا وبرهان سابع وهو اننا نرى الخصافا
 شيئا فى سكان الاقليم الاول وسكان الاقليم السابع ولا سبيل الى وجوده البتة فى سكان سائر الاقاليم ولا شك
 ولا مريية فى استوائهم فى اوقات الولادة فبطل يقينا قضائهم بما يوجب الخصا وبما لا يوجبه بما ذكرنا من تساويهم فى
 اوقات التكون والولادة واختلافهم فى الحكم ويكفى من هذا ان كلامهم فى ذلك دعوى بلا برهان واما كان هكذا
 فهو باطل مع اختلافهم فيما يوجبه الحكم عندم والحق لا يكون فى قولين مختلفين وايضا فان المشاهدة
 توجب اتنا قادرون على مخالفة احكامهم متى اخبرونا بها فلو كانت حقا وحتما ما قدر احد على خلافها
 واذا امكن خلافها فليست حقا فصح انها تحرس كالطرق بالحصا والضرب بالحطب والنظر فى السكتف
 والزجر والطيرة وسائر ما يدعى اهله فيه تقديم المعرفة بلا شك وما يحصى ما شاهدناه وما صح عندنا مما حققه
 حذاقهم من التعديل فى الموالد والمناجات وتحاول السنين ثم نضوا فيه فاخطوا وماتقع اصابتهم من خطيئهم
 الا فى جزء يسير فصح انه تحرس لاحقيقة فيه لاسيا دعوام فى اخراج الضمير فهو كله كذب لمن تأمله وبالله
 تعالى التوفيق وكذلك قولهم فى القرانات ايضا ولو امكن تحقيق تلك التجارب فى كل ماذ كرنا لصدقتها وما
 يبدوا منها ولم يكن ذلك علم غيب لان كل ما قام عليه دليل من خط او كنف او زجرا وتطير فليس غيبا
 لوصح وجه كل ذلك وانما الغيب وعلمه هو ان يخبر المرء من الكائنات دون صناعة اصلا من شئ مما ذكرنا
 ولا من غيره فيصيب الجزئى والكلنى وهذا لا يكون الا لنبى وهو معجزة حينئذ واما الكهانة فقد بطلت
 بمجىء النبى صلى الله عليه وسلم فكان هذا من اعلامه وآياته وبالله تعالى التوفيق

﴿الكلام فى خلق الله تعالى للشئء هو المخلوق نفسه ام غيره﴾

وهل فعل الله من دون الله تعالى هو المفعول ام غيره

﴿قال ابو محمد﴾ ذهب قوم الى ان خلق الشئء المخلوق واحتج هؤلاء بقول الله عز وجل * ما شهدتهم

خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم *

﴿قال ابو محمد﴾ ولا حجة لهم فى هذه الآية لان الاشهاد هاهنا هو الاحضار بالمعرفة وهذا حق لان

الله تعالى لم يحضرنا عارفين ابتداء خلق السموات والارض وابتداء انفسنا ووجدنا من قال ان خلق الشئء
 هو الشئء نفسه يحتاج بقول الله تعالى هذا خلق الله وهذه اشارة الى جميع المخلوقات فقدمى الله تعالى جميع

المخلوقات كلها خلقا له وهذا برهان لا يمارض

(قال ابو محمد) ثم نسال من قال ان خلق الشيء هو غير الشيء فنقول له أخبرنا عن خلق الله تعالى لما خلق ام مخلوق هو ايضا ام غير مخلوق فلا بد من احد الامرين فان قالوا هو غير مخلوق اوجبوا بازاء كل مخلوق شيئا موجودا غير مخلوق وهذا مضاهاة لقول الدهرية والبرهان قد قام بخلاف هذا وقال تعالى * خلق كل شيء فقدره تقديرا * وان قالوا بل خلقه تعالى لما خلق مخلوق قلنا فخلقته تعالى لذلك الخلق ابخلق ام بغير خلق فان قالوا بغير خلق قيل لهم من اين قلتم ان خلقه للاشياء بمخلق هو غير المخلوق وقلتم في خلقه لذلك الخلق انه بغير خلق وهذا تخليط وان قالوا بل خلقه بخلق سالنام الخلق هوام بخلق هو غيره وهكذا ابدا فان وقفوا في شيء من ذلك فقالوا خلقه هو هو سالنام عن الفرق بين ماقلوا ان خلقه هو غيره وبين ماقلوا ان خلقه هو هو وان تمادوا وخرجوا الى وجود اشياء لانهاية لها وهذا محال ممنوع وقد قطع بهذا معمر بن عمرو الطار احد رؤساء المعتزلة وسند كر كلامه بعد هذا ان شاء الله تعالى متصلا بهذا الباب وبالله تعالى نزايد وايضا فان الجميع مطبقون على ان الله عز وجل خلق ما خلق بلا ماباة فاذ لاشك في ذلك فقد صح يقينا انه لا واسطة بين الله تعالى وبين ما خلق ولا ثلث في الوجود غير الخالق والمخلوق وخلق الله تعالى ما خلق حق موجود وهو بلا شك مخلوق وهو بلا شك ليس هو الخالق فهو المخلوق نفسه يتيقن لاشك فيه اذلا ثالث هاعنا أصلا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وكل من دون الله تعالى فله هو مفعوله نفسه لا غير لانه لا يفعل احد دون الله تعالى الاحركة او سكونا او تأثيرا أو معرفة او فكرة او ارادة ولا مفعول لشيء دون الله تعالى الا ما ذكرنا فهي مفعولات الفاعلين وهي افعال الفاعلين ولا فرق وما عدا هذا فانما هو مفعول فيه كالمضروب والمقتول او مفعول به كالسوط والابرة وما شبه ذلك او مفعول له كالمطاع والمخدوم او مفعول من اجله كالمكسوب والمحلوب فهذه اوجه المفعولات

(قال ابو محمد) واما سائر افعال الله تعالى فبخلاف ما قلنا في الخلق بل هي غير المفعول فيه اوله او به او من اجله وذلك كالاحياء فهو غير المحيا بلا شك وكلاهما مخلوق لله تعالى وخلقته تعالى لسكل ذلك هو المخلوق نفسه كما قلنا وكالامانة فهي غير الممات ولو كان غير هذا وكان الاحياء هو المحيا والامانة هي الممات وبيتين يدرى ان المحيا هو الممات نفسه لوجب ان يكون الاحياء هو الامانة وهذا محال وكالابقاء فهو غير المبقى للبرهان الذي ذكرنا وبيتين ندرى ان الشيء غير اعراضه التي هي قائمة به وتناوفاية عنه تارة وبالله تعالى التوفيق

(الكلام في البقاء والفناء والمعاني التي يدعيها معبر)

والاحوال التي تدعيها الاشعرية وهل المعدوم شيء ام ليس شيئا ومسئلة الاجزاء وهل يتجدد خلق الله للاشياء ام لا يتجدد

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان البقاء والفناء صفتان للباقي والفاني لا هما الباقي ولا الفاني ولا هما غير الباقي والفاني (قال ابو محمد) وهذا قول في غاية الفساد لان القضية الثانية بتقيض الاولى والاولى بتقيض الثانية لانه اذا قال ليست هي فقد اوجب انها غيره واذا قال ليست غيره فقد اوجب انه هو وهذا تناقض ظاهر وايضا فانه لا فرق بين قول القائلين ليس هو هو ولا بين قوله هو هو وهو غيره والمعنى في تلك القضيتين سواء وأيضا فلو كان البقاء ليس هو الباقي ولا هو غيره والفناء ليس هو الفاني ولا هو غيره فالباقي هو الفاني نفسه والباقي ليس هو الباقي ولا غيره وهذا مزيد من الجنون ومن التناقض وذهب معبر الى ان الفناء صفة قائمة بغير الفاني

(قال ابو محمد) وهذا تخبيط لا يعقل ولا يتوهم ولا يقوم عليه دليلا اصلا وما كان هكذا فهو باطل والحقيقة في ذلك ظاهرة وهي ان البقاء هو وجود الشيء وكونه ثابتا قائما مدة زمان ما فاذ هو قائما كذلك فهو صفة موجودة في الباقي محمولة فيه قائمة به موجودة بوجوده فانية بفنائها واما الفناء فهو عدم الشيء وبطلانه جملة وليس هو شيئا اصلا والفناء المذكور ليس موجودا التثنية في شيء من الجواهر وانما هو عدم العرض فقط كحمرة الخجل اذا ذهبت عبر عن المعنى المراد بالاخبار عن ذهابها بلقطة الفناء كالغضب يفي وبعبارة رضا وما شبه ذلك ولو شاء الله عز وجل ان يعدم الجواهر لقدر على ذلك ولكنه لم يوجد ذلك الى الآن ولا جاء به نص فيقف عنده فالنقاء عدم كما قلنا

❦ الكلام في المعلوم اهو شيء ام لا ❦

(قال ابو محمد) وقد اختلف الناس في المعلوم اهو شيء ام لا فقال اهل السنة وطوائف من المرجئة كالاشعرية وغيرهم ليس شيئا وبه يقول هشام بن عمرو الفوطي احد شيوخ المعتزلة وقال سائر المعتزلة للمعلوم شيء وقال عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الحياطي احد شيوخ المعتزلة ان المعلوم جسم في حال عدمه الا انه ليس متحركا ولا ساكنا ولا مخلوقا ولا محدثا في حال عدمه

(قال ابو محمد) واحتج من قال بان المعلوم شيء بان قالوا قال عز وجل ان زلزلة الساعة شيء عظيم فقالوا فقد اخبر عز وجل بانها شيء وهي معدومة ومن الدليل على ان المعلوم شيء انه يخبر عنه ويوصف ويتمنى ومن المحال ان يكون ما هذه صفة ليس شيئا

(قال ابو محمد) اما قول الله عز وجل ان زلزلة الساعة شيء عظيم فان هذه القصيدة موصولة بقوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فانما تم الكلام عند قوله يوم ترونها فصيح ان زلزلة الساعة يوم ترونها شيء عظيم وهذا هو قولنا ولم يقل تعالى قط انها الآن شيء عظيم ثم اخبر تعالى بما يكون يومئذ من هول المراضات ووضع الاحمال وكون الناس سكارى من غير خمر فبطل تعلقهم بالآية وما نعلم انهم شغبوا بشيء غيرها واما قولهم ان المعلوم يخبر عنه ويوصف ويتمنى ويسمى فجهل شديد وظن فاسد وذلك ان قولنا في شيء يذكر انه معدوم ويخبر عنه انه معلوم ويتمنى به انما هو ان يذكر اسم ما فذلك الاسم موجود بلا شك يعرف ذلك بالحس كقولنا الفناء وابن آوى وحيين وعرس ونوبة مسيلة وما شبه ذلك ثم كل اسم ينطق به ويوجد ملفوظا او مكتوبا فانه ضرورة لا بد له من احد وجهين اما ان يكون له مسمى واما ان يكون ليس له مسمى فان كان له مسمى فهو موجود وهو شيء حينئذ وان كان ليس له مسمى فاخبارنا بالعدم وتمنيانا للمريض الصحة انما هو اخبار عن ذلك الاسم الموجود انه ليس له مسمى ولا تحت شيء وتمن منا لان يكون تحت مسمى فكذا هو الامر لا كما ظنه اهل الجهل فصيح ان المعلوم لا يخبر عنه ولا يتمنى ونسألهم عن قال ليت لي ثوبا احمر وغلاما اسود اخبرونا هل الثوب المتمنى به عندكم احرام لا فان اثبتوا معنى وهو الثوب اثبتوا عرضا محمولا فيه وهو الحمرة فوجب ان المعلوم يحمل الاعراض وان قالوا لم يتمن شيئا اصلا صدقوا وصح ان المعلوم لا يتمنى لانه ليس شيئا ولا فرق بين قول القائل تمنيت لاشيء وبين قوله لم آتمن شيئا بل هما متلازمان بمعنى واحد وهذا ايضا يخرج على وجه آخر وهو انه لا يتمنى الاشياء موجودا في العالم كثوب موجود أو غلام موجود واما من اخرج لفظة التمني لما ليس في العالم فلم يتمن شيئا واما قولهم بوصف فطريق عجب جدا لان معنى قول القائل بوصف اخبار بان له صفة محمولة فيه موجودة به فليت شعري كيف يحمل المعلوم من الصفات من الحمرة والخضرة والقوة والطول والعرض ان هذا لم يجيب جدا فظهر فساد ما هووا به والحمد لله رب العالمين

(قال) ابو محمد رضى الله عنه واذا قد عرا قولهم عن الدليل فقد صبح انه دعوى كاذبة ثم نقول وبالله التوفيق من البرهان على ان المعلوم اسم لا يقع على شيء أصلاً قول الله عز وجل وقد خلقتك من قبل ولم تكن شيئاً وقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً وقوله وخلق كل شيء فقدره تقديراً وقال عز وجل انا كل شيء خلقناه بقدر فيلزمهم ولا بد ان كان المعلوم شيئاً ان يكون مخلوقاً بمدوم لا يختلفون في ان المخلوق موجود وقد وجد وقتاً من الدهر فالمعلوم على هذا موجود وقد كان موجوداً وهذا خلاف قولهم وهذا غاية البيان في ان المعلوم ليس شيئاً

(قال) * ابو محمد رضى الله عنه ونسألهم ما معني قولنا شيء فلا يجحدون بدا من ان يقولوا انه الموجود او ان يقولوا هو كل ما يخبر عنه فان قالوا هو الموجود صاروا الى الحق وان قالوا هو كل ما يخبر عنه قلنا لهم ان المشركين يخبرون عن شريك الله عز وجل قال تعالى أين شركائى

(قال) * ابو محمد وهذا ممدوم لا مدخل له في الحقيقة واسم لا مسمى تحته فان قالوا ان شركاء الله تعالى اشياء كانوا قد أفحشوا وأيضاً فانه قد اتفقت جميع الامم لا تحاشى ان الممدوم ليس شيئاً او لاشيء او ما يعبر به في كل لغة عن شيء وعن لاشيء الا ان المعنى واحد فلو كان الممدوم شيئاً لكان ما أجمعوا عليه بلا شيء وليس شيئاً ولم يكن شيئاً باطلاً وهذا رد على جميع أهل الارض مذ كانوا الى ان ينفي العالم فصيح أن الموجود هو الاشياء فاذا هو الاشياء فيضرورة العقل ان الاشياء هو الممدوم ثم نسألهم ان يقولوا ان الممدوم عظيم او صغير او حسن او قبيح او طويل او قصير او ذلولون في حال عدمه فان ابوا من هذا تناقض قولهم وسئلوا عن الفرق بين قولهم انه شيء وبين قولهم انه حسن او قبيح او صغير او كبير وكيف قالوا انه شيء ثم قالوا انه ليس حسناً ولا قبيحاً ولا صغيراً ولا كبيراً فان قالوا نعم اوجبوا ان الممدوم يحمل الاعراض والصفات وهذا تخليط ناهيك به وسئلوا فيماذا يحمل الصفات أفى ذاته او فيماذا فان قالوا فى ذاته أوجبوا ان له ذاتاً وهذه صفة الموجود ضرورة وان قالوا بل يحمل الصفات في غيره كان ذلك أيضاً عجبا زائدا وعالاً لا خفاء به

(قال) * ابو محمد ونسألهم هل الايمان موجود من أبى جهل او ممدوم فان قولهم بل اشك انه ممدوم منه . فنسألهم عن ايمان أبى جهل الممدوم حسن هو أم قبيح . فان قالوا لا حسن ولا قبيح قلنا لهم ايكون يعقل ايمان ليس حسناً هذا عظيم جداً . وان قالوا بل هو حسن اوجبوا انه حامل للحسن وكذلك نسألهم عن الكفر الممدوم من الانبياء عليهم السلام اقبیح هو أم لا . فان قالوا لا اوجبوا كفراً ليس قبيحاً . وان قالوا بل هو قبيح اوجبوا ان الممدوم يحمل الصفات ونسألهم عن ولد العقيم الممدوم منه اصغير هو أم كبير ام عاقل ام أحمق . فان منعوا من وجود شيء من هذه الصفات له كان عجبا ان يكون ولد لا صغير ولا كبير ولا حى ولا ميت وان وصفوه بشيء من هذه الصفات اتوا بالزيادة من المحال ونسألهم عن الاشياء الممدومة ألها عدد ام لا عدد لها . فان قالوا لا عدد لها كانوا قد أتوا بالمحال اذ أقروا بأشياء لا عدد لها . وان قالوا بل لها عدد كان ذلك عجبا جداً او محالاً لا خفاء به وسألناهم عن الاولاد المدمومين من العاقر والعقيم كم عددهم . ونسألهم عن الاشياء الممدومة اهي فى العالم ومن العالم أم ليست فى العالم ولان العالم فان قالوا هي فى العالم ومن العالم سالناهم عن مكانها فان حددوا لها مكاناً سخفوا ماشاءوا وان قالوا لا مكان لها . قيل لهم وكيف يكون شيء فى العالم لا مكان له فيه ولا حامل

(قال ابو محمد) * ويلزمهم ان المدمومات اذا كانت أشياء لا عدد لها ولا نهاية ولا مبدأ فانها لم تزل وهذه دهرية محققة وكفر مجرد ان تكون اشياء لا تحصى كثرة لم تزل مع الله تعالى ونعوذ بالله من مثل هذا الهوس

(قال ابو محمد) * وقد ادعوا ان المدموم يعلم وهذا جهل منهم بمحدود الكلام لاسيما ممن اقر بان المدموم

لا شيء وادعي مع ذلك انه يعلم فالزمنام على ذلك انهم يعلمون لا شيء وان الله تعالى يعلم لا شيء فجمهر بعضهم على ذلك فقلنا له ان قولك علمت لا شيء وعلم الله تعالى لا شيء ملائم لقولك لم اعلم شيئا ولقولك لم يعلم الله تعالى شيئا لافرق بين معنى القضيتين البتة بل هما واحد وان اختلفت العبارتان واذ هو كذلك فقد صح ان المعلوم لا يعلم فان الزمنا على هذا وسألنا هل يعلم الله تعالى الا شيئا قبل كونها أم لا قلنا لم يزل الله تعالى يعلم ان ما يخلقه ابدا الى مالا نهاية له فانه سيخلقه ويرتبه على الصفات التي يخلقها فيها اذا خلقه وانه سيكون شيئا اذا كونه ولم يزل عز وجل يعلم ان ما لم يخلق بعد فليس هو شيئا حتى يخلقه ولم يزل الله تعالى يعلم انه لا شيء معه وانه ستكون الاشياء اشياء اذا خلقها لانه تعالى انما يعلم الاشياء على ما هي عليه لا على خلاف ما هي عليه لان من علمها على خلاف ما هي عليه فلم يعلمها بل جهلها وليس هذا علما بل هو ظن كاذب وجهل وبرهان هذا قول الله عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لانهم ولو في لغة العرب التي خاطبنا الله تعالى بها حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح انه تعالى لم يسمعهم لانه لم يعلم فيهم خيرا او لاخير فيهم فصح ان المعلوم لا يعلم أصلا ولو علم لكان موجودا وانما يعلم الله تعالى ان لفظة المعلوم لا مسمى لها ولا شيء تحتها ويعلم عز وجل الآن ان الساعة غير قائمة وهو الآن تعالى لا يعلمها قائمة بل يعلم انه سيقبها فتقوم فتكون قيامة وساعة ويوم جزاء ويوم بث وشيئا عظيما حين يخلق كل ذلك لا قبل ان يخلقه فاما علمه تعالى بانه سيقبها فتقوم فهو مرجوح حق فهذا معنى اطلاق العلم على ما لم يكن بعد من المدومات كما اننا لانعلم الآن الشمس طالمة طلوعها في غد بل نعلم انها ستطلع غدا وكذلك لانعلم موت الاحياء الان بل نعلم ان الله تعالى سيخلق موتهم فنعلمه موتا لهم اذا خلقه لا قبل ذلك وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فهذا نص جلي على ان المعلوم لا يعلم لأن الله تعالى اخبر انه لا يدخل الجنة من لا يعلمه الله تعالى مجاهدا ولا صابرا فصح ان من لم يجاهد ولا صبر فلم يعلمه الله تعالى قط مجاهدا ولا صابرا ولا علم له جهادا ولا صبرا وانما علمه غير مجاهد وغير صابر ولم يزل تعالى يعلم ان من كان منهم سيجاهد وسيصبر فانه لم يزل يعلم انه سيجاهد وسيصبر فاذا جاهد وصبر علمه حينئذ صابرا مجاهدا والعلم لا يستحيل لانه ليس شيئا غير الباري تعالى وانما استحال المعلوم فقط . ثم نسألهم هل يعلم الله تعالى لحية الاطلس وقنا الافطس ام لا يعلم ذلك وهل يعلم الله تعالى اولاد المقيم وایمان الكافر وكفر المؤمن وكذب الصادق وصدق الكاذب ام لا يعلم شيئا من ذلك . فان قالوا انه تعالى يعلم كل ذلك كانوا قد وصفوا الله تعالى بالجهل وانه يعلم الاشياء بخلاف ما هي عليه وان قالوا انه تعالى لا يعلم للمقيم اولادا وانما يعلمه لاولد له ولا يعلم لحية الاطلس بل يعلمه غير ذي لحية صدقوا وعادوا الى الحق وبالله تعالى التوفيق

* (الكلام في المعاني على معمر) *

قال ابو محمد رحمته واما معمر ومن اتبعه فقالوا انا وجدنا المتحرك والساكن فايقنا ان معنى حدث في المتحرك به فارق الساكن في صفته وان معنى حدث في الساكن به ايضا فارق المتحرك في صفته وكذلك علمنا ان في الحركة معنى به فارقت السكون وان في السكون معنى به فارق الحركة وكذلك علمنا ان في ذلك المعنى الذي به خالفت الحركة السكون معنى به فارق المعنى الذي به فارقه السكون وهكذا ابدا اوجبوا أن في كل شيء في هذا العالم من جوهر او عرض اى شيء كان معاني فارق كل معنى منها كل ماعداه في العالم وكذلك ايضا في تلك المعاني لانها اشياء موجودة متغايرة واوجبوا بهذا وجود اشياء في زمان محدد في العالم لا نهاية لعددتها

(قال ابو محمد) هذه جملة كل ما شغبوا به الا انهم فصلوها ومدوها في الكفر والكافر والايمان والمؤمن وفي غير ذلك مما هو المعنى الذي اوردناه بعينه ولا زيادة فيه اصلا

وقال ابو محمد في هذا ليس شيئا لاننا نقول لهم والله تعالى التوفيق العالم كله قسمان جوهر حامل وعرض محمول ولا مزيد ولاننا في العالم غير هذين القسمين هذا امر يعرف بضرورة العقل وضرورة الحس فالجواهر مغايرة بعضها لبعض بذواتها التي هي اشخاصها يعني بالنيرية فيها وتختلف ايضا بحسبها وهي ايضا متفرقة بعضها من بعض بالعرض المحمول في كل حامل من الجواهر واما الاعراض فمغايرة للجواهر بذواتها بالنيرية فيها وكذلك هذه ايضا بعضها مغايرة لبعض بذواتها وبعضها مفارقة لبعض بذواتها وان كان بعض الاعراض ايضا قد تحمل الاعراض كقولنا حمرة مشرقة وحمرة كدرة وعمل سبيء وعمل صالح وقوة شديدة وقوة دونها في الشدة ومثل هذا كثير الا ان كل هذا يقف في عدمه متنا لا يزيد وهذا امر يعلم بالحس والعقل فالتعرك يفارق الساكن هذا بحركته وهذا بسكونه والحركة تفارق السكون بذاتها ويفارقها السكون بذاته وبالنعوية والغيرية والحركة الى الشرق تفارق الحركة الى الغرب بكون هذه الى الشرق وكون هذه الى الغرب بذاته والغيرية فقط وهكذا في كل شيء فكل شيئين وقعا تحت نوع واحد مما يلي الاشخاص فانهما يختلفان بغيرتهما فان كانا وقعا تحت نوعين فانهما يختلفان بالنيرية في الشخص والغيرية في النوع ايضا لها نوع جامع لجميع اشخاصها الا ان كل ذلك واقف عند حد من المد لا يزيد ولا بد من نسالم خبرونا عن المعاني التي تدعونها في حركة واحدة اياها كتراهي أم المعاني التي تدعونها في حركتين قان أثبتوا قلة وكثرة تركوا مذهبهم واوجبوا النهاية في المعاني التي نقول لنهاية عنها وان قالوا لا قلة ولا كثرة هاهنا كابروا وأتوا بالمحال الناقض ايضا لا قوائم لانهم اذا اوجبوا للحركة معنى اوجبوا للحركتين معنيين وهكذا أبدا فوجبت الكثرة والقلة ضرورة لا يحيد عنها

(قال ابو محمد) فلم يكن لهم جواب أصلا لأن بعضهم قال أخبرونا اليس الله تعالى قادر على ان يخلق في جسم واحد حركت لا نهاية لها

(قال ابو محمد) فاجواب اهل الاسلام في هذا السؤال نعم وامان عجزر به فاجابوا بلا فسقط هذا السؤال عنهم وكان سقوط الاسلام عنهم بهذا الجواب اشد من سقوط سؤال اصحاب معمر

(قال ابو محمد) فتأدى سؤالهم لاهل الحق فقالوا فاخبرونا اياها اكثر ما يقدر الله تعالى عليه من خلق الحركات في جسمين او ما يقدر عليه من خلق الحركات في جسم واحد فكان جواب اهل الحق في ذلك انه لا يقع عدد ملي معدوم ولا يقع العدد الا على موجود معدود والذي يقدر الله تعالى عليه ولم يفعله فليس هو بعد شيئا ولا له عدد ولا هو معدود ولا نهاية لقدرة الله تعالى واما ما يقدر عليه تعالى ولم يفعله فلا يقال فيه ان له نهاية ولا انه لا نهاية له واما كل ما خلق الله تعالى فله نهاية بعد وكذا كل ما يخلق فاذا خلقه حدث له نهاية حيث لا قبل ذلك واما المعاني التي تدعونها فانكم تدعون انها موجودة قائمة فوجب ان يكون لها نهاية فان نقيمت النهاية عنها لحقتم باهل الدهر وكلمناكم بما كلفناكم به بما قد ذكرنا قبلي وبالله تعالى التوفيق ثم لو ثبت لكم هذه العبارة من قول القائل ان ما يقدر الله تعالى عليه لا نهاية لعدده وهذا لا يصح بل الحق في هذا ان نقول ان الله تعالى قادر على ان يخلق مالا نهاية في وقت ذي نهاية ومكان ذي نهاية ولو شاء ان يخلق ذلك في وقت غير ذي نهاية ومكان غير ذي نهاية لكان قادرا على كل ذلك وما وجب من ذلك اثبات ما ادعيت من وجود معان في وقت واحد لا نهاية لها اذ ليس هاهنا عقل يوجب ذلك ولا خبر يوجب ذلك وانما هو قياس منكم اذ قلتم لما كان قادرا على ان يخلق مالا نهاية له قلنا انه قد خلق مالا نهاية له فهذا قياس والقياس كله باطل ثم لو كان القياس حقا لكان هذا منه باطلا لانه بزعمكم

قياس موجود علي ومعلوم قياس وتشبيه لما قد خلقه بزعمكم علي ما لم يخلقه وهذا في غاية الفساد ولا فرق بينكم في هذا القياس الفاسد وبين من يقول ان في بلد كذا قوما يشمون من عيونهم ويسمعون من انوفهم ويندوتون من آذانهم ويبصرون من سنتهم فاذا كذب في ذلك وسئل برهانا علي دعواه قال انقرون ان الله قادر علي خلق ذلك فقلنا له نعم قال فهذا دليل علي صحة دعواي بل انتم اسوأ حالا لان هذا أخبر عن متوم لو كان كيف كان يكون فانتم تخبرون عن غير متوم في النفس ولا متشكل في العقل وهو اقراركم بوجود معان لانهاية لمددها في وقت واحد

﴿قال ابو محمد﴾ فبطل هذا القول الفاسد والحمد لله رب العالمين وكان يكفي من بطلانها انهاد دعوي لا برهان علي صحتها وهي دعوى فاسدة غير ممكنة بل هي محال لا يتوهم ولا ولا يتشكل والله تعالى التوفيق

﴿الكلام في الاحوال مع الاشعية ومن وافقهم﴾

﴿قال ابو محمد﴾ * واما الاحوال التي ادعتها الاشعية فانهم قالوا ان هاهنا أحوال ليست حقا ولا باطلا ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هي موجودة ولا معدومة ولا هي معلومة ولا هي مجهولة ولا هي أشياء ولا هي لا أشياء ، وقالوا من هذا علم العالم بان له علما ووجوده لوجوده ما يجده قالوا فان قلتم ان لكم علما بان لكم علما بالباري تعالى وبما تعلمونه وان لكم وجودا لوجودكم ما تجدونه سالناكم ألكم علم بعلومكم بان لكم علما وهل لكم وجود لوجودكم ووجودكم ما تجدونه ، فان أقررتم بذلك لزمكم ان تسلسلوا هذا أبدا الى مالا نهاية له ودخلتم في قول أصحاب ميمر والدهرية : وان منعم من ذلك سئلتهم عن صحة الدليل علي صحة منعمكم ما منعم من ذلك وصحة ايحايكم مأوجبتم من ذلك ، وكذلك قالوا في قدم القديم وحدث المحدث وبقاء الباقي وفناء الفاني وظهور الظاهر وخفاء الخافي وقصد القاصدون والناوي وزمان الزمان وما أشبه ذلك وقالوا لو كان للباقي بقاء وللباق بقاء وهكذا أبدا الى مالا نهاية له قالوا فهذا يوجب وجود اشياء لا نهاية لها وهذا محال ، وهكذا قالوا في قدم القديم وقدم قدمه وقدم قدمه الى مالا نهاية له وفي حدوث احد حدوث جدوته وحدث حدوث حدوته الى مالا نهاية له ، وهكذا قالوا في زمان الزمان وزمان زمان الزمان الى مالا نهاية له وفي فناء الفاني وفناء فناء فناءه الى مالا نهاية له وكذلك ظهور الظاهر وظهور ظهوره وظهور ظهور ظهوره الى مالا نهاية له وكذلك القصد والقصد الى القصد والفصد الى الفصد الحق وتحقيق الحق الى مالا نهاية له

﴿قال ابو محمد﴾ أفكار السوء اذا ظن صاحبها انه يدفق فيها فهي أضر عليه لانها تخرجه الى التخليط الذي ينسبونه الى السوفسطائية والى الهذيان المحض وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

﴿قال ابو محمد﴾ والكلام في هذا آيين من ان يشكل علي عامي فكيف علي فهم (١) فكيف علي عالم والحمد لله ونحن نتكلم علي هذا ان شاء الله عز وجل كلاما ظاهرا لا تحالايخفي علي ذي حس سليم والله تعالى نتايد فنقول والله تعالى التوفيق . أما القدم فانه من صفات الزمن ومن فيه تقول ملك أقدم من ملك وزمان أقدم من زمان وشيخ أقدم من شيخ اي انه متقدم بزمانه عليه والزمان متقدم بذاته علي الزمان ليس في العالم قدم قديم الازماني هذا هو حكم اللغة التي لا يوجد فيها غيره أصلا ، فالقدم هو التقدم والتقدم متقدم علي غيره بنفسه فقط لان القدم موجود معلوم وهي صفة المتقدم فلا يجوز انكاره واما قدم القدم فباطل لانه لم يات به نص ولا قام بوجوده دليلا وما كان هكذا فهو باطل واما وجود الموجود فبضرورة الحس ان الموجود حق وانه يقتضي واجد وان الوجد يقتضي وجودا لما وجد هو فعل الواجد وصفته

فهو حق لما ذكرنا وجود الواحد بذاته لا بوجود هو غيره لان وجود الوجود لم يات به نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل ، وأما الباري عز وجل فانه يحد نفسه ويعلمها ويحد مادونه ويعلمه بذاته لا بوجود هو غيره ولا يعلم هو غيره فقط وكذلك العالم منا يقتضى علما ولا بد هو فعل العالم وصفته المحمولة فيه عرضيين ويزيد ويذهب ويثبت اطوارا هذا مالا شك فيه والعالم منا يعلم انه يحمل علما يعلمه ذلك لا يعلم هو غير علمه لان العلم بالعلم لم يوجب وجوده نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل وكذلك الباقي مثاله بلا شك والبقاء هو اتصال وجوده مدة بعد مدة وهذا معنى صحيح لا يجوز ان ينكره عاقل فاما بقاء البقاء فلم يات بإيجاب وجود نص ولا قام به برهان وما كان هكذا فهو باطل ولا يجوز ان يوصف الله تعالى ببقاء البقاء ولا انه (١) باق كما لا يوصف بالخلد ولا بانه خالد ولا بالدوام ولا بانه دائم ولا بالثبات ولا بانه ثابت ولا بطول العمر ولا بطول المدة لان الله عز وجل لم يسم نفسه بشيء من ذلك لافي القرآن ولا في لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قاله قط أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا قام به برهان بل البرهان قام ببطلان ذلك لاركل ما ذكرنا من صفات المخلوقين ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بشيء من صفات المخلوقين الا ان ياتي نص بان يسمى باسم ما يوقف عنده ولان كل ما ذكرنا اعراض فيها هو فيه والله تعالى لا يحمل الاعراض وايضا فانه عز وجل لافي زمان ولا يمر عليه زمان ولا هو متحرك ولا ساكن لكن يقال لم يزل الله تعالى ولا يزال ، واما الفناء فانه مدة لعدم تعدا اجزاء الحركات والسكون ولا يجوز ان تكون للمدة مدة لسكنها مدة في نفسها ولنفسها فالقول بالزمان حق لانه محسوس معلوم واما القول بزمان الزمان فهو شيء لم يات به نص ولا قام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل ، واما ظهور الظاهر فهو متيقن معلوم والظهور صفة الظاهر وفله تقول ظهر يظهر ظهورا والظهور معلوم ظاهر بنفسه ولا يجوز ان يقال ان للظهور ظهورا لانه لم يات به نص ولا قام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل ، واما خفاء الخافي فهو عدم ظهوره وعدم ليس شيئا كما قدمنا ، واما القصد الى الشيء والنية له فاما ما قبل القاصد والناوي واراذهما الشيء والقول بهما واجب لانهما موجودان بالضرورة يحدهما كل واحد من نفسه ويعلمهما من غيره علما ضروريا واما القصد الى القصد والنية للنية فباطل لانه لم يات به نص ولا اوجبها دليل وما كان هكذا فهو باطل والقول به لا يجوز فهذا وجه البيان فيما خفي عليهم حتى اتوا فيه بهذا التخليط والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ثم نقول لهم اخبرونا اذا قلتم هذه احوال أهي معاني ومسميات مضبوطة محدودة متميز بعضها من بعض ام ليست معاني اصلا ولا لها مسميات ولا هي مضبوطة ولا محدودة متميز بعضها من بعض ، فان قالوا ليست معاني ولا محدودة ولا مضبوطة ولا متميزا بعضها من بعض ولاتلك الاسماء مسميات اصلا ، قيل لهم فهذا هو معنى العدم حقا فلم قلتم انها ليست بمدومة ثم لم يسميتموها احوالا وهي مدومة ولا تكون التسمية الا شرعية اولغوية وتسميتكم هذه المعاني احوالا ليست تسمية شرعية ولا لغوية ولا مصطلحا عليها لبيان ما يقع عليه فهي باطل محض يتيقن ، فان قالوا هي معاني مضبوطة ولها مسميات محدودة متميز بعضها من بعض قيل لهم هذه صفة الموجود ولا بد فلم قلتم انها ليست موجودة وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ويقال لهم ايضا هذه الاحوال التي تقولون امقولة هي أم غير مقولة فان قالوا هي مقولة كانوا قد اثبتوا لها معاني وحقائق من اجلها غفلت فهي موجودة ولا بد والعدم ليس مقولا لكنه لا معنى لهذه اللفظة اصلا وبالله تعالى التوفيق ، ويقال لهم ايضا هل الاحوال في اللغة

وفي المقول الا صفات لذي حال وهل الحال في اللغة الا بمعنى التحول من صفة الى اخرى يقال هذا حال فلان اليوم وكيف كانت حالك بالامس وكيف يكون الحال غدا فاذا الامر هكذا ولا بد فلهذا الاحوال موجودة حق مخلوقة ولا بد فظهر فساد قولهم وانه من اسخف الهذيان والمحال المشع الذي لا يرضى به عاقل ، ويقال لهم ايضا قبل كل شيء وبعد فمن اين سميت هذا الاسم يعني الاحوال ومن اين قلتم لاهي معلومة ولا هي مجهولة ولا حق ولا باطل ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معدومة ولا موجودة ولا هي اشياء ولا غير اشياء أي دليل حداكم على هذا الحكم أقرآن أم سنة أم اجماع أم قول متقدم أم لغة أم ضرورة عقل أم دليل اقناعي أم قياس فها توه ولا سبيل اليه فلم يبق الا الهذر والموس وقلة المبالاة بما يكتبه الملكان ويسال عنه رب العالمين والتهاون باستخفاف أهل المقول لمن قال بهذا الجنون ولا مزيد ونعوذ بالله من الخذلان ، وما ينبغي لهم بعد هذا أن ينكروا على من أتى بما لا يعقل ككون الجسم في مكانين والجسمين في مكان واحد وكون شيء قائما قاعدا وكون اشياء غير متناهية في وقت واحد فان قالوا هذا كفر قيل لهم بل الكفر ما جئتم به لانه ابطال الحقائق كلها والعجب كل العجب انهم لا يجوزون قدرة الله تعالى على ما هو عاقل عندهم وقد اتوا في هذا الفصل بين المحال ونعوذ بالله من الخذلان

قال ابو محمد رحمه الله وكلامهم في هذه المسألة كلام ماسع باسخف منه ولا قول السوفسطائية ولا قول النصارى ولا قول الغالية على ان هذه الفرق احمق الفرق اقوالا اما السوفسطائية فانهم قطعوا على ان الاشياء باطل لاحق أو انها حق عند من هي عنده حق وباطل عند من هي عنده باطل ، وأما النصارى والغالية فان كانت هاتان الفرقتان قد اتتا بالظن فانهم قطعوا بانها حق ، وأما هؤلاء المخاذيل فانهم اتوا بقول حقيقته وابطلوه ولم يحققوه ولا ابطالوه كل ذلك مما في وقت واحد من وجه واحد وهذا لا ياتي به الا مبرسم (١) او مجنون أو ماجن يريد أن يضحك من ممة

قال ابو محمد رحمه الله ونحن نكلف بيان هذا التخليط التي اتوا به وان كان مكتفيا بسماحه ولكن التزيد من ابطال الباطل ما أمكن حسن فنقول وبالله تعالى التوفيق ان قولهم لاهي حق ولا هي باطل فان كل ذي حس سليم يدري أن كل مالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن باطلا فهو حق هذا لا يعقل غيره فكيف وقد قال الله تعالى * فاذا بعد الحق الا الضلال * وقال تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل * وقال تعالى * هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون * وقال تعالى * خلق كل شيء فقدره * وقال تعالى * انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا * وقال * فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم *

قال ابو محمد رحمه الله وهؤلاء قوم ينتمون الى الاسلام ويصدقون القرآن ولولا ذلك ما حجبنا عليهم فقد قطع الله تعالى انه ليس الا حق او باطل وليس الا علم او جهل وهو عدم العلم وليس الوجود او عدم وليس الا شيء مخلوق او الخالق او لفظه العدم التي لا تقع على شيء ولا على مخلوق فقد اكذبهم الله عز وجل في دعواهم ولا يشك ذو حس سليم ان مالم يكن باطلا فهو حق ومالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن معلوما فهو مجهول ومالم يكن مجهولا فهو معلوم ومالم يكن شيئا فهو لا شيء ومالم يكن لا شيء فهو شيء ومالم يكن موجودا فهو معدوم وما لم يكن معدوما فهو موجود ومالم يكن مخلوقا فهو غير مخلوق ومالم يكن غير مخلوق فهو مخلوق ، هذا كله معلوم ضرورة ولا يعقل غيره ، فاذ هذا كذلك ولا فرق بين ما قلوه في هذه القضية وبين القول اللازم لهم ضرورة وهو ان تلك الاحوال معدومة موجودة مما حق باطل مما معلومة مجهولة مما مخلوقة غير مخلوقة مما شيء لا شيء مما وهذا هو نفس قولهم ومقتضاه ، لا تهم اذ قالوا ليست حقا

(١) لبرسم الذي يهذى من علة البرسام وهي الحمى من الجدري

فقد اوجبوا انها باطل واذا قالوا ولا هي باطل فقد اوجبوا انها حق وهكذا في سائر ماقلوه ، فاعجبوا المقول وسع هذا فيها وسخموا به ورقم ، وعجب آخر وهو قولهم ان هاهنا احوالا ولنظة هاهنا معناها الاثبات بلا شك فهي موجودة ثابتة بلا شك ﴿ قال ابو محمد ﴾ ولم يخلصوا من هذا من قول معمر في وجوب وجود اشياء لانهاية لها وان يصيروا الى قولنا في ابطال هذه التي يسمونها أحوالا واعدادها جملة وما نعلم هوسا الا وقد انتظمت هذه المقالة ونموذ بالله من الخذلان * ومسئلة أخرى

قالت الاشعرية ليس في العالم شيء له بعض أصلا ولا شيء له نصف ولا ثلث ولا ربع ولا خمس ولا سدس ولا سبع ولا ثمن ولا تسع ولا عشر ولا جزء أصلا واحتجوا في هذا بان قالوا يلزم من قال ان الواحد عشر العشرة وجزء من العشرة وبعض العشرة ان يقول ولا بد ان الواحد عشر من نفسه وجزء من نفسه وبعض نفسه وانه جزء لعشر لعشر لان العشرة تسعة وواحد فلو كان الواحد عشر العشرة وبعضا للعشرة وجزءا للعشرة لكان عشرا لنفسه ولتسعه التي هي غيره ولكن جزأ بعضا لنفسه ولتسعه التي هي غيره

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا خبط شديد أول ذلك انه رد على الله تعالى مجرد وتكذيب للقرآن وخلاف اللغة بل لجميع اللغات ومكابرة للمقول وللحواس قال تعالى * واذا خلا بعضهم الى بعض * وقال تعالى * يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * وقال تعالى * فلامه الثلث ، فلامه السدس ، فلها ، النصف ، ولهن الربع ، ولهن الثمن * فقد كذبوا القرآن نصا ثم هذا موجود في كل طبيعة وفي كل لمة ومحسوس بالحواس ثم يقال لهم لافرق بينكم وبين من صحح ولم ينكر كون الشيء بعض نفسه وبعض غيره وجزأ لنفسه وجزأ لغيره وعشر نفسه وعشر غيره واحتج في تصحيح ذلك بالحجة التي رمت بها ابطال ذلك ولا مزيد ، وكلا كما متسكع (١) في ظلمة الخطأ ، ثم تقول لهم - وبالله تعالى التوفيق - ليس الامر كما ظننتم بل الاسماء موضوعة للتفام ولتمييز بعض السميات من بعض ، فالعشرة اسم للعشرة افراد مجتمعات في العدد كذلك لتسعة وواحد ولثمانية واثنين ولسبعة وثلاثة ولسته وأربعة وخمسة وخمسة قال تعالى * ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة * وهكذا جميع الاعداد لا ينكر ذلك الا مخذول منكر للمشاهدة ، فبالضرورة ندري ان كل جزء من تلك الجملة فهو بعض لها وعشر لها وقسم منها لنسبة ما ولا يقال هو جزء لنفسه ولا جزء لغيره ولا انه بعض لنفسه ولا انه بعض لغيره ولا عشر لنفسه ولا عشر لغيره ومثل هذا البلق الذي هو اسم لاجتماع السواد والبياض معا فالبياض والبلق والسواد بعض البلق وليس البياض جزأ لنفسه وللسواد ولا بعضا لنفسه وللسواد وكل واحد منهما جزء للباقي ، وكذلك الانسان اسم للجملة المجتمعة من اعضائه ولا شك في ان العين بعض الانسان وجزء من الانسان ولا يحتمل ان يقال العين بعض نفسها وبعض الاذن واليد ولا ان يقال الاذن جزء لنفسها وللعين والاتف وهكذا في سائر الاعضاء ، فعلي قول هؤلاء النوكي (٢) يلزمهم ان لا تكون العين بعض الانسان وان يقولوا ان العين بعض نفسها وبعض الاذن ، ومن ابطال الاباض والاجزاء فقد ابطال الجمل لان الجمل ليست شيئا البتة غير اباضا ومن ابطال الجمل فقد ابطال الكل والجزء وابطل العالم بكل ما فيه واذا بطل العالم بطل الدين والعقل ، وهذه حقيقة السفسطة وما علم في الاقوال احق من هذه المسالة ومن التي قبلها نموذ بالله من الخذلان

(١) المتسكع المتصف في مشيه والذي لا يهتدى في امره والمتحير والمتأدى في الباطل

(٢) النوكي كالحق وزنا ومعنى جمع انوك كاحق

(*) الكلام في خلق الله عز وجل للعالم في كل وقت وزيادته في كل دقيقة (*)

(قال ابو محمد) وذكر عن النظام انه قال ان الله تعالى ما يخلق كل ما خلق في وقت واحد دون ان يعدمه وأنكر عليه القول ببعض أهل الكلام

(*) (قال ابو محمد) * وقول النظام هاهنا صحيح لاننا اذا اثبتنا ان خلق الشيء نفسه فخلق الله تعالى قائم في كل موجود ابدا مادام ذلك الموجود موجودا وايضا فانا نسألهم مامعنى قولكم خلق الله تعالى امر كذا فجوابهم ان معنى خلقه انه تعالى اخرجه من العدم الى الوجود فنقول لهم اليس معنى هذا القول منكم انه اوجده ولم يكن موجودا فلا بد من قولهم نعم . فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق فالخلق هو اليجاد عندكم بلا شك فآخبرونا أليس الله تعالى موجودا لكل موجود ابدا مدة وجوده فان أنكروا ذلك أحالوا وأوجبوا ان الاشياء موجودة وليس الله تعالى موجودا لها الا الآن وهذا تناقض وان قالوا نعم فان الله تعالى موجود لكل موجود ابدا مادام موجودا قلنا لهم هذا هو الذى انكرتم بعينه قد اقررتم به لان اليجاد هو الخلق نفسه والله تعالى موجود لكل ما يوجد في كل وقت ابدا وان لم يفنه قبل ذلك والله تعالى خالق لكل مخلوق في كل وقت وان لم يفنه قبل ذلك وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو قول الله تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * وصح البرهان بان الله تعالى خلق التراب والماء الذى يتغذى آدم وبنوه بما استحال عنهما وصارت فيه دماء واحاله الله تعالى منها فثبت بهذا يقينا ان جميع اجساد الحيوان والنوامى كلها منفردة ثم جمعها الله تعالى فقام منها الحيوان والنوامى وقال عز وجل * ثم أنشأنا خلقا آخر * وقال تعالى خلقنا من بعد خلق * فصيح ان في كل حين يحبل الله تعالى أحوال مخلوقاته فهو خلق جديد والله تعالى يخلق في كل حين جميع العالم خلقا مستأنفا دون ان يفنيه وبالله تعالى التوفيق

(*) (الكلام في الحركة والسكون)

(قال ابو محمد) ذهبت طائفة الى أنه لا حركة في العالم وان كل ذلك سكون واحتجوا بان قالوا وجدنا الشيء ساكنا في المكان الاول ساكنا في المكان الثانى وهكذا أبدا فلمنا ان كل ذلك سكون ، وهذا قول منسوب الى معمر بن عمرو المطار مولى بنى سليم أحد رؤساء المعتزلة وذهبت طائفة الى أن لا سكون أصلا وانما هي حركة اعتاد ، وهذا قول ينسب الى ابراهيم بن سيار النظام ، واحتج غير النظام من اهل هذه المقالة بان قالوا السكون انما هو عدم الحركة والعدم ليس شيئا ، وقال بعضهم هو ترك الحركة وترك الفعل ليس فعلا ولا هو معنى ، وذهبت طائفة الى ابطال الحركة والسكون معا ، وقالوا انما يوجد متحرك وساكن فقط وهو قول ابى بكر بن كيسان الاصم ، وذهبت طائفة الى ان الجسم في اول خلق الله تعالى ليس ساكنا ولا متحركا ، وذهبت طائفة الى اثبات الحركة والسكون الا انها قالت ان الحركات اجسام ، وهو قول هشام بن الحكم شيخ الامامية وجههم بن صفوان السمرقندى ، وذهبت طائفة الى اثبات الحركة والسكون وان كل ذلك اعراض ، وهذا هو الحق . فاما من قال بنى الحركة وان كل ذلك سكون فتقولهم يبطل باننا قد علمنا بان السكون انما هو اقامة في المكان ، وان الحركة نقلة عن ذلك المكان وزوال عنه ، ولا شك في ان الزوال عن الشيء هو غير الاقامة فيه ، فاذ الامر كذلك فواجب ان يكون لهذين المعنيين التغايرين لكل واحد منهما اسم غير اسم الآخر كماهما متغايران ، فاتفق في اللغة ان يسمى احدهما حركة ويسمى الآخر سكونا وأما قولهم ان كل حركة فهي سكون في المكان الثانى فليس كذلك ، لان السكون اقامة لا نقلة فيها فاذا وجدت نقلة متصلة لا اقامة فيها فهي غير الاقامة التي لا نقلة فيها ، ونوع آخر له أيضا اشخاص غير اشخاص

النوع الآخر ، وبيقين ندري ان الشيء المتحرك من مكان الى مكان فانه وان جاوز كل مكان يمر عليه فانه غير واقف ولا مقيم ، هذا مالا شك فيه يعرف ذلك بضرورة الحس ، فصح ان الحركة بمعنى وان السكون معنى آخر ، وأما من قال ان السكون حركة اعتاد فاحتجاج لا يقبل فلا وجه للاشتغال به ، وأما حجة من احتج بان السكون عدم الحركة والدم ليس شيئا فليس كما قال ، لانه عقب الحركة اقامة موجودة ظاهرة فهي وان كان معها بوجودها عدمت الحركة فليست هي عدما كما ان القيام معنى صحيح موجود وان كان قد عدمت معه سائر الحركات والاعمال من القعود والالتكأ والاضطجاع ، ويقال لهم وما الفرق بينكم وبين من قال بل الحركة ليست معنى لانها عدم السكون فهذا مالا انفكاك عنه وكذلك من قال أيضا ان المرض ليس معنى لانه عدم الصحة والصحة ليست معنى لانها عدم المرض ومثل هذا كثير جدا وفي هذا ابطال الحقائق كلها وأما من قال ان الترك ليس معنى فخطا لان كل من دون الله تعالى فانه ان ترك معنى ما وفلا ما فلا بد له ضرورة من فعل آخر ومعنى آخر هذا أمر يوجد بالمشاهدة والحس لا يمكن غير ذلك فصح ان ترك من دون الله تعالى لفعل ما هو أيضا فعل صحيح بوجوده منه سمى تاركا لما تركه وليس الله تعالى كذلك بل لم يزل غير فاعل ولم يكن بذلك فاعلا للترك لان ترك الانسان للفعل كما بينا عرض موجود فيه وهو حامل له ولو كان لتترك الله تعالى للفعل معنى لكان قائما به تعالى ومعاذ الله من هذا من أن يكون عز وجل حاملا لمرض فلو كان أيضا قائما بنفسه لكان جوهره والترك ليس جوهره ولو كان قائما بغيره عز وجل لكان تعالى فاعلا له غير تارك ، فصح الفرق وبالله تعالى التوفيق ، وأما من أبطل الحركة والسكون مما فقول فاسد أيضا ، لانه أثبت المتحرك والسكون مع ذلك وبيقين يدري كل ذي حس سليم ان من تحرك سكن ، فان تلك العين المتحركة ثم الساكنة هي عين واحدة وذات واحدة لم تتبدل ذاتها وانما تبدل عرضها المحمول فيها ، فبالضرورة ندري أنه حدث فيه أولاؤه اومنه معنى من أجله استحق أن يسمى متحركا وانه حدث فيه أولاؤه اومنه أيضا معنى من أجله استحق أن يسمى ساكنا ، ولولا ذلك لم يكن بان يسمى متحركا احق به منه بان يسمى ساكنا ، وهذا أمر محسوس مشاهد ، فذلك المعنى هو الحركة أو السكون فصح وجودهما ضرورة ، ولا فرق بين من أثبت الساكن والمتحرك ونفى الحركة والسكون ، ولا فرق بينه وبين من أثبت الضارب والقائم والأكل وأبطل الضرب والاكل والقيام ، وهذه سفسطة صحيحة وبالله تعالى التوفيق وأما من قال ان الجسم في أول خلق الله عز وجل له ليس ساكنا ولا متحركا فكلام فاسد أيضا لانه لا يتوهم ولا يقبل معنى ثالث ليس حركة ولا سكونا وهذا لا يتشكل في النفس ولا يشته عقل ولا سمع ، وأيضا فلانه قول لا دليل عليه فهو باطل ، ولا شك في أن الله تعالى اذا خلق الجسم فانما يخلقه في زمان ومكان فاذا شك في ذلك فالجسم في أول حدوثه ساكن في المكان الذي خلقه الله تعالى فيه ولو بطريقة عين ، ثم اما أن يتصل سكونه فيه فتطول اقامته فيه ، واما أن ينتقل عنه فيكون متحركا عنه ، فان قال قائل بل هو متحرك لانه خارج عن العلم الى الوجود قيل له هذا منك تسمية فاسدة ، لان الحركة في اللغة وهي التي يتكلم عليها إنما هي قلة من مكان الى مكان ، والدم ليس مكانا ولم يكن المخلوق شيئا قبل أن يخلقه الله تعالى فخال خلده هي أول احواله التي لم يكن هو قبلها فكيف ان يكون له حال قبلها فلم ينتقل اصلا بل ابتداءه الله تعالى الآن ، واما الجسم الكلي الذي هو جرم العالم جملة وهو الفلك الكلي فكل جزء منه مقدر مفروض فان أجزائه ، المحيطة به من أربع جهات والجزء الذي يليه في جهة عمق الفلك هو مكانه ، ولا مكان له في الصفحة التي تاتي الاجزاء التي ذكرنا ، والله تعالى يسكه بقوته كما يشاء ولا يلاقيه من صفحته العليا شيء اصلا ولا هناك مكان ولا زمان ولا خلا ولا ملا

وقال ابو محمد رحمه ورأيت لبعض النوكي ممن يتنمى الى الكلام قولنا ظريفا ، وهو انه قال ان الله تعالى اذا

خلق الارض خلق جرم عظيم يسكنها لثلاث حركات سفل فحين خلق ذلك الجرم اعدمه وخلق آخر وهكذا ابدا بلا نهاية لانه زعم لوقاه وقدين لاحتاج الى مسك وهكذا ابدا الى ما لا نهاية له كان هذا الانوك لم يسمع قول الله تعالى * ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده * فصح ان الله تعالى يمسك الكل كما هو دون عمد لاز يادة ولا جرم آخر ، ولو ان هؤلاء المخاذيل اذعدموا العلم تمسكوا باتباع القرآن والسكوت عن الزيادة والخبر عن الله بما لا علم لهم به لكان اسلم لهم في الدين والدنيا ، ولكن من يضل الله فلا هادي له ونموذ بالله من الضلال ، اما من قال ان الحركات اجسام غطا ، لان الجسم في اللغة موضوع للطويل البريض العبيق ذي المساحة ، وليست الحركة كذلك فليست جسام ولا يجوز ان يقع عليها اسم جسم اذ لم يأت ذلك في اللغة ولا في الشريعة ولا اوجبه دليل او وضع انها ليست جسام فهي بلا شك عرض ، واما من قال ان الحركة ترى فقول فاسد ، لانه قد صح ان البصر لا يقع في هذا العالم الاعلى لو ان في ملون فقط ، ويقتن ندرى ان الحركة لا لون لها فاذا لولون لها فلا سبيل الى ان ترى ، وانما علمنا كون الحركة لا تتأري ان اللون المتحرك في مكان ما ، ثم رأينا في مكان آخر فعلنا ان ذلك الملون قد انتقل عن مكان الى مكان بلا شك ، وهذا المعنى هو الحركة ، او بان يحس الجسم قد انتقل من مكان الى مكان فيدرى حينئذ من لاسه وان كان أعمى او مطبق العينين انه يتحرك ، وبرهان ما قلنا ان الهواء لما لم يكن له لون لم يره احد وانما يعلم توجهه وتحركه بملاقات قانه منتقل وهو هبوب الرياح ، وكذلك ايضا علمنا حركة الصوت باحساسنا الصوت ياتي من مكان ما الى مكان ما ، وكذلك القول في الحركة في المشموم من الطيب والتتن وحركة المذوق ، فبطل قول من قال ان الحركات ترى ، وصح ان الحركة ليست لونا ولا لاهلون ولو كان هذا الامكن لآخر ان يدعى ان الحركة انه يسمع الحركة وهذا خطأ ، لانه لا يسمع الا الصوت والامكن لآخر ان يدعى ان الحركة تلمس وهذا خطأ ، وانما يلمس المجسمة من الخشونة والاملاس او غير ذلك من المجسئات ، والحق من هذا انما هو ان الحركة تعرف وتوجد بعوسط كل ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق .

﴿ قال ابو محمد ﴾ والحركات النقلة المكانية تنقسم قسمين لاثالث لهما ، اما حركة ضرورية او اختيارية ، فالاختيارية هي فعل النفوس الحية من الملائكة والانس والجن وسائر الحيوان كله ، وهي التي تكون الى جهات شتى في غير رتبة معلومة الاوقات ، وكذلك السكون الاختياري والحركة الضرورية تنقسم قسمين لاثالث لهما اما طبيعية واما قسرية ، والاضطرارية هي الحركة الكائنة بمن ظهرت منه عن غير قصد منه اليها ، واما الطبيعية فهي حركة كل شيء غير محي مما بناه الله عليه كحركة الماء الى وسط المركز ، وحركة الارض كذلك ، وحركة الهواء والنار الى مواضعها ؛ وحركة الافلاك والكواكب دورا ، وحركة عروق الجسد النوايض ، والسكون الطبيعي هو سكون كل ما ذكرنا في عصره ، واما القسرية فهي حركة كل شيء دخل عليه ما يحيل حركته عن طبيعته او عن اختياره الى غيرها ، كتحرريك المرء قهرا وتحريك الماء علوا والحجر كذلك ، وتتحريك النار سفلا والهواء كذلك ، وتنعبد الهواء ، كمكس الشمس لحر النار ، والسكون القسري هو توقيف الشيء في غير عنصره ، او توقيف المختار كرها ، وبالله تعالى التوفيق .

﴿ الكلام في التولد ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ تنازع المتكلمون في معنى عبروا عنه بالتولد وهو انهم اختلفوا فيمن رمي سهما فخرج به انسانا وغيره ، وفي حرق النار وتبريد الثلج وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات ، فقالت طائفة ما تولد من ذلك عن فعل انسان او حي فهو فعل الانسان والحي ، واختلفوا فيما تولد من غير حي فقالت طائفة هو فعل الله ، وقالت طائفة ما تولد من غير حي فهو فعل الطبيعة ، وقال آخرون كل ذلك فعل الله عز وجل . ﴿ قال ابو محمد ﴾ فهؤلاء مبطلون للحقائق غائبون عن موجبات العقول .

﴿ قال ابو محمد ﴾ والامرا بين من ان يطول فيه الخطاب والحمد لله رب العالمين والصواب في ذلك : ان كل ما في العالم من جسم أو عرض في جسم أو اثر من جسم فهو خلق الله عز وجل ، فكل ذلك فعل الله عز وجل بمعنى انه خلقه وكل ذلك مضاف بنص القرآن وبحكم اللغة الى ما ظهرت منه من حي أو جماد قال تعالى ﴿ فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ﴾ فنسب عز وجل الاهتزاز والانبات والربو الى الارض وقال ﴿ تلفح وجوههم النار ﴾ فآخبر تعالى ان النار تلفح وقال تعالى ﴿ وان يستنشقوا ينشأوا بماء كاللهل يشوى الوجوه ﴾ فآخبر عز وجل ان الماء يشوى الوجوه وقال تعالى ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير ربة مؤمنة ﴾ فسمي تعالى المخطيء قاتلاً ووجب عليه حكماً وهو لم يقصد قتله قط لكنه تولد عن فعله ، وقال تعالى ﴿ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ فآخبر تعالى ان الكلم والعمل عرض من الاعراض وقال تعالى أفا من مات او قتل انقلبتم ﴿ وقال تعالى ﴿ على شفا جرف هار فانهار به ﴾ ولم تختلف امة ولا لغة في صحة قول القائل مات فلان وسقط الحائط فنسب الله تعالى وجميع خلقه الموت الى الميت ، والسقوط الى الحائط ، والانهار الى الجرف ، لظهور كل ذلك منها ليس في القرآن ولا في السنن ولا في المقول شيء غير هذا الحكم ، ومن خالف هذا فقد اعترض على الله تعالى وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الامم وعلى جميع عقولهم ، وهذه صفة من عظمت مصيبتة بنفسه ومن لا دين له ولا عقل ولا حياة ولا علم ، وصح بكل ما ذكرنا ان اضافة كل اثر في العالم الى الله تعالى هي على غير اضافته الى من ظهر منه ، فلما اضافته الى الله تعالى فلانه خلقه ، وأما اضافته الى من ظهر منه أو تولد عنه فلظهوره منه اتباعاً للقرآن ولجميع اللغات ولسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل هذه الاخبارات وكلتا هاتين الاضافتين حق لا مجاز في شيء من ذلك ، لانه لا فرق بين ما ظهر من حي مختار أو من غير حي مختار في أن كل ذلك ظاهر مما ظهر منه ، وانه مخلوق لله تعالى ، الا ان الله تعالى خلق في الحي اختياراً لما ظهر منه ، ولم يخلق الاختيار فيما ليس حياً ولا مريداً ، فأتولد عن فعل فاعل فهو فعل الله عز وجل بمعنى انه خلقه ، وهو فعل ما ظهر منه بمعنى أنه ظهر منه ، قال الله تعالى ﴿ فلم تقتلوه ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ﴾ وقال تعالى ﴿ افرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه ام نحن الزارعون ﴾ وهذا نص قولنا وبالله تعالى التوفيق .

﴿ الكلام في المداخلة والمجاورة والكمون ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهب القائلون بان الالوان اجسام الى المداخلة ومعنى هذه اللفظة ان الجسمين يتداخلا فيكونان جميعاً في مكان واحد

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كلام فاسد لما سنبينه ان شاء الله تعالى في باب الكلام في الاجسام والاعراض من ديواننا هذا وبالله تعالى التوفيق من ذلك ان كل جسم فله مساحة واذا كان كذلك فله مكان زائد ، واذله مكان بقدر مساحته ولا بد ، فان كل جسم زيد عليه جسم آخر فان ذلك الجسم الزائد يحتاج الى مكان زائد من اجل مساحته الزائدة ، هذا امر يعلم بالمشاهدة فان اختلط الامر طي من لم يثمر من معرفة حدود الكلام من اجل ما يرى في الاجسام المتخلخلة من تخلل الاجسام المايعة لها ، فاما هذا الان في خلال اجزاء تلك الاجسام المتخلخلة خروقا صفارا مملوءه هواء فاذا صب عليها الماء او مائع مما لتلك الخروق وخرج عنها الهواء الذي كان فيها ، وهذا ظاهر للمعين محسوس خروج الهواء عنها بنفاخات وصوت من كل ما يخرج عنه الهواء مسرعا والذي ذكرنا فانه اذا تم خروج الهواء عنه وزيد في عدد المائع ربا واحتاج الى مكان زائد واما الذي ذكرنا قبل فانه في الاجسام المكتنزة كماء صب على ماء او دهن على دهن او دهن على ماء وهكذا في كل شيء من هذه الانواع وغيرها ،

فصح بقينا ان الجسم انما يكون في الجسم على سبيل المجاورة كل واحد في حيز غير حيز الآخر، وانما تكون المداخل بين الاعراض والاجسام وبين الاعراض والاعراض ، لان العرض لا يشتمل مكانا فيجد اللون والطعم والمجسة والرائحة والحر والبرد والسكون كل ذلك مداخل للجسم ومداخل بمضه بمضا ، ولا يمكن ان يكون جسم واحد في مكانين ولا جسمان في مكان واحد ، ثم ان المجاورة بين الجسمين تنقسم اقسام احدهما ان يخلع احد الجسمين كفياته ويلبس كيفية الآخر ، كنقطة رمية في دن خل اودن مرق اوفى لبن اوفى مداد اوشىء يسير من بعض هذه في بعض اومن غيرها كذلك ، فان الغالب منها يسلب المطلوب كفياته الذاتية والغيرية ويذهبها عنه ويلبسه كفياته نفسه الذاتية والغيرية ، والثاني ان يخلع كل واحد منهما كفياته الذاتية والغيرية ويلبسا معا كفيات اخر ، كما الزاج اذا جاور ماء العفص ، وكجسم الجير اذا جاور جسم الزرنيخ ، وكسائر المعاجن كلها والدقيق والماء وغير ذلك ، والثالث ان لا يخلع واحد منهما عن نفسه كيفية من كفياته لا الذاتية ولا الغيرية بل يبقى كل واحد منهما كما كان كزيت اضيف الى ماء كحجر الى حجر وثوب الى ثوب ، فهذا حقيقة الكلام في المداخل والمجاورة * واما الكمون فان طائفة ذهبت الى ان النار كائنة في الحجر وذهبت طائفة الى ابطال هذا وقالت انه لا نار في الحجر اصلا وهو قول ضرار بن عمرو

(قال ابو محمد) وكل طائفة منهما فانها تفرط على الاخرى فيما تدعى عليها ، فضرار ينسب الى مخالفة ائهم يقولون بان النخلة بطولها وعرضها وعظمها كائنة في النواة ، وان الانسان بطوله او عرضه وعمقه وعظمه كامن في المني ، وخصومه ينسبون اليه انه يقول ليس في النار حر ولا في العنب عصير ولا في الزيتون زيت ولا في الانسان دم .

(قال ابو محمد) وكلا القولين جنون محض ومكابرة للحواس والعقول ، والحق في ذلك ان في الاشياء ما هو كامن كالدن في الانسان والعصير في العنب والزيت في الزيتون والماء في كل ما يتصر منه ، وبرهان ذلك ان كل ما ذكرنا اذا خرج مما كان كائنا فيه ضمير الباقي لخروج ما خرج وخف وزنه لذلك عما كان عليه قبل خروج الذي خرج ، ومن الاشياء ما ليس كائنا كالنار في الحجر والحديد ، لكن في حجر الزناد والحديد الذكروا اذا تضاعطا احتدم ما بينهما من الهواء فاستحال نارا ، وهكذا يعرض لكل شيء من حرق فان رطوباته تستحيل نارا ثم دخانها ثم هواء في طبع النار استخراج ناريات الاجسام وتصمير رطوباتها حتى يفي كل ما في الجسم من الناريات والمائيات عنه بالخروج ثم لو نفخت دهر ك على ما بقي من الارضية المحضة وهي الرماد لم يحترق ولا اشغل اذ ليس فيه نار فتخرج ولا ماء فيتصمد ، وكذلك دهن السراج فانه كثير الناريات بطبعه فيستحيل بما فيه من المائية اليسيرة دخانا هوائيا وتخرج ناريتها حتى يذهب كله ، واما القول في النوى والبزور والنطف ، فان في النواة وفي البزور وفي النطفة طبيعة خلقها في كل ذلك الله عز وجل ، وهي قوة تجذب الرطوبات الواردة عليها من الماء والزر بل ولطيف التراب الوارد كل ذلك على النواة والبزور ، فتتحيل كل ذلك الى ما في طبعها حالته اليه فيصير عودا ولحاء وورقا وزهرا ونمرا وخوصا وكوما ، ومثل الدم الوارد على النطفة فتحيله طبيسته التي خلفها الله تعالى فيه لحما ودما وعظما وعصبا وعروقا وشرائين وعضلا وغضاريف وجلدا وظفرا وشعرا ، وكل ذلك خلق الله تعالى فبارك الله احسن الخالقين والحمد لله رب العالمين

قال ابو محمد - وذهب الباتلاني وسائر الاشعرية الا انه ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا في الزيتون زيت ولا في العنب عصير ولا في الانسان دم ، وهذا امر ناظرنا عليه من لاقيناه منهم . والعجب كل العجب قولهم هذا التخليط وانكار ما يعرف بالحواس وضرة العقل ، ثم هم يقولون مع هذا : ان

للزجاج والحصاطمماورائحة ، وان لتشور العنب رائحة ، وان للفلك طعماورائحة . وهذا احدى عجائب الدنيا ﴿ قال ابو محمد ﴾ وما وجدنا لم في ذلك حجة غير دعواهم ان الله تعالى خلق كل حر نجده في النار عند مسنا ايها وكذلك خلق البرد في الثلج عند مسنا ايها وكذلك خلق الزيت عند عصر الزيتون والعصير عند عصر العنب والدم عند القطع والشرط ﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذا تعلقوا من هذا بحواسهم فمن اين قالوا ان المزجاج طعماورائحة ولللك طعماورائحة وهذا موضع تشهد الحواس بتكذيبهم في احدها ولا تدرك الحواس الآخر ويقال لهم لعل الناس ليس في الارض منهم أحد وانما خلفهم الله عند رؤيتكم لهم ولعل بطونكم لامصارين فيهاورؤسكم لادمغة فيها لكن الله عز وجل خلق كل ذلك عند الشدخ والشق ﴿ قال ابو محمد ﴾ وقول الله تعالى يكذبهم اذ قال تعالى ﴿ ياناركوني بردا وسلاما على ابراهيم ﴾ فلولا ان النار تحرق بحرما ماكان يقول الله عز وجل ﴿ قل نار جهنم اشد حرا لوكانوا يفتقون ﴾ فصيح ان الحر في النار موجود وكذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نار جهنم اشد حرا من نارنا هذه سبعين درجة وقال تعالى ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ﴾ فاخبر ان الشجرة تنبت بها وقال تعالى ﴿ ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ﴾ فصيح ان السكر والعصير الحلال ماخوذ من الثمر والاعناب ولولم يكونا فيهما ما أخذنا منهما وقد اطبقت الامة كلها على انكار هذا الجنون وعلى القول هذا أحلي من السسل وامر من الصبر وأحر من النار ونحمد الله على السلامة

﴿ الكلام في الاستحالة ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ احتج الحنفيون ومن وافقهم في قولهم ان النقطة من البول والجمر تقع في الماء فلا يظهر لها فيا اثر انها باقية فيه بجسمها ، الا ان أجزاءها دقت وخفيت عن ان تحس ، وكذلك الخبر يرمى في اللبن فلا يظهر له فيه اثر ، وكذلك الفضة البسيرة تذاب في الذهب فلا يظهر لها فيه اثر ، وهكذا كل شيء قالوا لو ان ذلك المقدار من الماء يحيل ماء النقطة من الجمر تقع فيه لكان أكثر من ذلك المقدار اقوى على الاحالة بلا شك ، ونحن نجد كلما زدنا نقط الجمر وقلتم انتم قد استحالت ماء ونحن نزيد فلا يلبث ان تظهر الجمر ، وهكذا في كل شيء قالوا فظهرت حجة قولنا ولزمكم ان كلما كثر الماء ضعفت احالته وهكذا في كل شيء ﴿ قال ابو محمد ﴾ فقلنا لهم ان الامور انما هي على مراتبها الله عز وجل وعلى ما توجد عليه لا على قضايكم المخالفة للحس . ولا ينكر ان يكون مقدار مايفعل فلا ما فاذا كثر لم يفعل ذلك الفعل كالمقدار من الدواء ينفع فاذا زيد فيه أو نقص منه لم ينفع . ونحن نقر معكم بما ذكرتم ولا ننكره فنقول ان مقدار امان الماء يحيل مقدارا ما يلقي فيه من الحل أو الجمر أو العسل ولا يحيل أكثر منه مما يلقي فيه . ونحن نجد الهواء يحيل الماء هواء حتى اذا كثر الهواء المستحيل من الماء بل أحال الهواء ماء ، وهكذا كل ما ذكرتم ، وانما العدة هاهنا هي ما شهدت به أوائل العقول والحواس من ان الاشياء انما تختلف باختلاف طبائعها وصفاتها التي منها تقوم حدودها وبها تختلف في اللغات أمتاؤها فلها صفات وطبائع اذا وجدت في جرم ماسى ماء ، فاذا عدمت منه لم يسم ماء ولم يكن ماء ، وهكذا كل ما في العالم ولا يخفى شيئا أصلا ومن المحال أن تكون حدود الماء وصفاته وطبيعته في السسل أوفى الجمر ، وهكذا كل شيء في العالم فأكثره يستحيل بعضه الى بعض ، فأي شيء وجدت فيه حدود شيء ماسى باسم ما فيه تلك الحدود اذا استوفاهما كلها ، فان لم يستوف الا بعضها وفارق أيضا شيئا من صفاته الذاتية فهو حينئذ شيء غير الذي كان وغير الذي مازج ، كالسسل الملقى في الابارج ونقطة مداد في لبن وما أشبه ذلك ، وهذه رتبة العالم في مقتضى العقول وفيما تشاهد الحواس والذوق والشم واللمس ، ومن دفع هذا خرج عن المقول ، ويلزم الحنفيين

من هذا اجتناب ماء البحر لان فيه على عقولهم عذرة وبول لاورطوبات ميتة وكذلك مياه جميع الانهار اولها عن آخرها نعم وماء المطر أيضا نجد الدجاج يتغذى بالميتة والدم والعذرة والكباش يسقى خمرًا ان ذلك كله قد استحال عن صفات كل ذلك وطبعه الى لحم للدجاج والكباش فحل عندنا وعندهم ولوكثر تغذيتها به حتى تضعف طبيعتها عن احالته فوجد في خواصها وفيها صفة العذرة والميتة حرم أكله وهذا هو الذي أنكروه نفسه وهو مقرون معنا في ان الثمار والبقول تتغذى بالمذرة وتستحيل فيها مدة انها قد حلت وهذا هو الذي أنكروه نفسه وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في الطفرة ﴾

(قال ابو محمد) نسب قوم من المتكلمين الى ابراهيم النظام انه قال ان المار على سطح الجسم يسير من مكان الى مكان بينهما أما كن لم يقطعها هذا المار ولا مر عليها ولا حاذها ولا حل فيها

(قال أبو محمد) وهذا عين الحال والتخليط الان كان هذا على قوله في انه ليس في العالم الا جسم حاشا الحركة فقط فانه وان كان قد أخطأ في هذه القصة فكلامه الذي ذكرنا خارج عليه خروجا صحيحا لان هذا الذي ذكرنا ليس موجود البتة الا في حاسة البصر فقط وكذلك اذا طبقت بصرك ثم فتحت لاقى نظرك خضرة السماء والكواكب التي في الافلاك البعيدة بلا زمان كما يقع على اقرب ما يلاصقه من الالوان لا تفاضل بين الادراكين في المدة أصلا فصح ضرورة ان خلا البصر لقطع المسافة التي بين الناظر وبين الكواكب ومر عليها لكان ضرورة بلوغه اليها في مدة أطول من مدة مروره على المسافة التي ليس بينه وبين من يراه فيها الا يسيرا وأقل فصح يقينا ان البصر يخرج من الناظر ويقع على كل مرئي قرب أو بعد دون ان يمر في شيء من المسافة التي بينهما ولا يحلها ولا يجازيها ولا يقطعها وأما في سائر الاجسام فهذا مجال الاترى انك تنظر الى الدم والى الضرب القصار بالثوب في الحجر من بعد فتراه ثم يقيم سوية وحينئذ تسمع صوت ذلك الدم وذلك الضرب فصح يقينا ان الصوت يقطع الاماكن وينتقل فيها وان وان البصر لا يقطعها ولا ينتقل فيها فاذا صح البرهان بشيء مالم يعترض عليها الا عديم عقل أو عديم حياء أو عديم علم أو عديم دين وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في الانسان ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس في هذا الاسم على ما يقع فذهبت طائفة الى انه انما يقع على الجسد دون النفس وهو قول أبي الهذيل العلاف وذهبت طائفة الى انه انما يقع على النفس دون الجسد وهو قول ابراهيم النظام وذهبت طائفة الى انه انما يقع عليهما معا كالباق الذي لا يقع الا على السواد والبياض معا

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتجت الطائفة التي ذكرنا بقول الله عز وجل * خلق الانسان من صلصال كالفخار * وبقول الله تعالى * فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * وبقوله تعالى * يحسب الانسان ان يترك سدا الم يك نطفه من منى يمنى ثم كان علقة مخلوق فسوى * وبآيات آخر غير هذه وهذه بلاشك صفة للجسد لاصفة للنفس لان الروح انما تنفخ بعد تمام خلق الانسان الذي هو الجسد واحتجت الطائفة الاخرى بقوله تعالى * ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا * وهذا بلا خلاف صفة النفس لاصفة الجسد لان الجسد موات والفعالة هي النفس وهي الميزة الحية حاملة لهذه الاخلاق وغيرها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلا هذين الاحتجاجين حق وليس احدهما اولى بالقول من الآخر ولا يجوز

ان يعارض أحدهما بالآخر لان كليهما من عند الله عز وجل وما كان من عند الله فليس بمختلف قال تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فاذ كل هذه الآيات حق فقد ثبت ان للانسان اسم يقع على النفس دون الجسد ويقع أيضا على الجسد دون النفس ويقع أيضا على كليهما مجتمعين فنقول في الحى هذا انسان وهو مشتمل على جسد وروح ونقول للميت هذا انسان وهو جسد لانفس فيه ونقول ان الانسان يعذب قبل يوم القيامة وينعم بعنى النفس دون الجسد واما من قال انه لا يقع الاعلى النفس والجسد معا فخطا يطله الذي ذكرنا من النصوص التى فيها وقوع اسم الانسان على الجسد دون النفس وعلى النفس دون الجسد والله تعالى التوفيق

﴿الكلام فى الجواهر والاعراض وما للجسم وما النفس﴾

﴿قال ابو محمد﴾ اختلف الناس فى هذا الباب فذهب هشام بن الحكم الى انه ليس فى العالم الا جسم وان الالوان والحركات أجسام واحتج أيضا بان الجسم اذا كان طويلا عريضا عميقا فمن حيث وجدته وجدت اللون فيه فوجب الطول والعرض والعمق للون أيضا فاذا وجب ذلك للون فاللون أيضا طويل عريض عميق وكل طويل عريض عميق جسم فاللون جسم وذهب ابراهيم بن سيار النظام الى مثل هذا سواء سواء الا الحركات فانه قال هى خاصة اعراض وذهب ضراب بن عمرو الى أن الاجسام مركبة من الاعراض وذهب سائر الناس الى ان الاجسام هى كل ما كان طويلا عريضا عميقا شاغلا لمكان وان كل ماعداه من لون أو حركة أو مذاق أو طيب أو حبة ففرض * وذهب بعض الملحدين الى نفى الاعراض ووافقهم على ذلك بعض أهل القبلة

﴿قال أبو محمد﴾ أما الجسم فتتفق على وجوده وأما الاعراض فاثباتها بين واضح بعون الله تعالى وهو اننا لم نجد في العالم الا قائما بنفسه حاملا لغيره أو قائما بغيره لا بنفسه محمولا في غيره ووجدنا القائم بنفسه شاغلا لمكان يملأه ووجدنا الذى لا يقوم بنفسه لكنه محمول في غيره لا يشغل مكانا بل يكون الكثير منها في مكان حاملها القائم بنفسه هذه قسمة لا يمكن وجود شئ في العالم بخلافها ولا وجود قسم زائد على ما ذكرنا فاذ ذلك كذلك فبالضرورة علمنا ان القائم بنفسه الشاغل لمكانه هو نوع آخر غير القائم بغيره الذى لا يشغل مكانا فوجب أن يكون لكل واحد من هذين الجنسيتين اسم يميز عنه ليقع التفام بيننا فاتفقنا على ان سميना القائم بنفسه الشاغل لمكانه جسما واتفقنا على ان سمينا ما لا يقوم بنفسه عرضا وهذا بيان برهاني مشاهد * ووجدنا الجسم تتعاقب عليه الالوان والجسم قائم بنفسه فينا نراه ابيض صار أخضر ثم احمر ثم اصفر كالذي نشاهده في الثمار والاصباغ فبالضرورة نعلم ان الذي عدم وفنى من البياض والخضرة وسائر الوان هو غير الذي بقى موجودا لم يفن وانهما جميعا غير الشئ الحامل لهما لانه لو كان شئ من ذلك هو الآخر لدم بعده فدل بقاؤه بعده على انه غيره ولا بد ان من الحال الممتنع ان يكون الشئ معدوما موجودا في حالة واحدة في مكان واحد في زمان واحد وايضا فان الاعراض هى الافعال من الاكل والشرب والنوم والجماع والمشي والضرب وغير ذلك فمن انكر الاعراض فقد اثبت الفاعلين وأبطل الافعال وهذا محال لاخفاء به ولا فرق بين من اثبت الفاعلين ونفى الافعال وبين من أثبت الافعال ونفى الفاعلين وكل الطائفتين مبطلتان لا يشاهد بالحواس ويدرك بالعقل سوفسطائيون حقا لان من الاعراض ما يدرك بالبصر وهو اللون اذ ما لا لون له لا يدرك بالشم كالنار والطيب ومنها ما يدرك بالذوق كالحلاوة والمرارة والحوضة والملوحة ومنها ما يدرك باللمس كالحر والبرد ومنها ما يدرك بالسمع كحسن الصوت وقبحه وجهارته وجفوته ومنها ما يدرك بالعقل كحركة والحق والعقل

والعدل والجور والعلم والجهل فظهر فساد قول مبطلي الاغراض بقينا والحمد لله رب العالمين فاذ قد صرح كل ما ذكرنا فانما الاسماء عبارات وتمييز للمسميات ليتوصل بها المخاطبون الى تقايم مراداتهم من الوقوف على المعاني وفصل بعضها من بعض ليس للاسماء فائدة غير هذه فوجب ضرورة أن يوقع على القائم بنفسه الشاغل لمكانه الحامل لغيره أسماء تكون عبارة عنه وأن يوقع أيضا على القائم بغيره لا بنفسه المحمول الذي لا يشغل مكانا اسما آخر يكون أيضا عبارة عنه لينفصل بهذين الاسمين كل واحد من ذنبك المسميين عن الآخر وإن لم يكن هذا وقع التخليط وعدم البيان واصطلحنا على ان سميننا القائم بنفسه الشاغل للسكان جسما وانفقنا على ان سميننا القائم بغيره لا بنفسه عرضا لانه عرض في الجسم وحدث فيه هذا هو الحق المشاهد بالحس المعروف بالعقل وما عدا هذا فهذيان وتخليط لا يعقله قائله فكيف غيره فصيح بهذا كله وجود الاعراض و بطلان قول من أنكرها وصح أيضا بما ذكرنا ان حد اللون والحركة وكل ما لا يقوم بنفسه هو غير حد القائم بنفسه فاذ ذلك كذلك فلا جسم الا القائم بنفسه وكل ما عداه فعرض فلاح بهذا صحة قول من قال بذلك وبطل قول هشام والنظام وبالله تعالى التوفيق * وأما احتجاج هشام بوجود الطول والمرض والعمق الذي توهمها في اللون فانما هو طول الجسم الملون وعرضه وعمقه فقط وليس للون طول ولا عرض ولا عمق وكذلك الطعم والمجسة والرائحة وبرهان ذلك انه لو كان للجسم طول وعرض وعمق وكان للون طول غير طول الملون الحامل له وعرض آخر غير عرض الحامل له وعمق آخر غير عمق الملون الحامل له لاحتاج كل واحد منهما الى مكان آخر غير مكان الآخر اذ من أعظم المحال الامتنع أن يكون شيان طول كل واحد منهما ذراع وعرضه ذراع وعمقه ذراع ثم يسمان جميعا في واحد ليس هو الا ذراع في ذراع فقط ويلزمه مثل هذا في الطعم والرائحة والمجسة لان كل هذه الصفات توجد من كل جهة من جهات الجسم الذي هي فيه كما يوجد اللون ولا فرق وقد يذهب الطعم حتى يكون الشيء لا طعم له وتذهب الرائحة حتى يصير الشيء لا رائحة له ومساحته باقية بحسبها فصيح يقينا ان المساحة للملون والذي له الرائحة والطعم والمجسة لا اللون ولا للطعم مكان ولا للرائحة ولا للمجسة وقد نجد جسما طويلا عرضيا عميقا لا لون له وهو الهواء اساكنة ومتحركة وبالضرورة ندرى انه لو كان له لون لم يزد ذلك في مساحته شيئا

وقال أبو محمد * فان بلغ الجهل بصاحبه الى أن يقول ليس الهواء جسما سائيا عما في داخل الزق المنفوخ ما هو وعما يلقي الذي يجري فرسا جوادا بوجهه وجسمه فانه لا شك في انه جسم قوى متكثر محسوس وبرهان آخر * وهو ان كل أحد يدري ان الطول والمرض والعمق لو كان لكل واحد منهما طول وعرض وعمق لاحتاج كل واحد منهما أيضا الى طول آخر وعرض آخر وعمق آخر وهكذا مسلسلا الى لها ما نهاية له وهذا باطل فبطل قول ابراهيم وهشام وبالله تعالى التوفيق وأما قول ضرار ان الاجسام مركبة من الاعراض فقول فاسد جدا لان الاعراض قد صرح كما ذكرنا انها لا طول لها ولا عرض ولا عمق ولا تقوم بنفسها وصح ان الاجسام ذات أطوال وعروض وأعماق وقائمة بانفسها ومن المحال ان يجتمع مالا طول له ولا عرض ولا عمق مع مثله فيتقوم منها ماله طول وعرض وعمق وانما غلط فيها من توهم ان الاجسام مركبة من السطوح وان السطوح مركبة من الخطوط والخطوط مركبة من النقاط

وقال أبو محمد * وهذا خطأ على كل حال لان السطوح المطلقة فانتهى تنهاى الجسم وانقطاعه في تمامه من أوسع جهاته وعدم امتداده فقط واما الخطوط المطلقة فانها تنتهى تنهاى جهة السطح وانقطاع تمامها واما النقاط فهي تنهاى

جهات الجسم من أحد نهاياته كطرف السكين ونحوه فكل هذه الابعاد انما هي عدم التماهى من الحال ان يجمع عدم فيقوم منه موجود وانما السطوح الجسمة والمخطوط الجسمة والنقط الجسمة فانما هي أبعاد الجسم وأجزاؤه ولا تكون الاجزاء اجزاء الابد الفسمة فقط على ما ذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى
(قال أبو محمد) وذهب قوم من المتكلمين الى اثبات شئ سموه جوهر ليس جسما ولا عرضا وقد ينسب هذا القول الى بعض الاوائل وحد هذا الجوهر عندهم أنبته انه واحد بالذات قابل للمتضادات قائم بنفسه لا يتحرك ولا له مكان ولا له طول ولا عرض ولا عمق ولا يتجزى وحده بعض من ينتمى اليه الكلام بانه واحد بذاته لا طول له ولا عرض ولا يتجزى وقالوا انه لا يتحرك وله مكان وانه قائم بنفسه يحمل من كل عرض عرضا واحدا فقط كاللون والطعم والرائحة والجسمه

(قال أبو محمد) وكلا هذين القولين والقول الذى اجتماع عليه في غابة الفساد والبطلان أولا من قال ذلك أنها كلها دعاوى مجردة لا يقوم على صحة شئ منها دليل أصلا لا برهاني ولا اقناعي بل البرهان العقلي والحسي يشهدان ببطلان كل ذلك وليس يعجز احد ان يدعي ما شاء وما كان هكذا فهو باطل محض وبالله تعالى تبايد واما نحن فنقول انه ليس في الوجود الا الخالق وخلقه وأنه ليس الخلق الا جوهرها حاملا لا عرضيه واعراضه محمولة في الجوهر لا سبيل الى تعدى أحدهما عن الآخر فكل جوهر جسم وكل جسم جوهر وهما اسمان معناهما واحد ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ونجمع ان شاء الله تعالى كل شئ أوقعت عليه هتان الطائفتان اسم جوهر لا جسم ولا عرض ونبين ان شاء الله تعالى فساد كل ذلك بالبراهين الضرورية كما فعلنا في سائر كلامنا وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) حققنا ما أوقع عليه بعض الاوائل ومن قلد اسم جوهر وقالوا انه ليس جسما ولا عرضا فوجدناهم يذكرون الباري تعالى والنفس والهيولى والعقل والصورة وغير بعضهم عن الهيولى بالطينة وبعضهم بالخبرة والمعنى في كل ذلك واحد الا ان بعضهم قال المراد بذلك الجسم متغيرا من جميع اعراضه وابعاده وبعضهم قال المراد بذلك الشئ الذى منه كون هذا العالم ومنه تكون على حسب اختلافهم في الخلق أوفي انكاره وزاد بعضهم في الجوهر الخلا والمدة اللذين لم يزلوا عندهم يعنى بالخلل المكان المطلق لا المكان المعبود ويعنى بالمدة الزمان المطلق لا الزمان المعبود

(قال أبو محمد) وهذه أقوال ليس شئ منها لمن ينتمى الى الاسلام وانما هي للمجوس والصابئين والدةرية والنصارى في تسميتهم الباري تعالى جوهر افانهم سموه في أماتهم التي لا يصح عندهم دين للملكى ولا لنسطورى ولا ليعقوبى ولا هارونى الا باعتقادها والافهوكافر بالنصرانية قطعاً حاشا تسميته الباري تعالى جوهره فانه للمجسمه أيضا وحاشا القول بان النفس جوهر لا جسم فانه قد قال به المطار أحد رؤساء المعتزلة وأما المنتسبون الى الاسلام فان الجوهر ليس جسما ولا عرضا ليس هو عندهم شيئا الا الاجزاء الصغار التي لا تتجزأ اليها تنحل الاجسام بزعمهم وقد ذكر هذا عن بعض الاوائل أيضا فانه ثمانية أشياء كما ذكرنا لا نعلم أحدا سمى جوهر ليس جسما ولا عرضا وغيرها الا ان قوماجها لا يظنون في القوى الذاتية انها جواهر وهذا جهل منهم لانها بخلاف محمولة نهاى غير قائمة بنفسها وهذه صفة العرض لا صفة الجوهر بخلاف
(قال أبو محمد) فاما الخلا والمدة فقد تقدم افسادنا لهذا القول في صدر ديواننا بالبراهين الضرورية وفي كتابنا الموسوم بالتحقيق في نقض كتاب العلم الالهى لمحمد بن زكريا الطيب وحللنا كل دعوى أوردها هو وغيره في هذا المعنى بابين شرح والحمد لله رب

العالمين كثيراً وأثبتنا في صدر كتابنا هذا وهنالك انه ليس في العالم خلا البتة وانه كله كرة مصمتة لا تخلل فيها وانه ليس وراءها خلا لا ملاء ولا شيء البتة وان المدة ليست للامد أحدث الله الفلك بمافيه من الاجسام الساكنة والمتحركة وأعراضها وبيننا في كتاب التقريب لحدود الكلام ان الالة المسماة الزرافة وسارقة الماء والآلة التي تدخل في احليل من به أسراب البول براهين ضرورية بتحقيق ان لا خلا في العالم أصلاً وان الخلاه عند القائلين به انما هو مكان لا يمكن فيه وهذا محال بما ذكرنا لانه لو خرج الماء من الثقب الذي في أسفل سارقة الماء وقد شد أعلاها لبقى مكانه خالياً بلا متمكن فيه فاذا لم يمكن ذلك أصلاً ولا كان فيه بنية العالم وجوده وقف الماء باقياً لا ينهرق حتى اذا فتحت أعلاها ووجد الهواء مدخلا خرج الماء وانهرق لوقته وخلفه الهواء وكذلك الزرافة والآلة المتخذة لمن به أسراب البول فانه اذا حصلت تلك في داخل الاحليل وأول المئانة ثم جذب الزر المعلق ليقبها الى خارج اتبعه البول ضرورة وخرج اذ لم يخرج لبقى ثقب الآلة خالياً لا شيء فيه وهذا باطل ممتنع وقد بينا في صدر كتابنا كما اعترض به الملحدون المخالفون لنا في هذا المكان فاغنى عن اعادته فان قال قائل قاله الذي اخترعه الله عز وجل معجزة من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمر الذي اخترع له والثريد الذي في اخترع له من ابن اخترعه وهي أجسام محدثة والعالم عندهم ملا لا خلاه فيه ولا تخلخل ولا يكون الجسمان في مكان واحد قلنا وبالله تعالى التوفيق لا يخلو هذا من أحد وجهين لاثبات لما اما أن يكون الله عز وجل أعدم من الهواء مقدار ما اخترع فيه من التمر والماء والثريد واما أن يكون الله عز وجل أحال أجزاء من الهوى ماء وتمرا وثريدا قاله أعلم أي ذينك كان والله على كل شيء قدير فسقط قولهم في الخلا والمدة والحمد لله رب العالمين

وقال أبو محمد رحمه الله وأما الصورة فكيفية بلا شك وهي تخليط الجواهر وتشكلها الا انها قسمان أحدهما ملازم كالصورة الكلية لا تفارق الجواهر البتة ولا توجد دونها ولا تنوهم الجواهر عارية عنها والاخر تتعاقب أنواعه وأشخاصه على الجواهر كاتقال الشيء عن تمليث الى تبيع ونحو ذلك فصح انها عرض بلا شك وبالله تعالى التوفيق وأما العقل فلا خلاف بين أحد له عقل سلم في انه عرض محمول في النفس وكيفية برهان ذلك انه يقبل الاشد والاضعف فتقول عقل أقوى من عقل وأضعف من عقل وله ضد وهو الحق ولا خلاف في الجواهر انها لا ضد لها وانما التضاد في بعض الكيفيات فقط وقد اعترض في هذا بعض من يدعى له علم الفلسفة فقال ليس في العقل ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه فقلت الذي ذكر لي هذا البحث ان هذه سفسطة وجعل لوجازله هذا التخليط لجاز لغيره ان يقول ليس للعلم ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه ولا شيء من الكيفيات ضد ولكن لوجودها ضد وهو عدمها فيبطل التضاد من جميع الكيفيات وهذا كلام يعلم فساد به ضرورة العقل ولا فرق بين وجود الضد للعقل وبين وجوده للعلم واسائر الكيفيات وهي باب واحد كله وانما هي صفات متعاقبة كلها موجودة فالعقل موجود ثم يعقبه الحق وهو موجود كما أن العلم موجود ويعقبه الجهل وكما ان النجدة موجودة ويعقبها الجبن وهو موجود وهذا أمر لا يخفى على من له أقل تمييز وكذلك الجواهر لا تقبل الاشد والاضعف في ذواتها وهذا أيضاً قول كل من له أدنى فهم من الاوائل والعقل عند جميعهم هو تمييز الفضائل من الرذائل واستعمال الفضائل واجتناب الرذائل والتزام ما يحسن به المنفعة في دار البقاء وعالم الجراء وحسن السياسة فيما يلزم المرء في دار الدنيا وبهذا أيضاً جاءت الرسل عليهم السلام قال الله عز وجل * أفلم يسيرا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها * وقال تعالى * كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون * وقال تعالى * أم تحسب أن أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون * ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلاً * وقال تعالى * ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون * وقال تعالى *

واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعلمون . وقال تعالى : ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون * فصيح ان العقل هو الايمان وجميع الطاعات وقال تعالى عن الكفار * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * ومثل هذا في القرآن كثير فصيح ان العقل فعل النفس وهو عرض محمول فيها وقوة من قواها فهو عرض كيفية بلا شك وانما غلط من غلط في هذا لانه رأى لبعض الجهال المخلطين من الاوائل ان العقل جوهر وان له فلما فعلوا على ذلك من لاعلم له وهذا خطأ كما أوردنا وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان لفظة العقل عربية أتى بها المترجمون عبارة عن لفظة أخرى يعبر بها في اليونانية أو في غيرها من اللغات عما يعبر بلفظة العقل عنه في اللغة العربية هذا مالا يخفى به عند أحد ولفظة العقل في لغة العرب انما هي موضوعة لتمييز الاشياء واستعمال الفضائل فصيح ضرورة انها معبرة بها عن عرض وكان مدعى خلاف ذلك ردى العقل عديم الحياء مباهاة بلا شك ولقد قال بعض النوكى الجهال لو كان العقل عرضا لكانت الاجسام أشرف منه فقلت للذى أتاني بهذا وهل للجوهر شرف الا باعراضه وهل شرف جوهر قط على جوهر الا بصفاته لا بذاته هل يخفى هذا على أحد ثم قلنا ويلزمهم هذا نفسه على قولهم السخيف في العلم والفضائل أن لا يتخالفوننا في انها اعراض فعلية مقدمتهم السخيفة يجب أن تكون الاجسام كلها أشرف منها وهذا كما ترى وأما المبيولى فهو الجسم نفسه الحامل لاعراضه كلها وانما أفردته الاوائل بهذا الاسم اذ تكلموا عليه مفردا في الكلام عليه عن سائر اعراضه كلها من الصورة وغيرها مفصولا في الكلام عليه خاصة عن اعراضه وان كان لا سبيل الى أن يوجد خاليا عن أعراضه ولا متعريا منها أصلا ولا يتوهم وجوده كذلك ولا يتشكل في النفس ولا يتمثل ذلك أصلا بل هو محال ممنوع جملة كما ان الانسان الكلى وجميع الاجناس والانواع ليس شيء منها غير اشخاصه فقط فهى الاجسام باعيانها ان كان النوع نوع أجسام وهى أشخاص الاعراض ان كان النوع نوع أعراض ولا مزيد لان قولنا الانسان الكلى يزيد النوع انما معناه أشخاص الناس فقط لا أشياء أخرى وقولنا الحرة الكلية انما معناه أشخاص الحرة حيث وجدت فقط فبطل بهذا تقدير من ظن من اهل الجهل ان الجنس والنوع والفصل جواهر لا أجسام وبالله تعالى التوفيق لكن الاوائل سمتهن وسمت الصفات الاوليات الذاتيات جوهريات لا جواهر وهذا صحيح لانها منسوبة الى الجواهر للالزام لها وانها لا تفارقها البتة ولا يتوهم مفارقتها لها وبالله تعالى التوفيق فبطل قولهم في الخلا والمدة والصورة والعقل والهوى والحمد لله رب العالمين واما البارى تعالى فقد أخطأ من ساء جوهره من المجسمة ومن التصارى لان لفظة الجوهر لفظة عربية ومن اثبت الله عز وجل ففرض عليه اذا قرأه خالقه والاهه ومالك امره الا يقدم عليه في شيء الا بعدد منه تعالى والا يخبر عنه الا بعلم متيقن ولا علم ههنا الا ما خبر به عز وجل فقط فصيح يقينا ان تسمية الله عز وجل جوهره والاخبار عنه بانه جوهر حكم عليه تعالى بغير عهد منه واخبار عنه تعالى بالكذب الذى لم يخبر قط تعالى به عن نفسه ولا سمي به نفسه وهذا اقدام لم يأتنا قط به برهان بإباحته وأيضا فان الجوهر حامل لاعراض ولو كان البارى تعالى حاملا لمرض لكان مركبا عن ذاته واعراضه وهذا باطل واما التصارى فليس لهم ان يتصوروا على اللغة العربية فيصرفوها عن موضعها فبطل ان يكون تعالى جوهره لبراءته عن حد الجواهر وبطل ان يسمى جوهره لانه تعالى لم يسمى نفسه به وبالله تعالى التوفيق فبطل قول من سمي الله تعالى جوهره واخبر عنه انه تعالى جوهره والله تعالى الحمد فلم يبق الا النفس والجزء الذى لا يتجزأ ونحن ان شاء الله تعالى نتكلم فيها كلاما مبينا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(قال أبو محمد) اختلف الناس في النفس فذكر عن أبي بكر عبد الرحمن بن كيسان الاصح انكار النفس جملة وقال لا أعرف الا ما شاهدته بحوامي وقال جالينوس وأبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف النفس عرض من الاعراض ثم اختلفا فقال جالينوس هي مزاج مجتمع متولد من تركيب اخلاط الجسد وقال أبو الهذيل هي عرض كسائر أعراض الجسم وقالت طائفة النفس هي النسيم الداخل الخارج بالنفس فهي النفس قالوا والروح عرض وهو الحياة فهو غير النفس وهذا قول الباقلاني ومن اتبعه من الاشعرية وقالت طائفة النفس جوهر ليست جسما ولا عرضا ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا هي في مكان ولا تتجزأ وانما هي الفعالة المدبرة وهي الانسان وهو قول بعض الاوائل وبه يقول معمر بن عمرو المطار أحد شيوخ المعتزلة وذهب سائر أهل الاسلام والمثل المقررة بالمعاد الى ان النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان مائلة بميزة مصرفة للجسد

(قال أبو محمد) وبهذا تقول والنفس والروح ايمان مترادفان لسمى واحد ومعناها واحد (قال أبو محمد) اما قول أبي بكر ابن كيسان فانه يبطله النص وبرهان العقل أما النص فيقول الله تعالى * ولوترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم الاية * فصيح ان النفس موجودة وانها غير الجسد وانها الخارجة عند الموت

(قال أبو محمد) واما البرهان العقلي فانا ترى المرء اذا اراد تصفية عقله وتصحيح رأيه اوفك مسألة عويصة عكس ذهنه وافرد نفسه عن حواسها الجسدية وترك استعمال الجسد جملة وتبرأ منه حتى انه لا يري من بحضرته ولا يسمع ما يقال امامه حينئذ يكون رأيه وفكره اصنى ما كان فصيح ان الفكر والذكر ليسا للجسد المتخلى منه عند ارادتهما وايضا فالذي يراه النائم بما يخرج حقا على وجهه وليس ذلك الا اذا تخلت النفس عن الجسد فبقى الجسد كجسد الميت ونجده حينئذ يرى في الرؤيا ويسمع ويتكلم ويذكر وقد بطل عمل بصره الجسدي وعمل أذنيه الجسدي وعمل ذوقه الجسدي وكلام لسانه الجسدي فصيح يقينا ان العقل المبصر السامع المتكلم الحساس الذائق هو شيء غير الجسد فصيح ان المسمى نفسا اذا لشيء غير ذلك وكذلك ما تنخيله نفس الاعمى والغائب عن الشيء مما قد رآه قبل ذلك فيتمثله ويراه في نفسه كما هو فصيح يقينا ان ههنا متمثلا مدركا غير الجسد اذا لآخر للجسد وللحواس في شيء مما ذكرنا البتة ومنها انك ترى المرید يريد بعض الامور بنشاط فاذا اعترضه عارض ما كسل والجسم بحسبه كما كان لم يتغير منه شيء فعلمنا ان ههنا مریدا للاشياء غير الجسد ومنها أخلاق النفس من الحلم والصبر والجسد والعقل والطيش والحرق والثرق والعلم والبلادة وكل هذا ليس لشيء من أعضاء الجسد فاذا لا شك في ذلك فانما هو كله للنفس المدبرة للجسد ومنها ما يرى من بعض الحصرين ممن قد ضعف جسده وفسدت بنية وتراه حينئذ أجدا ما كان ذهنا وأصح ما كان تميزا وأفضل طبيعة وأبعد عن كل لغو وأنتطق بكل حكمة وأصحهم نظرا وجسده حينئذ في غاية الفساد وبطلان القوى فصيح ان المدرك للامور المدبر للجسد الفعال المميز الحى هو شيء غير الجسد وهو الذي يسمى نفسا وصح ان الجسد مؤد للنفس ولها مدخلت في الجسد كانهما وقعت في طين عخر فانساها شغلها بها كلما سلف لها وايضا فلو كان الفعل للجسد لكان فعله عند اديا وحياته متصلة في حال نومه وموته ونحن نرى الجسد حينئذ صحيحا سالما لم ينتقض منه شيء من أعضائه وقد بطلت أفعاله كلها جملة فصيح ان الفعل والتميز انما كان لغير الجسد وهو النفس المقارفة وان الفعال اذا ذكر تدبائنه وتبرأ منه وايضا فاننا ترى أعضاء الجسد تذهب عضوا عضوا بالقطع والفساد والقوى باقية بحسبها والاعضاء قد ذهبت وفسدت وتجد الذهن والتدبير والعقل وقوى النفس باقية او فرما كان فصيح ضرورة ان الفعال العالم اذا كره المدبر المرید هو غير الجسد كما ذكرنا وان الجسد

موات فبطل قول ابن كيسان والحمد لله رب العالمين وأما قول من قال أنها مزاج كما قال جالينوس فإن كل ما ذكرنا مما أبطلنا به قول أبي بكر بن كيسان فإنه يبطل أيضا قول جالينوس وأيضا فإن العناصر الأربعة التي منها تركيب الجسد وهي التراب والماء والهواء والنار فإنها كلها موات بطبيعتها ومن الباطل الممتنع والحال الذي لا يجوز البتة أن يجتمع موات وموات وموات وموات فيقوم منها حي وكذلك عال أن يجتمع بوارد فيقوم منها حار أو حار أو حار فيجتمع منها بارد أو حار أو حار فيقوم منها موات فبطل أن تكون النفس مزاجاً وبالله تعالى التوفيق وأما قول من قال أنها عرض فقط وقول من قال إنما النفس للنسيم الداخل والخارج من الهواء وإن الروح هو عرض وهو الحياة فإن كل هذين القولين يبطلان بكل ما ذكرنا أبطل قول الأصم ابن كيسان وأيضا فإن أهل هذين القولين ينتمون إلى الإسلام والقرآن يبطل قولهم نصا قال الله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) فصح ضرورة أن الأنفس غير الأجساد وإن الأنفس هي المتوفاة في النوم والموت ثم ترد عند اليقظة وتمسك عند الموت وليس هذا التوفى للأجساد أصلا ويقتضي بدرى كل ذي حس سليم أن العرض لا يمكن أن يتوفى فيفارق الجسم الحامل له ويبقى كذلك ثم يرد بعضه ويمسك بعضه هذا ما لا يكون ولا يجوز لأن العرض يبطل بمزاييلته الحامل له وكذلك لا يمكن أن يظن ذو مسكة من عقل أن الهواء الخارج والداخل هو المتوفى عند النوم وكيف ذلك وهو باق في حال النوم كما كان في حال اليقظة ولا فرق وكذلك قوله تعالى (والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) فإنه لا يمكن أن يعذب العرض ولا الهواء وأيضا فإن الله عز وجل يقول (واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية

(قال أبو محمد) فهذه آية ترفع الأشكال جملة وتبين أن النفس غير الجسد وإنما هي العاقلة المخاطبة المكلفة لأنه لا يشك ذو حس سليم في أن الأجساد حين أخذ الله عليها هذا العهد كانت مبددة في التراب والماء والهواء والنار ونص الآية يقتضي ما قلنا فكيف وفيها نص أن الأَشْهَاد إنما وقع على النفوس وما أدري كيف تشرح نفس مسلم بخلاف هذه النصوص وكذلك أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى عند سياء الدنيا ليلة أسرى به عن يمين آدم وعن يساره نسم بنية فاهل السعادة عن يمينه وأهل الشقاوة عن يساره عليه السلام ومن الباطل أن تكون الاعراض باقية هنالك أو أن يكون النسيم هنالك وهو هواء متردد في الهواء (قال أبو محمد) ولو كان ما قاله أبو الهذيل والباقلاني ومن قلدهما حقا لكان الإنسان يبدل في كل ساعة ألف ألف روح وأزيد من ثلاثمائة ألف نفس لأن العرض عديم لا يبقى وقتين بل يفنى ويتجدد عندهم أبداً فروح كل حي على قولهم في كل وقت غير روحه التي كانت قبل ذلك وهكذا تتبدل أرواح الناس عندهم بالخطاب وكذلك ييقين يشاهد كل أحد أن الهواء الداخل بالنفس ثم يخرج هو غير الهواء الداخل بالنفس الثاني فالإنسان يبدل على قول الأشعرية أنفسا كثيرة في كل وقت ونفسه إلا أن غير نفسه آتفا وهذا حتى لا يخفاء به فبطل قول الفريقين بنص القرآن والسنة والجماع والمشاهدة والمقول والحمد لله رب العالمين هذا مع تعريضهما من الدلائل جملة وإنما دعوى فقط وما كان هكذا فهو باطل وقد صرح الباقلاني عند ذكره لما يعترض في أرواح الشهداء وأرواح آل فرعون فقال هذا يخرج على وجهين بأن يوضع عرض الحياة في أقل جزء من أجزاء الجسم وقال بعض من شاهدناه منهم توضع الحياة في عجب الذنب واحتج بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية منه خلق وفيه يركب

(قال أبو محمد) وهذا تمويه من المحتج بهذا الخبر لانه ليس في الحديث لائنص ولا دليل ولا اشارة يمكن ان يتناول على ان عجب الذنب يحيا وانما في الحديث ان عجب الذنب لا ياكله التراب وانه من خلق الجسد وفيه يركب فقط فظهر تمويه هذا القائل وضعفه والحمد لله رب العالمين قال الباقلاني واما ان يخلق لتلك الحياة جسد آخر فلا

(قال أبو محمد) وهذا مذهب أصحاب التناسخ بلا مؤونة واحنح لذلك بالحديث المانور ان نسمة المؤمن طير يلف من ثمار الجنة وياوى الى قناديل تحت العرش وفي بعضها أنها في حواصل طير خضر

(قال أبو محمد) ولا حجة لهم في هذا الخبر لان معني قوله عليه السلام طائر يلف هو على ظاهره لا على ظن أهل الجهل وانما أخبر عليه السلام ان نسمة المؤمن طائر بمعنى أنها طير في الجنة فقط لانها تنسخ في صور طير فان قيل ان النسمة مؤنة قلنا قد صح عن عري نصيح أنه قال أنتك كتابي فاستخففت بها فقيل له أنتوث الكتاب فقال أوليس صحيفة وكذلك النسمة روح فتذكر لذلك وأما الزيادة التي فيها أنها في حواصل طير خضر فانها صفة تلك القناديل التي تاوى اليها والحديثان مما حديث واحد وخبر واحد

(قال أبو محمد) ولم يحصل من هذين الوجهين الفاسدين الا على دعوى كاذبة بلا دليل يشبه الهزل أوى كافر مجرد في المصير الى قول أصحاب التناسخ وعلى تحريف الحديث عن وجهه ونموذ بالله من الخذلان فبطل هذان القولان والحمد لله رب العالمين وأما قول من قال ان النفس جوهر لا جسم من الاوائل ومعمرو أصحابه فانهم موهوا بأشياء اقناعيات فوجب ايرادها ونقضها ليظهر البرهان على وجه الانصاف للخصم وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) قالوا لو كانت النفس جسما لكان بين تحريك الحرك رجله وبين ارادته تحريكها زمان على قدر حركه الجسم وثقله اذا النفس هي الحركة للجسد والمريده لحركته قالوا فلو كان الحرك للرجل جسما لكان لا يتخلو اما ان يكون حاصل في هذه الاعضاء واما جائيا اليها فان كان جائيا اليها احتاج الى مدة ولا بد وان كان حاصل فيهما فنحن اذا قطعنا تلك العصبه التي بها تكون الحركة لم يبق منها في العضو الذي كان يتحرك شيء أصلا فلو كان ذلك الحرك حاصل في بقية منه شيء في ذلك العضو

(قال أبو محمد) وهذا لا معني له لان النفس لا تتخلو من أحد ثلاثة أوجه لارابع لها اما ان تكون مجللة بجميع الجسد من خارج كالثوب واما ان تكون متخللة بجميعه من داخل كلاء في المدره واما ان تكون في مكان واحد من الجسد وهو القلب أو الدماغ وتكون قواها منبثه في جميع الجسد فأي هذه الوجوه كان فتحر يكها لما يريد تحريكه من الجسد يكون مع ارادتها لذلك بلا زمان كادراك البصر لما يلاقى في البعد بلا زمان واذا قطعت العصبه لم ينقطع ما كان من جسم النفس مغللا لذلك العضو ان كانت متخللة لجميع الجسد من داخل أو مجللة له من خارج بل يفارق العضو الذي يطل حسه في الوقت وينفصل عنه بلا زمان وتكون مفارقتها لذلك العضو كمفارقة الهواء للآاء الذي الى ماء واما أن كانت النفس ساكنة في موضع واحد من الجسد فلا يلزم على هذا القسم ان يسلب من العضو المقطوع بل يكون فعلها حينئذ في تحريكها الاعضاء كفعل حجر المغنطيس في الحديد وان لم يلصق به بلا زمان فبطل هذا الالزام الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسما لوجب أن نعلم ببعضها أو بأكملها

(قال أبو محمد) وهذا سؤال فاسد تقسيمه والجواب وبالله تعالى التوفيق انها لا تعلم الا بأكملها أو ببعضها لان كل

بسيط غير مركب من طبائع شتى فهو طبيعة واحدة وما كان طبيعة واحدة فقوته في جميع أبعاضه وفي بعض أبعاضه سواء كالنار تحرق بكها ويبعضها ثم لا ندري ما وجه هذا الاعتراض علينا بهذا السؤال ولا ما وجه استدلالهم منه على أنها غير جسم ولو عكس عليهم في إبطال دعوائهم أنها جوهر لا جسم لما كان بينهم وبين السائل لهم بذلك فرق أصلا وقالوا إن من شأن الجسم أنك إذا زدت عليه جسما آخر زاد في كبرته ونقله قالوا فلو كانت النفس جسما ثم داخلت الجسم الظاهر لوجب أن يكون الجسد حينئذ أثقل منه دون النفس ونحن نجد الجسد إذا فارقت النفس أثقل منه إذا كانت النفس فيه

(قال أبو محمد) وهذا شغب قاسد ومقدمة باطلة كاذبة لأنه ليس كل جسم كما ذكرنا من أنه إذا زيد عليه جسم آخر كان أثقل منه وحده وإنما يعرض هذا في الأجسام التي تتطلب المركز والوسط فقط يعني التي في طبعتها أن تتحرك سفلا وترسب من المائيات والارضيات وأما التي تتحرك بطبيعتها علوا فلا يعرض ذلك فيها بل الأمر بالضد وإذا أضيف جسم منها إلى جسم ثقيل خففه فانك ترى أنك لو نفخت زقا من جلد ثور أو جلد بعير لو أمكن حتى يمتلئ هو آثم وزنته فانك لا تجد على وزنه زيادة على مقدار وزنه لو كان فارغا أصلا وكذلك ما يصعد من الزقاق ولو أنه ورقة سوسنة منفوخة ونجس نحسدا الجسم العظيم الذي إذا أضفته إلى الجسم الثقيل خففه جدا فانك لو رميت الزق غير المنفوخ في الماء الراسب فإذا انفتحته ورميت به خف وعام ولم يرسب وكذلك يستعمله العائمون لأنه يرفعهم عن الماء ويمتنعهم من الرسوب وهكذا النفس مع الجسد وهو باب واحد كلي لأن النفس جسم علوي فلكي أخف من الهواء وأطلب للعلو فهي تخفف الجسد إذا كانت فيه فيبطل تمويههم والحمد لله رب العالمين وقالوا أيضا لو كانت النفس جسما لكانت ذات خاصية إما خفيفة وإما ثقيلة وإما حارة وإما باردة وإما لينة وإما خشنة

(قال أبو محمد) نعم هي خفيفة في غاية الخفة ذاكرة عاقلة مميزة حية هذه خواصها وحدودها التي بانَتْ بها عن سائر الأجسام المركبات مع سائر أعراضها الغمولة فيها من الفضائل والردائل وأما الحر واليبس والبرد والرطوبة واللين والخشونة فأنما هي من أعراض عناصر الأجرام التي دون تلك الخاصة ولكن هذه الأعراض المذكورة مؤثرة في النفس اللذة أو الألم فهي منفعة لكل ما ذكرنا وهذا يثبت أنها جسم قالوا أما من كان الأجسام فكيفياته محسوسة وما لم تكن كيفياته محسوسة فليس بجسم وكيفيات النفس إنما هي الفضائل والردائل وهذا ان الجنسان من الكيفيات ليسا محسوسين فالنفس ليست جسما

(قال أبو محمد) وهذا شغب فاسد ومقدمة كاذبة لأن قولهم إن ما لا نحس كيفياته فليس جسما دعوى كاذبة لا برهان عليها أصلا لا عقلي ولا حسي وما كان هكذا فهو قول ساقط مطروح لا يعجز عن مثله أحد ولكننا لا نتنع بهذا دون أن نبطل هذه الدعوى ببرهان حسي ضروري بمون الله تعالى وهو أن تلك الجسم وكيفياته غير محسوسة وأما اللورد اللازوردي الظاهر فأنما يتولد فيما دونه من امتزاج بعض العناصر ووقوع خط البصر عليها وبرهان ذلك تبدل ذلك اللون بحسب العوارض المولدة له فمرة تراه أبيض صافي البياض ومرة ترى فيه حمرة ظاهرة فصيح أن قولهم دعوى مجردة كاذبة وبالله تعالى التوفيق وأيضا فإن الجسم تنفاضل أنواعه في وقوع الحواس عليه فمنه ما يدرك لونه وطعمه وريحه ومنه ما لا يدرك منه إلا المجسمة فقط كالهواء ومنها النار في عنصرها لا يقع عليها شيء من الحواس أصلا بوجه من الوجوه وهي جسم عظيم المساحة محيط بالهواء كله فوجب من هذا أن الجسم كل ما زاد لطافة وصفاء لم تنفع عليه الحواس وهذا حكم النفس وما دون النفس فأكثر محسوس للنفس لا حس البتة إلا للنفس ولا حساس إلا هي فهي حساسة لا محسوسة ولم يجب قط لا بعقل ولا بحس أن يكون كل حساس محسوسا فسقط قولهم

جملة والحمد لله رب العالمين وقالوا ان كل جسم فانه لا يخلوا من ان يقع تحت جميع الحواس او تحت بعضها والنفس لا تقع تحت كل الحواس ولا تحت بعضها فالنفس ليست جسما

قال أبو محمد رحمه الله وهذه مقدمة فاسدة كما ذكرنا آتينا لان ما عدم اللون من الاجسام لم يدرك بالبر كالهواء وكالنار في عنصرها وان ما عدم الرائحة لم يدرك بالشم كالهواء والنار والخصي والزجاج وغير ذلك وما عدم الطعم لم يدرك بالذوق كالهواء والنار والخصي والزجاج وما عدم المجسة لم يدرك باللمس كالهواء الساكن والنفس عادمة اللون والطعم والمجسة والرائحة فلا تدرك بشيء من الحواس بل هي المدركة لكل هذه المدركات وهي الحساسة لكل هذه المحسوسات فهي حساسة لا محسوسة وانما تعرف بآثارها وبراهين عقلية وسائر الاجسام والاعراض محسوسة لا حساسة ولا بد من حساس لهذه المحسوسات ولا حساس لها غير النفس وهي التي تعلم نفسها وغيرها وهي القابلة لاعراضها التي تتعاقب عليها من الفضائل والرزائل المعلومه بالعقل كقبول سائر الاجرام لما يتعاقب عليها من الاعراض بالعقل والنفس هي المتحركة باختيارها المحركة لسائر الاجسام هي مؤثرة فيها تالم وتلتذ وتفرح وتحزن وتعضب ونرضي وتعلم وتجهل وتحب وتكره وتذكر وتنسى وتنتقل وتحل فطل قول هؤلاء ان كل جسم فلا بد من ان يقع تحت الحواس او تحت بعضها لانها دعوى لا دليل عليها وكل دعوى عربية من دليل فهي باطلة وقالوا كل جسم فانه لا محالة يلزمه الطول والعرض والعمق والسطح والشكل والكم والكيف فان كانت النفس جسما فلا بد ان تكون هذه الكيفيات فيها او يكون بعضها فيها فاي الوجهين كان فهي اذا محاط بها وهي مدركة بالحواس او من بعضها ولا نرى الحواس تدركها فليست جسما

قال أبو محمد رحمه الله هذا كله صحيح وقضايا ضادقة حاشا قضية واحدة ليست فيها وهي قولهم وهي مدركة من الحواس او من بعضها فهذا هو الباطل المقحم بلا دليل وسائر ذلك صحيح وهذه القضية الفاسدة دعوى كاذبة وقد تقدم أيضا افسادنا لها آتينا مع تعريضها عن دليل بصحتها ونم فالنفس جسم طويل عريض عميق ذات سطح وخط وشكل ومساحة وكيفية يحاط بها ذات مكان وزمان لان هذه خواص الجسم ولا بد والمجب من قلة حياء من أقحم مع هذا فهي اذا مدركة بالحواس وهذا عين الباطل لان حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس لا يقع شيء منها لا على الطول ولا على العرض ولا على العمق ولا على السطح ولا على الشكل ولا على المساحة ولا على الكيفية ولا على الخط وانما تقع حاسة البصر على اللون فقط فان كان في شيء مما ذكرنا لون وقعت عليه حاسة البصر وعلمت ذلك الملون بتوسط اللون والا فلا وانما تقع حاسة السمع على الصوت فان حدث في شيء مما ذكرنا صوت وقعت عليه حاسة السمع حينئذ وعلمت ذلك المصوت بتوسطه والا فلا وانما تقع حاسة الشم على الرائحة فان كان في شيء مما ذكرنا رائحة وقعت عليها حينئذ حاسة الشم وعلمت حامل الرائحة بتوسط الرائحة والا فلا وان كان شيء مما ذكرنا طعم وقعت عليه حينئذ حاسة الذوق وعلمت المذوق بتوسط الطعم والا فلا وان كان في شيء مما ذكرنا مجسة وقعت عليها حاسة اللمس حينئذ وعلمت الملموس بتوسط المجسة والا فلا وقالوا ان من خاصة الجسم ان يقبل التجزى واذا جزى خرج منه الجزء الصغير والكبير ولم يكن الجزء الصغير كالجزء الكبير فلا يخلو حينئذ من أحد أمرين اما أن يكون كل جزء منها نفسا فيلزم من ذلك ان لا تكون النفس نفسا واحدة بل تكون حينئذ أنفسا كثيرة مركبة من أنفس واما أن لا يكون كل جزء منها نفسا فيلزم أن لا تكون كلها نفسا

(قال أبو محمد) أما قولهم ان خاصة الجسم احتمال التجزي فهو صدق والنفس محتملة للتجزي لانها جسم من الاجسام وأما قولهم ان الجزء الصغير ليس كالكبير فان كانوا يريدون المساحة فتم وأما في غير ذلك فلا وأما قولهم انها ان تجزأت فاما ان يكون كل جزء منها نفساً والزامهم من ذلك انها مركبة من أنفس فان القول الصحيح في هذا ان النفس محتملة للتجزي بالقوة وان كان التجزي بانقسامها غير موجود بالفعل وهكذا القول في الفلك والكواكب كل ذلك محتمل للتجزي بالقوة وليس التجزي موجوداً في شيء منها بالفعل وأما قولهم انها مركبة من أنفس فشغب فاسد لاننا قد قدمنا في غير موضع ان المعاني المختلفة والمسميات المتغايرة يجب أن يقع على كل واحد منها اسم يبين به عن غيره والا فقد وقع الاشكال وبطل التفاهم وصرنا الى قول السوفسطائية المبطله لجميع الحقائق ووجدنا العالم ينقسم قسمين أحدهما مؤلف من طبائع مختلفة فاصطلحنا على ان سميناهما هذا القسم مركباً والثاني مؤلف من طبيعة واحدة فاصطلحنا على ان سميناهما هذا القسم بسيطاً ليقع التفاهم في الفرق بين هذين القسمين ووجدنا القسم الاول لا يقع على كل جزء من أجزائه اسم كله كالا انسان الجزئي فانه متالف من أعضاء لا يسمى شيء منها انساناً كالعين والانف واليد وسائر أعضائه التي لا يسمى عضو منها على انفراده انساناً فاذا تالفت سمي المتالف منها انساناً ووجدنا القسم الثاني يقع على كل جزء من أجزائه اسم كله كالارض والماء والهواء والنار وكذلك فكل جزء من النار نار وكل جزء من الماء ماء وكل جزء من الهواء هواء وكل جزء من الفلك فهو فلك وكل جزء من النفس نفس وليس ذلك موجبا ان تكون الارض مؤلفة من أرضين ولا أن يكون الهواء مؤلفاً من أهوية ولا أن يكون الفلك مؤلفاً من أفلاك ولا ان تكون النفس مؤلفة من أنفس وحتى لو قيل ذلك بمعنى ان كل بعض منها يسمى نفساً وكل بعض من الفلك يسمى فلكاً فما كان يكون في ذلك ما يتراض به على أنها جسم كسائر الاجسام التي ذكرنا وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضاً طبع ذات الجسم أن يكون غير متحرك والنفس متحركة فان كانت هذه الحركة التي فيها من قبل الباري تعالى فقد وجدنا لها حركات فاسدة فكيف يضاف ذلك الى الباري تعالى

(قال أبو محمد) وهذا الكلام في غاية الفساد والمهجنة ولقد كان ينبغي لمن ينتسب الى العلم ان كان يدري مقدار سقوط هذه الاعتراضات وسخفها أن يصون نفسه عن الاعتراض بها لرذالتها فكان الاولى به ان يتعلم قبل ان يتكلم فاما قوله ان طبع ذات الجسم ان تكون غير متحركة فقول ظاهر الكذب والمجاهرة لان للأفلاك والكواكب اجساماً وطبيعتها الحركة الدائمة المتصلة أبداً الى ان يحيلها خالقها عن ذلك يوم القيامة وان للعناصر دون الفلك اجساماً وطبيعتها الحركة الى مقرها والسكون في مقرها وأما النفس فلانها حية كان طبعها السكون الاختياري والحركة الاختيارية حيناً وحيناً هذا كله لا يجمله أحد به ذوق وأما قولهم ان لها حركات ردية فكيف تضاف الى الباري تعالى فانما كان بعض حركات النفس ردياً بمخالفة النفس أمر باريها في تلك الحركات وانما أضيفت الى الباري تعالى لانه خلقها فقط على قولنا أولاً لانه تعالى خلق تلك القوى التي بها كانت تلك الحركات فسقط الزامهم الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا أيضاً ان الاجسام في طبيعتها الاستحالة والتغير واحتمال الانقسام أبداً بلا غاية ليس شيء منها الا هكذا أبداً فهي محتاجة الى من يربطها ويشدها ويحفظها ويكون به تماسكها قالوا والفاعل لذلك النفس فلو كانت النفس جسماً لكانت محتاجة الى من يربطها ويحفظها فيلزم من ذلك أن تحتاج الى نفس أخرى والاخرى الى أخرى والاخرى كذلك الى مالا نهاية له ومالا نهاية له باطل

(قال أبو محمد) هذا أفسد من كل قول سبق من تشغيبتهم لان مقدمته مغشوشة فاسدة كاذبة أما قولهم

ان الاجسام في طبعها الاستعالة والتغير على الاطلاق كذب لان الفلك جسم لا يقبل الاستعالة وانما يجب الاستعالة والتغير في الاجسام المركبة من طبائع شتى بخلافها كيفياتها ولباسها كيفيات أخرى وبانحلالها الى عناصرها هكذا مدة ما أيضا ثم تبقى غير منحلة ولا مستحيلة وأما النفس قلنا تقبل الاستعالة والتغير في أعراضها فيتغير ويستحيل من علم الى جهل ومن جهل الى علم ومن حرص الى قناعة ومن بخل الى جود ومن رحمة الى قسوة ومن لذة الى ألم هذا كله موجود محسوس وأما ان تستحيل في ذاتها فتصير ليست نفسها فلا وهذا الكوكب هو جسم ولا يصير غير كوكب والفلك لا يصير غير فلك وأما قوله ان الاجسام محتاجة الى ما يشدها ويربطها ويمسكها فصحيح وأما قوله ان النفس هي الفاعلة لذلك فكذب ودعوى بلا دليل عليها اقتناعي ولا برهاني بل هو تمويه مدلس يجوز باطله على أهل الغفلة وهكذا قول الدهرية ولبس كذلك بل النفس من جملة الاجسام المحتاجة الى ما يمسكها ويشدها ويقيمها وحاجتها الى ذلك كحاجة سائر الاجسام التي في العالم ولا فرق والفاعل لكل ذلك في النفس وفي سائر الاجسام والممسك لها والحافظ لحيثها والحيل لها استحالة منها فهو المبدى للنفس ولكل ما في العالم من جسم أو عرض والمتمم لكل ذلك هو الله الخالق البارى المصور عز وجل فبعض أمسكها بطيائرها التي خلقها فيها وصرفها فضببطها لما هي فيه وبعض أمسكها برباطات ظاهرة كالعصب والعروق والجلود لفاعل شيء من ذلك دون الله تعالى وقد قدمنا البراهين على كل ذلك في صدر كتابنا هذا فاغنى عن ترداده والحمد لله رب العالمين * وقالوا أيضا كل جسم فهو اما ذونفس واما لادونفس فان كانت النفس جسما فهي متنفسة اى ذات نفس واما لا متنفسة اى لا ذات نفس فان كانت لا متنفسة فهذا خطأ لانه يجب من ذلك ان تكون النفس لانفسا وان كانت متنفسة اى ذات نفس فهي محتاجة الى نفس وتلك النفس الى أخرى والاخرى الى أخرى وهذا يوجب مالا نهاية له وما لا نهاية له باطل

(قال أبو محمد) هذه مقدمة صحيحة ركبوا عليها نتيجة فاسدة ليست منتجة على تلك المقدمة وأما قولهم ان كل جسم فهو اما ذونفس واما لادونفس فصحيح وأما قولهم ان النفس ان كانت غير متنفسة وجب من ذلك أن تكون النفس لانفسا فشغب فاسد بارد لا يلزم لان معنى القول بان الجسم ذونفس انما هو ان بعض الاجسام أضيفت اليه نفس حية حساسة متحركة بارادة مدبرة لذلك الجسم الذي استضافت اليه ومعنى القول بان هذا الجسم غير ذى نفس انما هو انه لم يستضاف اليه نفس فالنفس الحية هي المتحركة المدبرة وهي غير محتاجة الى جسم مدبرها ولا يحركها فلم يجب ان يحتاج الى نفس ولا ان تكون ليست نفسا ولا فرق بينهم في قولهم هذا وبين من قال ان الجسم يحتاج الى جسم كما قالوا انه يجب ان تحتاج النفس الى نفس أو قال يجب ان يكون الجسم لاجما كما قالوا يجب ان تكون النفس لانفسا وهذا كله هوس وجهل والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسما لكان الجسم نفسا

(قال أبو محمد) وهذا من الجهل المفرط المظلم ولو كان القائل هذا الجنون أقل علم بمحدود الكلام لم بات بهذه الغفانة لان الموجبة الكلية لا تنعكس البتة انعكاسا مطردا الا موجبة جزئية لا كلية وكلامهم هذا بمنزلة من قال لما كان الانسان جسما وجب أن يكون الجسم انسا نا ولما كان الكلب جسما وجب أن يكون الجسم كلبا وهذا غاية الحمق والقحمة لكن صواب القول في هذا ان يقول لما كانت النفس جسما كان بعض الاجسام نفسا ولما كان الكلب جسما وجب أن يكون بعض الاجسام كلبا وهذا هو العكس الصحيح المطرد اطرادا صحيحا أبدا وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضا ان كانت النفس جسما فهي بعض الاجسام واذا كانت كذلك فكلية الاجسام أعظم مساحة منها فيجب أن تكون أشرف منها

﴿قال أبو محمد﴾ عن عدم الحياء والعقل لم يبال بما نطق به لسانه وهذه قضية في غاية الحق لأنها توجب ان الشرف انما هو بعظم الاجسام وكثرة المساحة ولو كان كذلك لكانت القضية والبلية وكان الحمار والبغل وكدس العذرة أشرف من الانسان المنياء والفيلسوف لان كل ذلك أعظم مساحة منه ولكانت الغرلة أشرف من ناظر العين والالية أشرف من القلب والكبد والدماغ والصخرة أشرف من اللؤلؤة وأف لكل علم ادى الى مثل هذا نعم فان كثيرا من الاجسام أعظم مساحة من النفس وليس ذلك موجبا أنها أشرف منها مع ان النفس الرذالة المضربة عما أوجبه التميز وعن طاعة ربها الى الكفر به فكل شيء في العالم اشرف منها ونموذ بالله من الخذلان وقالوا ان كانت النفس جسما آخر مع الجسم فالجسم نفس وشيء آخر واذا كان كذلك فالجسم أتم واذا كان أتم فهو أشرف

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا جنون مردد لانه ليس بكثرة العدد يجب الفضل والشرف ولا بعموم اللفظ يجب الشرف بل قد يكون الاقل والاخص أشرف ولو كان ما قالوه لوجب ان تكون الاخلاق جملة اشرف من الفضائل خاصة لان الاخلاق فضائل وشيء آخر فهي اتم فهي على حملهم السخيف أشرف وهذا مالا يقوله ذو عقل وهم يقولون ان النفس جوهر والجوهر نفس وجسم فالجوهر أشرف من النفس لانه نفس وشيء آخر وقد قالوا ان الحى يقع تحت النامى فيلزمهم ان النامى أشرف من الحى لانه حى وشيء آخر وهذا تخليط وحقاقة ونموذ بالله من الوسواس وقالوا أيضا كل جسم يتغذى والنفس لا تتغذى فهي غير جسم ﴿قال أبو محمد﴾ ان كان هؤلاء السخفاء اذا اشتغلوا بهذه الحماقات كانوا سكارى بل سكر الجهل والسخف اعظم من سكر الخمر لان سكر الخمر سريع الافاقة وسكر الجهل والسخف بطى الافاقة اترام اذ قالوا كل جسم فهو متغذى بالماء والارض والهواء والكواكب والفلك وان كل هذه اجسام عظام لا تتغذى وانما يتغذى من الاجسام النوامى فقط وهى اجساد الحيوان السكان فى الماء والارض والشجر والنبات فقط فاذا كان هؤلاء النوكى مالا يتغذى ليس جسما فالارض والحجارة والكواكب والفلك والملائكة ليس كل ذلك جسما وكفى بهذا جنونا وخطا ونحمد الله على السلامة قالوا لو كانت النفس جسما لكانت لها حركة لان لكل جسم حركة ونحن لا نرى للنفس حركة فبطل ان تكون جسما

﴿قال أبو محمد﴾ هذه دعوى كاذبة وقد تناقضوا أيضا فيها لانهم قد قالوا قبل هذا بنحو ورقة وفي بعض حججهم ان الاجسام غير متحركة والنفس متحركة وهنا قبلوا الامر فظهر جهلهم وضعف عقولهم وأما قولهم لا نرى لها حركة فمخرقة وليس كل ما لا يرى يجب ان ينكر اذا قام على صحته دليل ويلزمهم اذ أبطلوا حركة النفس لانهم لا يرونها ان يبطلوا النفس جملة لانهم ايضا لا يرونها ولا يسمعونها ولا يلمسونها ولا يذوقونها وحركة النفس معلومة بالبرهان وهو ان الحركة قسمان حركة اضطرار وحركة اختيار فحركة الاضطرار هى حركة كل جسم غير النفس هذا ما لا يشك فيه فبقيت حركة الاختيار وهى موجودة يقينا وليس فى العالم شيء متحرك بها حاشا للنفس فقط فصيح ان النفس هى المتحركة بها فصيح ضرورة أن للنفس حركة اختيارية معلومة بلا شك واذا لا شك في أن كل متحرك فهو جسم وقد صبح ان النفس متحركة فالنفس جسم فهذا هو البرهان الضرورى التام الصحيح لانك الوسواس والاهذار ونحمد الله على نعمه عز وجل وقالوا لو كانت النفس جسما لوجب ان يكون اتصالها بالجسم اما على سبيل المجاورة واما على سبيل المداخلة وهى الممازجة ﴿قال أبو محمد﴾ فبعد هذا ماذا ونعم فان النفس متصلة بالجسم على سبيل المجاورة ولا يجوز سوى ذلك اذ لا يمكن ان يكون اتصال الجسمين الا بالمجاورة واما اتصال المداخلة فانما هى العرض والعرض والجسم والعرض على ما يناقيل وقالوا أيضا ان كانت النفس جسما فكيف يعرف الجسم بماسة أم غير ماسة

﴿ قال أبو محمد ﴾ الاجسام كلها حاش النفس موات لا علم لها ولا حس ولا تعلم شيئا وانما العلم والحس للنفس فقط فهي تعلم الاجسام والاعراض وخالق الاجسام والاعراض الذي هو خالقها ايضا بما فيها من صفة الفهم وطبيعة التمييز وقوة العلم التي وضعها فيها خالقها عز وجل وسؤالهم نارد وقالوا ايضا ان كل جسم بدا في نشوة وغاية ينتهي اليها وأجود ما يكون الجسم اذا انتهى الى غايته فاذا أخذ في النقص ضعف وليست الانفس كذلك لاننا نرى أنفس المممرين أكثر ضياء وأنفذ فعلا ونجد أبدانهم اضعف من ابدان الاحداث فلو كانت النفس جسما لنقص فعلها بنقصان البدن فاذا كان هذا كما ذكرنا فليست النفس جسما

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذه مقدمة فاسدة الترتيب اما قولهم ان الجسم اجود ما يكون اذا انتهى الى غايته فخطأ اذ قيل على العموم وانما ذلك في النوامي فقط وفي الاشياء التي تستحيل استحالة ذبولية فقط كالشجر واصناف أجساد الحيوان والنبات واما الجبال والحجارة والارض والبحار والهواء والماء والانفلاك والسكواكب فليس لها غاية اذا بلغت اخذت في الانحطاط وانما يستحيل بعض ما يستحيل من ذلك على سبيل التفات كحجر كسرناه فانكسر ولو تركه لبقى ولم يذبل ذبول الشجر والنبات واجسام الحيوان وكذلك النفس لا تستحيل استحالة ذبول ولا استحالة تقمط وانما تستحيل اعراضها كما ذكرنا فقط ولا نماء له وكذلك الملائكة والفلك والسكواكب والعناصر الاربعة لانماء لها وكل باق على هيئته التي خلقه الله تعالى عليها اذ خلق كل ذلك والنفس كذلك منتقلة من عالم الابداء الى عالم الانتهاء الى عالم البرزخ الى عالم الحساب الى عالم الجزاء فتخلد فيه أبدا بلانهاية وهي اذا تخلصت من رطوبات الجسد وكدره كانت أصفى نظرا وأصبح علما كما كانت قبل جلولها في الجسد نسال الله خير ذلك المنقلب بمنه آمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا ما هو به من كل طبيعة ومتردية قد نقصيناه لهم وبيننا ان كله فساد وحماقات ونقصيناه بالبراهين الضرورية والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) فاذا بطل كل ما شغب به من يقول ان النفس ليست جسما وسقط هذا القول لتعريه عن الادلة جملة فنحن ان شاء الله تعالى نوضح بعون الله عز وجل وقوته البراهين الضرورية على انها جسم وبالله تعالى نتايد وذلك بعد ان نبين بتأييد الله عز وجل شغبين يمكن ان يعترض بهما ان قال قائل اتسمو النفس فان قلتم لا قلنا نحن نجدها ننشأ من صغر الى كبر وترتبط بالجسد بالغذاء واذا انقطع الغذاء انحلت عن الجسد ونجدها نسوء أخلاقها ويقل صبرها بدم الغذاء فاذا تغذت اعتدلت اخلاقها وصلحت

﴿ قال أبو محمد ﴾ لا تغذى ولا تنمو اما عدم غذائها فالبرهان القائم انها ليست مركبة من الطبائع الاربع وانها بخلاف الجسد هذا هو البرهان على انها لا تغذى وهو ان ما تركب من العناصر الاربعة فلا بد له من الغذاء ليستخلف ذلك الجسد أو تلك الشجرة أو ذلك النبات من رطوبات ذلك الغذاء أو أرضياته مثل ما تحلل من رطوباته بالهواء والحر وليست هذه صفة النفس اذ لو كانت لها هذه الصفة لكانت من الجسد او مثله ولو كانت من الجسد أو مثله لكانت موانا كالجسد غير حساسة فاذا قد بطل ان تكون مركبة من طبائع العناصر بطل ان تكون متغذية نامية واما ارتباطها بالجسد من اجل الغذاء فهو امر لا يعرف كيفيته الا خالقها عز وجل الذي هو مدبرها الا انه معلوم انه كذلك فقط وهو كطحن المعدة للغذاء لا يدري كيف هو وغير ذلك

مما يوجد الله عز وجل يلمه ومن البرهان على ان النفس لا تغذى ولا تنمو ان البرهان قد قام على انها كانت قبل تركيب الجسد على آباء الدهور وانها باقية بعد انحلاله وليس هنالك في ذينك العالمين غذاء يولد نماء أصلاً وأما ما ظنوه من نشأتها من صغر الى كبر فخطا وانما هو عودة من النفس الى ذكرها الذى سقط عنها بول ارتباطها بالجسد فان سال سائل اتموت النفس قلنا نعم لان الله تعالى نص على ذلك فقال * كل نفس ذائقة الموت * وهذا الموت انما هو فراقها للجسد فقط. برهان ذلك قول الله تعالى * اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * وقوله تعالى * كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * نصيح ان الحياة المذكورة انما هي ضم الجسد الى النفس وهو نفخ الروح فيه وأن الموت المذكور انما هو التفريق بين الجسد والنفس فقط وليس موت النفس بما يظنه أهل الجهل وأهل الالحاد من إنها تعدم جملة بل هي موجودة قائمة كما كانت قبل الموت وقبل الحياة الاولى ولا انها يذهب حسها وعلمها بل حسها بعد الموت أصبح ما كان وعلمها أم ما كان وحياتها التي هي الحس والحركة الارادية باقية بحسبها أكل ما كانت قط قال عز وجل * وان الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون * وهي راجعة الى البرزخ حيث رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عن الميمنة من آدم عليه السلام ومشتتة الى ان نجيا ثانية بالجمع بينها وبين جسدها يوم القيامة وأما انفس الجن وسائر الحيوان حيث شاء الله تعالى ولا علم لنا الا ما علمنا ولا يحل لاحد ان يقول بغير علم وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) فلنذكر الآن البراهين الضرورية على ان النفس جسم من الاجسام فمن الدليل على ان النفس جسم من الاجسام انقسامها على الاشخاص فنفس زيد غير نفس عمرو فلو كانت النفس واحدة لا تنقسم على ما يزعم الجاهلون القائلون انها جوهر لا جسم لوجب ضرورة ان تكون نفس المحب هي نفس المبتض وهي نفس المحبوب وان تكون نفس الفاسق الجاهل هي نفس الفاضل المحكم العالم ولكانت نفس الخائف هي نفس المخوف منه ونفس القاتل هي نفس المقتول وهذا حق لا خفاء به فصيح انها نفوس كثيرة متغايرة الا ما كن مختلفة الصفات حاملة لاعراضها فصيح انها جسم يقيين لاشك فيه وبرهان آخر هو ان العلم لا خلاف في أنه من صفات النفس وخواصها لا مدخل للجسد فيه أصلاً ولا حفظ فلو كانت النفس جوهرًا واحدًا لا تجزي نفوسا لوجب ضرورة ان يكون علم كل أجسد مستويا لا تفاضل فيه لان النفس على قولهم واحدة وهي العالمه فكان يجب ان يكون كلما علمه زيد يعلمه عمرو لان نفسها واحدة عندم غير منقسمة ولا متجزئة فكان يلزم ولا بد ان يعلم جميع أهل الارض ما يعلمه كل عالم في الدنيا لان نفسهم واحدة لا تنقسم وهي العالمه وهذا مالا انفكاك منه البتة فقد صرح بما ذكرنا ضرورة ان نفس كل احد غير نفس غيره وان انفس الناس أشخاص متغايرة تحت نوع نفس الانسان وان نفس الانسان الكلية نوع تحت جنس النفس الكلية التي يقع تحتها انفس جميع الحيوان واذ هي أشخاص متغايرة ذات أمكنة متغايرة حاملة لصفات متغايرة فهي أجسام ولا يمكن غير ذلك البتة وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان العالم كله محدود معروف اجسام واعراض ولا مزيد فمن ادعى ان ههنا جوهرًا ليس جسما ولا عرضا فقد ادعى مالا دليل عليه البتة ولا يتشكل في العقل ولا يمكن توهمه وما كان هكذا فهو باطل مقطوع على بطلانه وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان النفس لا تخلو من أن تكون خارج الفلك أو داخل الفلك فان كانت خارج الفلك فهذا باطل اذا قام البرهان على تناهي جرم العالم فليس وراء النهاية شيء ولو كان وراءها شيء لم تكن نهاية

فوجب ضرورة انه ليس خارج الفلك الذى هو نهاية العالم شيء لا خللاء ولا ملاء وان كانت فى الفلك فهمى ضرورة أما ذات مكان وأما محمولة فى ذى مكان لانه ليس فى العالم شيء غير هذين أصلاً ومن ادعى ان فى العالم شيئاً ثالثاً فقد ادعى المحال والباطل وما لا دليل له عليه وهذا لا يجوز عنه أحد وما كان هكذا فهو باطل يتيقن وقد قام الدليل على ان النفس ليست عرضاً لانها عالمة حساسة والعرض ليس عالماً ولا حساساً وصح انها حاملة لصفاتها لا محمولة فاذى حاملة متمكنة فهمى جسم لا شك فيه اذ ليس الا جسم حامل أو عرض محمول وقد بطل ان تكون عرضاً محمولا فهمى جسم حامل وبالله تعالى التوفيق وأيضا فلا تخلو النفس من ان تكون واقعة تحت جنس أولاً فان كانت لا واقعة تحت جنس فهمى خارجة عن المقولات وليس فى العالم شيء خارج عنها ولا فى الوجود شيء خارج عنها الا خالقها وحده لا شريك له وم لا يقولون بهذا بل يوقنونها تحت جنس الجوهر فاذى واقعة تحت جنس الجوهر فانا نسالهم عن الجوهر الجامع للنفس وغيرها اله طبيعة أم لا فان قالوا لا وجب ان كل ما تحت الجوهر لا طبيعة له وهذا باطل وم لا يقولون بهذا فان قالوا لا ندرى ما الطبيعة قلنا لهم اله صفة محمولة فيه لا يوجد دونها أم لا فلا بد من نعم وهذا هو معنى الطبيعة وان قالوا بل له طبيعة وجب ضرورة ان يعطى كل ما تحته طبيعة لان الاعلى يعطى لكل ما تحته اسمه وحدوده عطاء صحيحاً والنفس تحت الجوهر فالنفس ذات طبيعة بلا شك واذ صح ان لها طبيعة فكل ماله طبيعة فقد حصرت الطبيعة وما حصرت الطبيعة فهو ذو نهاية محدودة وكل ذى نهاية فهو اما حامل واما محمول والنفس بلا شك حاملة لا عرضها من الاضداد كالعلم والجهل والذكاء والبلادة والنجدة والجبن والعدل والجور والقسوة والرحمة وغير ذلك وكل حامل فذو مكان وكل ذى مكان فهو جسم فالنفس جسم ضرورة وأيضا فكل ما كان واقعا تحت جنس فهو نوع من أنواع ذلك الجنس وكل نوع فهو مركب من جنسه الا على العام له من أنواعه ومركب أيضا مع ذلك من فصله الخاص به المميز له من سائر الانواع الواقعة معه تحت جنس واحد فانه موضوع وهو جنسه القابل لصورته وصورة غيره وله محمول وهو صورته التى خصته دون غيره فهو ذو موضوع ومحمول فهو مركب والنفس نوع للجوهر فهمى مركبة من موضوع ومحمول وهى قائمة بنفسها فهمى جسم ولا بد

وقال أبو محمد رحمه الله وهذه براهين ضرورية حسية عقلية لا يحيد عنها وبالله تعالى التوفيق وهذا قول جماعة من الاولاد ولم يقل ارسطاطاليس ان النفس ليست جسماً على ما ظنه أهل الجهل وانما نفى أن تكون جسماً كدرا وهو الذى لا يليق بكل ذى علم سواء ثم لو صح انه قالها لكانت وهلة ودعوى لا يبرهان عليها وخطا لا يجب اتباعه عليه وهو يقول فى مواضع من كتبه اختلف أفلاطون والحق وكلاهما اليانا حبيب غير ان الحق أحب اليانا واذا جاز أن يختلف أفلاطون والحق فغير نكير ولا بديع أن يختلف ارسطاطاليس والحق وما عصم انسان من الخطا فكيف وما صح قط انه قاله

وقال أبو محمد رحمه الله انما قال ان النفس جوهر لا جسم من ذهب الى انها هى الخالقة لما دون الله تعالى على ما ذهب اليه بعض الصابئين ومن كفى بها عن الله تعالى

وقال أبو محمد رحمه الله وكلا القولين سخف وباطل لان النفس والعقل لفظتان من لغة العرب موضوعتان فيها لمعنيين مختلفين فاحالتهم عن موضوعهما فى اللغة سفسطة وجهل وقلة حياء وتلبيس وتدليس

وقال أبو محمد رحمه الله وأما من ذهب الى ان النفس ليست جسماً بمن ينتمى الى الاسلام بزعمه فقول يبطل بالقرآن والسنة واجماع الامة فاما القرآن فان الله عز وجل قال * هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت * وقال تعالى * اليوم نجزي كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم * وقال تعالى * كل أمرى بما كسب رهين * فصح

ان النفس هي الفعالة الكاسبة المجزية المخطئة * وقال تعالى * ان النفس لامارة بالسوء * وقال تعالى * ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب * وقال تعالى * ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون * وقال تعالى * ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله * فصيح ان الانفس منها ما يرضى على النار قبل يوم القيامة فيعذب ومنها ما يرضى وينعم فرحاو يكون مسرورا قبل يوم القيامة ولا شك ان اجساد آل فرعون واجساد المقتولين في سبيل الله قد تقطعت واصالهاوا كلتها السباع والطير وحيوان الماء فصيح ان الانفس منقولة من مكان الى مكان ولا شك في ان العرض لا يلقى العذاب ولا يحس فليست عرضا وصح انها تنتقل في الاماكن قائمة بنفسها وهذه صفة الجسم لصفة الجوهر عند القائل به فصيح ضرورة انها جسم واما من السنن فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة وقوله صلى الله عليه وسلم انه رأى نسم بنى آدم عند سماء الدنيا عن يمين آدم ويساره فصيح ان الانفس مريئة في اماكنها وقوله عليه السلام ان نفس المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء وفعل بها كذا ونفس الكافرا اذا قبضت فعل بها كذا فصيح انها مذبذبة ومنعمة ومنقولة في الاماكن وهذه صفة الاجسام ضرورة واما من الاجماع فلا خلاف بين احد من اهل الاسلام في ان انفس العباد منقولة بعد خروجها عن الاجساد الى نعيم او الى صنوف ضيق وعذاب وهذه صفة الاجسام ومن خالف هذا فزعم ان الانفس تعلم اوانها تنتقل الى اجسام آخر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال بخرقه الاجماع ومخالفة القرآن والسنن ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وقد ذكرنا في باب عذاب القبر ان الروح والنفس شيء واحد ومعنى قول الله تعالى * ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي * انما هو لان الجسد مخلوق من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم عظما ثم لحما ثم امشاجا وليس الروح كذلك وانما قال الله تعالى امراله بالكون كن فكان فصيح ان النفس والروح والنسمة اسماء مترادفة لمعنى واحد وقد يقع الروح ايضا على غير هذا فجب على السلام الروح الامين والقرآن روح من عند الله والله تعالى التوفيق فقد بطل قولهم في النفس وصح انها جسم ولم يبق الا الكلام في الجزء الذي ادعوا انه لا يتجزى

(قال ابو محمد) ذهب جمهور المتكلمين الى ان الاجسام تنحل الى اجزاء صغار لا يمكن البتة ان يكون لها جزء وان تلك الاجزاء جواهر لا اجسام لها وذهب النظام وكل من يحسن القول من الاوائل الى انه لا جزء وان دق الا وهو يحتمل التجزى ابدا بلانهاية وانه ليس في العالم جزؤ ولا يتجزى وان كل جزء انقسم الجسم اليه فهو جسم ايضا وان دق ابدا

(قال ابو محمد) وعمدة القائلين بوجود الجزء الذي لا يتجزى خمس مشاغب وكلها راجعة بحول الله وقوته عليهم ونحن ان شاء الله تعالى نذكرها كلها ونتقصي لهم كل ما هو به ونرى بون الله عز وجل بطلان جميعها بالبراهين الضرورية ثم نرى بالبراهين الصعاح صحة القول بان كل جزء فهو يتجزى ابدا وانه ليس في العالم جزؤ ولا يتجزى أصلا كما فعلنا بسائر الاقوال والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فاول مشاغبيهم ان قالوا اخبرونا اذا قطع الماشى المسافة التي مشى فيها فهل قطع ذا نهاية او غير ذي نهاية فان قلتم قطع غير ذي نهاية فهذا محال وان قلتم قطع ذا نهاية فهذا قولنا

(قال ابو محمد) فاجوابنا والله تعالى التوفيق ان القوم اتوا من احد وجهين اما انهم لم يفهموا قولنا فتكلموا يحهل وهذا لا يرضاه ذو ورع ولا ذو عقل ولا حياء واما انهم لما عجزوا عن معارضة الحق رجعوا الى الكذب والمباهلة وهذه شر من الاولى وفي أحد هذين القسمين وجدنا كل من ناظرنا منهم في هذه

المسألة وهكذا عرض لنا سواء مع المخالفين لنا في القياس المدعين لتصحيحه فانهم أيضا أحد رجلين اما جاهل بقولنا فهو يقولنا مالا نقوله ويتكلم في غير ما اختلفنا فيه واما مكابر ينسب الينا مالا نقوله مباحة وجرامة على الكذب وعجزا عن مراضة الحق من اننا ننكر اشتباه الاشياء واننا ننكر قضايا القول واننا ننكر استواء حكم الشئيين فيما اوجبه لهما ما اشتبهتا فيه وهذا كله كذب علينا بل نقر بذلك كله ونقول به وانما ننكر ان نحكم في الدين لشئيين بتحريم او ايجاب او تحليل من اجل انهما اشتبهتا في صفة من صفاتهما فهذا هو الباطل البحت والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمه * ونقول على هذا السؤال الذي سالونا عنه اننا لم نرفع النهاية عن الاجسام كلها من طريق المساحة بل ثبتها ونمرقها ونقطع على ان كل جسم فله مساحة ابداء معدودة والله الحمد وانما نفينا النهاية عن قدرة الله تعالى على قسمة كل جزء وان دق واثبتنا قدرة الله تعالى على ذلك وهذا هو شيء غير المساحة ولم يتكلف القاطع بالمشي أو بالذرع أو بالعمل قسمة ما قطع ولا يتجزئ وانما تكلف عملا او مشي في مساحة معدودة بالليل أو بالذراع والشبر أو الاصبع او ما اشبه ذلك وكل هذا له نهاية ظاهرة وهذا غير الذي نفينا وجود النهاية فيه فبطل الزامهم والحمد لله كثيرا ثم نمكس هذا الاعتراض عليهم فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق نحن القائلون بان كل جسم فله طول وعرض وعمق وهو محتمل للانقسام والتجزئ. وهذا هو اثبات النهاية لكل جزء انقسم الجسم اليه من طريق المساحة ضرورة وانتم تقولون ان الجسم ينقسم الى اجزاء ليس لشيء منها عرض ولا طول ولا عمق ولا مساحة ولا يتجزأ وليست أجساما وان الجسم هو تلك الاجزاء نفسها ليس هو شيء غيرها اصلا وان تلك الاجزاء ليس لشيء منها مساحة فلزمكم ضرورة اذا الجسم هو تلك الاجزاء وليست اجساما وان الجسم هو تلك الاجزاء وليس هو غيرها وكل جزء من تلك الاجزاء لا مساحة له ان الجسم لا مساحة له وهذا امر يبطله البيان واذا لم تكن له مساحة والمساحة هي النهاية في ذرع الاجسام فلان نهاية لما قطعه القاطع من الجسم على قولهم وهذا باطل والاعتراض الثاني ان قالوا لا بد ان يلي الجرم من الجرم الذي يليه جزء ينقطع ذلك الجرم فيه قالوا وهذا اقوار يجره لا يتجزأ

قال ابو محمد رحمه الله وهذا تمويه فاسد لاننا لم ندفع النهاية من طريق المساحة بل نقول ان لكل جرم نهاية وسطها ينقطع تماديه عنده وان الذي ينقطع به الجرم اذا جزىء فهو متناه محدود ولكنه محتمل للتجزئ أيضا وكل ما جزىء فذلك الجزء وهو الذي يلي الجرم الملاصق له بنهايته من جهته التي لا قاه منها لاما ظنوا من أن احد الجرم جزء منه وهو وحده الملاصق للجرم الذي يلاصقه بل هو باطل بما ذكرنا لكن الجزء وهو الملاصق للجرم بسطحه فاذا جزىء كان الجزء الملاصق للجرم بسطحه هو الملاصق حينئذ بسطحه لا الذي خرج من ملاصقته وهكذا بدا الكلام في هذا كالكلام في الذي قبله ولا فرق والاعتراض الثالث ان قالوا هل الف اجزاء الجسم الا الله تعالى فلا بد من نعم قالوا فهل يقدر الله على تفريق اجزاء حتى لا يكون فيها شيء من التاليف ولا محتمل ذلك الاجزاء التجزئ. أم لا يقدر على ذلك قالوا فان قلتم لا يقدر عجزتم ربكم تعالى وان قلتم يقدر فهذا اقوار منكم بالجزء الذي لا يتجزأ

قال ابو محمد رحمه الله هذا هو من اقوى شبهم التي شغبوا بها وهو حجة لنا عليهم والجواب اننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ان سؤالكم سؤال فاسد وكلام فاسد ولم تكن قط اجزاء العالم متفرقة ثم جمعها الله عز وجل ولا كانت له اجزاء مجتمعة ثم فرقها الله عز وجل لكن الله عز وجل خلق العالم بكل ما فيه بان قال له كن فكان او بان قال لكل جرم منه اذا اراد خلقه كن فكان ذلك الجرم ثم ان الله تعالى

خلق جميع ما اراد جمعه من الاجرام التي خلقها متفرقة ثم جمعها وخلق تفريق كل جرم من الاجرام التي
 خلقها مجتمعة ثم فرقها فهذا هو الحق لا ذلك السؤال الفاسد الذي اجهلتموه واوهتمتم به اهل الغفلة ان الله
 تعالى الف العالم من اجزاء خلقها متفرقة وهذا باطل لانه دعوي بلا برهان عليها ولا فرق بين من قال
 ان الله تعالى الف اجزاء العالم وكانت متفرقة وبين من قال بل الله تعالى فرق العالم اجزاء وانما كان جزءاً
 واحداً وكلاهما دعوى ساقطة لا برهان عليها لا من نص ولا من عقل بل القرآن جاء بما قلناه نصاً قال تعالى *
 انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون * ولقطة شيء تقع على الجسم وعلى العرض فصيح ان كل
 جسم صغر او كبر وكل عرض في جسم فان الله تعالى اذا اراد خلقه قال له كن فكان ولم يقل عز وجل
 قط انه الف كل جزء من اجزاء متفرقة فهذا هو الكذب على الله عز وجل حقاً بطل ما ظنوا انهم يلزمونا
 به ثم نقول لهم ان الله تعالى قادر على ان يخلق جسماً لا يتقسم ولكنه لم يخلقه في بنية هذا العالم ولا يخلقه
 كما انه تعالى قادر على ان يخلق عرضاً قائماً بنفسه ولكنه تعالى لم يخلقه في بنية هذا العالم ولا يخلقه لانهما مارتبه
 الله عز وجل محالاً في العقول والله تعالى قادر على كل ما يسال عنه لا نحاشي شيئاً منها الا انه تعالى لا يفعل كل ما
 يقدر عليه وانما يفعل ما يشاء وما سبق في علمه انه يفعله فقط وبالله تعالى التوفيق * ثم نطلف هذا السؤال
 نفسه عليهم فنقول لهم هل يقدر الله عز وجل على ان يقسم كل جزء ويتقسم كل قسم من اقسام الجسم ابداً
 بلا نهاية ام لا فان قالوا لا يقدر على ذلك عجزوا ربهم حقاً وكفروا وهو قولهم دون تاويل ولا الزام ولكنهم
 يخافون من اهل الاسلام فيملحون ضلالتهم باثبات الجزء الذي لا يتجزأ جملة * وان قالوا انه تعالى قادر
 على ذلك صدقوا ورجعوا الى الحق الذي هو نفس قولنا وخلاف قولهم جملة ونحن لا نخالفهم قط في ان
 اجزاء طحين الدقيق لا يقدر مخلوق في العالم على تجزئة تلك الاجزاء وانما خالفناهم في ان قلنا نحن ان الله
 تعالى قادر على ما لا نقدر نحن عليه من ذلك وقالوا م بل هو غير قادر على ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون
 علواً كبيراً وقولهم في تنامي القدرة على قسمة الله تعالى الاجزاء هو القول بان الله تعالى يبلغ من الخلق الى
 مقدار ما ثم لا يقدر على الزيادة عليه ويبقى حسيماً عاجزاً تعالى الله عن هذا الكفر ولعمري ان ابا المزبل
 شيخ المشيئة للجزء الذي لا يتجزأ ليحن الى هذا المذهب حينئذ شديداً وقد صرح بان لما يقدر الله عليه
 كالا وآخراً لو خرج الى الفعل لم يكن الله تعالى قادراً بعده على تحريك ساكن ولا تسكين متحرك ولا على فعل
 شيء أصلاً ثم تدارك كفره فقال ولا يخرج ذلك الاًخر ابداً الى حد الفعل

قال ابو محمد في فقال له ما المانع من خروجه والنهاية حاصرة له والفصل قائم فلا بد مع طول الزمان
 من البلوغ الى ذلك الاًخر

قال ابو محمد في نعوذ بالله من الضلال والاعتراض الرابع هو ان قالوا ايما أكثر اجزاء الجبل أو اجزاء
 الخردلة وأيما أكثر اجزاء الخردلة أو اجزاء الخردلتين قالوا فان قلتم بل اجزاء الخردلتين واجزاء الجبل
 صدقتم وأقررتم بتناهي التجزئ وهو القول بالجزء الذي لا يتجزأ وان قلتم ليس اجزاء الجبل أكثر من
 اجزاء الخردلة ولا اجزاء الخردلتين أكثر من اجزاء الخردلة كبرتم العيان لانه لا يحدث في الخردلة
 جزء الا ويحدث في الخردلتين جزآن وفي الجبل اجزاء وادعوا علينا اننا نقول ان في كل جسم اجزاء
 لا نهاية لمددها ولا آخر لها وان من قطع بالشيء مكاناً ما أو قطع بالجنتين شيئاً فانما قطع ما لا
 نهاية لمدده وقالوا ان عمدة حججكم على الدهرية هو هذا المعنى نفسه في الزامكم ايام وجوب القلة والكثرة
 في عدد الاشخاص وأوقات الزمان وإيجابكم ان كل ما حصره العدد ذو نهاية وانكاركم على الدهرية وجود
 أشخاص وازمان لانهاية لمددها قالوا ثم تقضتم كل ذلك في هذا المكان

قال ابو محمد هو الذي قلنا انهم اياهم يفهموا كلامنا في هذه المسألة فقولونا لا نقوله بظنونهم الكاذبة واما
 انهم عرفوا قولنا فخر فوه قلة حياء واستحلال الكذب وجراءة كل عمل الفضيحة لهم في كذبهم وعجزا منهم
 عن كسر الحق ونصر الباطل فاعلموا ان كل مانسبوه اليها من قولنا ان من قطع مكانا أو شيئا بالمشي أو الجلمتين
 قائما قطع ما لا نهاية له فباطل ما قلناه قط بل ما قطع الاذناية بمساحته وزمانه وأما احتجاجنا على الدهرية بما
 ذكرناه فصح هو حجتنا على الدهرية وأما ادعائهم اننا نقضنا ذلك في هذا المكان فباطل والفرق بين ما قلناه من
 ان كل جزء فهو يتجزأ أبدا بلا نهاية وبين ما احتجاجنا به على الدهرية من ايجاب النهاية بوجود القلة والكثرة
 في اعداد الاشخاص والازمان وانكارنا عليهم وجود أشخاص وأزمان لانهاية لها بل هو حكم واحد وباب
 واحد وقول واحد ومعنى واحد وذلك ان الدهرية أثبتت وجود أشخاص قد خرجت الى الفعل لانهاية لعددها
 ووجود ازمان قد خرجت الى الفعل لانهاية لها وهذا محال ممتنع وهكذا قلنا في كل جزء خرج الى حد الفعل
 فانها متناهية العدد بلا شك ولم تقل قط ان اجزائه موجودة منقسمة لانهاية لعددها بل هذا باطل محال ثم ان
 الله تعالى قادر على الزيادة في الاشخاص وفي الازمان وفي قسمة الجزء ابدا بلا نهاية لكن كل ما خرج الى الفعل
 او يخرج من الاشخاص والازمان او تجزئة الاجزاء فكل ذلك متناه بعدده اذا خرج وهكذا ابدا واما ما لم
 يخرج الى حد الفعل بعد من شخص او زمان او تجزى فليس شيئا ولا هو عددا ولا معدودا ولا يقع عليه عدد
 ولا هو شخص بعد ولا زمان ولا جزؤ وكل ذلك عدم وانما يكون جزء اذا جرى به قطع او برسم مميز لا قبل
 ان يجزى وبهذا تنبئ غثاثة سؤالهم في اياها اكثر اجزاء الخردلة او اجزاء الجبل او اجزاء الخردلتين لان الجبل
 اذا لم يجزأ والخردلة اذا لم تجزأ والخردلتان اذا لم تجزأ فلا اجزاء لها اصلا بعد بل الخردلة جزؤ واحد والجبل جزؤ
 واحد والخردلتان كل واحدة منهما جزؤ فاذا قسمت الخردلة على سبعة اجزاء وقسم الجبل جزئين وقسمت
 الخردلتان جزئين جزئين فالخردلة الواحدة يبقين اكثر من اجزاء من الجبل والخردلتين لانهما صارت سبعة
 اجزاء ولم يصر الجبل والخردلتان الا ستة اجزاء فقط فلو قسمت الخردلة ستة اجزاء لكانت اجزائها و اجزاء
 الجبل والخردلتين سواء ولو قسمت الخردلة خمسة اجزاء وكانت اجزاء الجبل والخردلتين اكثر من اجزاء
 الخردلة وهكذا في كل شيء فصيح انه لا يقع التجزى في شيء الا اذا قسم لاقبل ذلك فان كانوا يريدون في ايها
 يمكننا التجزئة اكثر في الجبل والخردلتين ام في الخردلة الواحدة فهذا ما لا شك فيه ان التجزى امكن لنا في
 الجبل وفي الخردلتين منه في الخردلة الواحدة لان الخردلة الواحدة عن قريب تصغر اجزائها حتى لا تقدر نحن على
 قسمتها ويتأدى لنا الا امر في الجبل كثير احتياقه يعني عمر احدنا قبل ان يبلغ تجزئته الى اجزاء تدق عن قسمتنا واما
 قدرة الله عز وجل على قسمة ما عجزنا نحن عن قسمته من ذلك فباقية غير متناهية وكل ذلك عليه هين سواء ليس بمضه
 اسهل عليه من بعض بل هو قادر قسمة الخردلة ابدا بلا نهاية وعلى قسمة الفلك كذلك ولا فرق وبالله تعالى التوفيق
 ونريد بياننا فنقول ان الشيء قبل ان يجزأ فليس متجزئا فاذا اجزى بنصفين او جزئين فهو جزءان فقط فاذا اجزى على ثلاثة
 اجزاء فقط فهو ثلاثة اجزاء وهكذا ابدا واما من قال او ظن ان الشيء قبل ان ينقسم وقبل ان يتجزأ انه منقسم بعد
 ومتجزم بعد فوسواس وظن كاذب لكنه محتمل الا تقسام والتجزى وكل ما قسم وجز فكل جزؤ ظهر منه فهو معدود
 متناه وكذلك كل جسم فطول وعرضه متناهيان بلا شك والله تعالى قادر على الزيادة فيهما
 ابدا بلا نهاية الا ان كل ما زاده تعالى في ذلك واخرجه الى حد الفعل فهو متناه ومعدود ومحدود وهكذا
 ابدا وكذلك الزيادة في أشخاص العالم وفي العدد فان كل ما خرج الى حد الفعل من الاشخاص ومن الاعداد
 فذو نهاية والله تعالى قادر على الزيادة في الاشخاص ابدا بلا نهاية والزيادة في العدد ممكنة ابدا بلا نهاية الا
 ان كل ما خرج من الاشخاص والاعداد الى الفعل محبته النهاية ولا بد ثم نعكس هذا السؤال عليهم فنقول

لهم وبالله تعالى التوفيق انفضل عندكم قدرة الله تعالى على قسمة الجبل على قدرته على قسمة الخردلة وهل
تأق حال يكون الله فيها قادرا على قسمة أجزاء الجبل غير قادر على قسمة أجزاء الخردلة أم لا فان قالوا
بل قدرة الله تعالى على قسمة الجبل أتم من قدرته على قسمة الخردلة واقرأوا بأنه تأتي حال يكون الله تعالى
فيها قادرا على قسمة أجزاء الجبل غير قادر على قسمة أجزاء الخردلة كفروا وعجزوا ربهم وجعلوا قدرته
محدثة متفاضلة متناهية وهذا كفر مجرد وان أبومن هذا قالوا ان قدرة الله تعالى على قسمة الجبل والخردلة
سواء وأنه لا سبيل الى وجود حال يقدر الله تعالى فيها على تجزئة أجزاء الجبل ولا يقدر على تجزئة
أجزاء الخردلة صدقوا ورجعوا الى قولنا الذي هو الحق وما عداه ضلال وباطل والحمد لله رب العالمين *

والاعتراض الخامس هو ان قالوا هل لأجزاء الخردلة كل أم ليس لها كل وهل يعلم الله عدد أجزائها أم
لا يعلمه * فان قلتم لا كل لها نفيتم النهاية عن المخلوقات الموجودات وهذا كفر وان قلتم ان الله تعالى لا
يعلم عدد أجزائها كفرتم وان قلتم ان لها كلا وان الله تعالى يعلم اعداد أجزائها اقررتكم بالجزء الذي لا يتجزأ
(قال أبو محمد) وهذا تمويه لائح ينبغي التنبيه عليه لئلا يجوز على أهل الغفلة وهو أنهم أقحموا لفظة كل
حيث لا يوجد كل وسألوا هل يعلم الله تعالى عدد ما لا عد له وم في ذلك كمن سأل هل يعلم الله تعالى عدد
شعر لحية الاحلس أم لا وهل يعلم جميع أولاد المقيم أم لا وهل كل حركات أهل الجنة والنار أم لا فهذه
السؤال كسؤالهم ولا فرق * وجوابنا في ذلك كله ان الله عز وجل انما يعلم الأشياء على ما هي عليه لا
على خلاف ما هي عليه لان من علم الشيء على ما هو عليه فقد علمه حقا وأما من علم الشيء على خلاف
ما هو عليه فلم يعلمه بل جهله وحاشا لله من هذه الصفة فإلا كل له ولا عد له فانما يعلمه الله عز وجل
ان لا عد له ولا كل وما علم الله عز وجل قط عددا ولا كلا الا لما له عدد وكل لا لما لا عدد له ولا كل
وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد شعر لحية الاطلس ولا علم قط ولد المقيم فكيف ان يعرف لهم كلا
وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد أجزاء الجبل ولا الخردلة قبل ان يحزأ لانها لأجزاء لها قبل التجزئة
وانما علمها غير متجزئين وعلمها محتملين للتجزى فاذا جزأ علمها حينئذ متجزئين وعلم حينئذ عدد
أجزائها ولم يزل تعالى يعلم انه يحزء كل ما لا يتجزء ولم يزل يعلم عدد الأجزاء التي لا تخرج في المستأنف
الى حد الفعل ولم يزل يعلم عدد ما يخرج من الأشخاص بخلقه في الابد الى حد الفعل او لم يزل يعلم انه
لا أشخاص زائدة على ذلك ولا أجزاء لما لم ينقسم بعد وكذلك ليس للخردلة ولا للجبل قبل التجزى
أجزاء أصلا واذ ذلك كذلك فلا كل ها هنا ولا بعض فهذا بطلان سؤالهم والحمد لله رب العالمين ثم نمكس
عليهم هذا السؤال فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق أخبرونا عن الشخص الفرد من خردلة او وبرة او شعرة
او غير ذلك اذا جزأنا كل ذلك جزئين او أكثر متى حدثت الأجزاء احين جزئت أم قبل ان يحزء فان
قالوا قبل ان يحزء فانقصوا اسمج مناقضة لانهم اقرروا بحدوث أجزاء كانت قبل حدوثها وهذا سخف وان
قالوا انما حدثت لها الأجزاء حين جزئت لا قبل ذلك سالناهم متى علمها الله تعالى متجزئة حين حدث فيها
التجزى أم قبل ان يحدث فيها التجزى فان قالوا بل حين حدث فيها التجزى صدقوا وأبطلوا قولهم في
في أجزاء الخردلة وان قالوا بل علم انها متجزئة وان لها أجزاء قبل حدوث التجزى فيها جهلوا ربهم تعالى
اذ أخبروا أنه يعلم الشيء بخلاف ما هو عليه ويعلم أجزاء لما لا أجزاء له وهذا ضلال وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) هذا كل ما هووا به لم ندع لهم منه شيئا الا وقد أوردناه وبيننا انه كله لا حجة لهم في شيء
منه وأنه كله عائد عليهم وحجة لنا والحمد لله رب العالمين ثم نبيندئ بحول الله تعالى وقوته بإيراد البراهين
الضرورية على ان كل جسم في العالم فانه متجزئ محتمل للتجزئة وكل جزء من جسم فهو أيضا جسم محتمل

للتجزى وهكذا ابدا والله تعالى تناید

(قال ابو محمد) يقال لهم والله تعالى نستعين اخبرونا عن هذا الجزء الذي قلتم انه لا يتجزى أهو في العالم أم ليس في العالم ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا ليس هو في العالم صدقوا وأبطلوه الا انهم يلزمهم قول فاحش وهوانهم يقولون ان جميع العالم مركب من اجزاء لا تتجزأ والكل ليس هو شيئا غير تلك الاجزاء فان كانت تلك الاجزاء ليست في العالم فالعالم عدم ليس في العالم وهذا تخليط كاترى وان قالوا بل هو في العالم قلناهم لا يغفلوا ان كان في كرة العالم من ان يكون أماقنا بنفسه حاملا واما ان يكون عمولا غير قائم بنفسه لا بد ضرورة من احد الامرين اذ ليس العالم كله الاطي هذين القسمين فان كان عمولا غير قائم بنفسه فهو عرض من الاعراض وان كان حاملا قائما بنفسه ذا مكان فهو جسم وثم يقال لهم اخبرونا عن الجزء الذي ذكرتم انه لا يتجزأ أهو طى قولكم في مكان لانه بعض من ابعاض الجسم هل الملاقى منه للمشرق هو الملاقى للمغرب ام غيره وهل المحازى منه للسماء هو المحازى منه للارض أم هو غيره فان قالوا كل ذلك واحد والملاقى منه للمشرق هو الملاقى منه للمغرب والمحازى منه للسماء هو المحازى منه للارض أتوا باحدى المظانم وجعلوا جهة المشرق منا هي جهة المغرب وجعلوا السماء والارض منه في جهة واحدة وهذا حتى لا يبلغه الاالموسوس ومكابرة العيان لا يرضاها لنفسه سالم البنية وان قالوا بل الملاقى منه للمشرق هو غير الملاقى منه للمغرب وان السماء والارض منه في جهتين متقابلتين فوق وأسفل صدقوا وهكذا جهة الجنوب والشمال فاذ ذلك كذلك بلاشك فقد صرح انه ذو جهات ست متغايرة وهذا اقرار منهم بانه ذو اجزاء اذ قطعوا بان الملاقى منه للمغرب غير الملاقى منه للمشرق ومن للتبعض وبطل قولهم من قرب والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فان ارادوا الزامنا مثل هذا في العرض قلنا ليس للعرض جهة ولا له مكان ولا يقوم بنفسه ولا يحاذي شيئا وانما يحاذي الاشياء حامل العرض لا العرض اذ لو ارتفع العرض لبقى حامله مالم يكن كما كان محاذيا من جميع جهاته ما كان يحاذي حين حمله للعرض سواء سواء ولو ارتفع في قولكم الجزء الذي لا يتجزأ لبقى مكانه خاليا منه وقد اوضحنا ان عرضين واعراضا تكون في جسم واحد في جهة واحدة منه وم لا يختلفون في ان جزئين كل واحد منهما لا يتجزأ فلا يمكن البتة ان يكونا جميعا في مكان واحد بل لكل واحد منهما عدم مكانا غير مكان الآخر وبرهان آخر وهوانهم يقولون ان الجزء الذي لا يتجزأ لا طول له ولا عرض ولا عمق فنقول لهم والله تعالى التوفيق اذا ضفت الى الجزء الذي لا يتجزأ عندكم جزءا آخر مثله لا يتجزأ اليس قد حدث لها طول فلا بد من قولهم نعم لا يختلفون في ذلك ولو انهم قالوا لا يحدث لها طول للزمهم مثل ذلك في اضافة جزء ثالث ورابع واكثر حتى يقولوا ان الاجسام العظام لا طول لها ويحصلوا في مكابرة العيان فنقول لهم اذا قلتم ان جزءا لا يتجزأ لا طول له اذا ضم اليه جزء آخر لا يتجزأ ولا طول له فايها يحدث له طول فقولوا لنا هل يخلو هذا الطول الحادث عندكم من احدو الثلاثة اوجه لا رابع لها ما ان يكون هذا الطول لاحدهما دون الآخر اولوا احد منهما او لكليهما فان قلتم ليس هذا الطول لهما ولا لواحد منهما فقد ارجعتم طولا لا طوليل وطولا قائما بنفسه والطول عرض والعرض لا يقوم بنفسه وصفة والصفة لا يمكن ان توجد الا في موصوف بها ووجود طول لا طوليل مكابرة ومحال وان قلتم ان ذلك الطول هو لاحد الجزئين دون الآخر فقد احلتم واتيتم بما لا شك بالحس وضرورة العقل في بطلانه ولزمكم ان الجزء الذي لا يتجزأ له طول واذا كان له طول فهو بلاشك يتجزأ وهذا ترك منكم لقولكم مع انه ايضا محال لانه يجب من هذا انه يتجزى ولا يتجزى وان قلتم ان ذلك الطول للجزئين معا صدقتم واقررتهم بالحق في ان كل جزء منهما قلته حصته من الطول والحصته من الطول طول بلاشك واذا كان كل واحد منهما له طول فكل واحد منهما يتجزأ وهذا خلاف قولكم انه لا يتجزى وهذا

برهان ضروري أيضا لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق برهان آخر :

﴿قال ابو محمد﴾ ونقول لهم أيما أطول جزآن لا يتجزأ كل واحد منهما وقد ضم أحدهما الى الآخر أم أحدهما غير مضموم الى الآخر فلا يجوز ان يقول أحد الان الجزئين المضمومين أطول من أحدهما غير مضموم الى الآخر فاذ ذلك كذلك فمن المحال المتع الباطل ان يقال في شيء هذا أطول من هذا الا وفي الآخر طول دون طول ماهو أطول منه فقد صح ضرورة ان الطول موجود لكل جزء قالوا فيه انه لا يتجزأ واذا كان له طول فهو منقسم بلا خلاف من أحد منا ومنهم وهكذا القول في عرضهما ان ضم أحدهما الى الآخر وفي عمقهما كذلك ولا بد من ان يكون لكل واحد منهما حصة من العرض والعمق واذ ذلك كذلك ضرورة فكل جزء قالوا فيه انه لا يتجزأ فلا بد من ان يكون له طول وعرض وعمق واذ ذلك كذلك فهو جسم يتجزأ ولا بد وهذا أيضا برهان ضروري لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق * وقد رام أبو الهذيل التخلص من هذا الالتزام فبعد ذلك عليه لانه رام محالا فقال ان الطول الحادث للجزئين عند اجتماعهما إنما هو كالاجتماع الحادث لهما ولم يكن لهما ولا لاحدهما اذ كانا منفردين

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا تمويه ظاهر لان الاجتماع هو ضم أحدهما الى الآخر نفسه ليس هو شيئا آخر ولم يكونا قبل الضم والجمع مضمومين ولا مجتمعين وليس معنى الطول والعرض والعمق كذلك بل هو شيء آخر غير الضم والجمع وإنما هو صفة للطويل مضموما كان الى غيره او غير مضموم ولا يوجب الجمع والضم طولاً لم يكن واجبا قبل الضم والجمع فلم يزد أبو الهذيل على ان قال لما اجتماعا صار مجتمعين وصارا طويلين وهذه دعوى فاسدة ونظر منحل لان قوله لما اجتماعا صار مجتمعين صحيح لاشك فيه وقوله وصارا طويلين دعوى مجردة من الدليل جملة وما كان هكذا فهو باطل وأيضا فان الاجتماع لما حدث بينهما بطل معنى آخر كان موجوداً فيها وهو الافتراق الذي هو ضد الاجتماع فاخبرونا اذا حدث الطول بزعمكم فاي شيء هو المعنى الذي ذهب بوجود الطول وعاقبة الطول ولا سبيل لهم الى وجوده فصيح ان الطول كان موجودا في كل جزء على انفراده وكذلك العرض والعمق ثم لما اجتماعا زاد الطول والعرض والعمق وهكذا أبدى الله تعالى التوفيق وهذا هو الذي تشهد له الحواس والملاحظة والعقل والحمد لله رب العالمين * وبرهان آخر وهو ان الجرم ان كان أحمر فكل جزؤ من أجزائه أحمر بلا شك فان قالوا ليس أحمر فلناهم فعله أخضر أو أصفر أو غير ذي لون وهذا عين المحال لان الكل قدينا انه ليس هو شيئا غير أجزائه فلو كان لون أجزائه غير لونه كله لكان لونه غير لونه وهذا محال فاذ لاشك فيما ذكرنا فالجزؤ الذي يدعون انه لا يتجزأ هو ذولون بلا شك واذ هو ذولون فهو جسم لا يعقل غير ذلك فهو يتجزأ

﴿قال ابو محمد﴾ وقالت الاشعرية ههنا كلاما ظريفا وهو انهم قالوا هو ذولون واحد

﴿قال ابو محمد﴾ كل ملون فهو ذولون واحد لا ذوالوان كثيرة الان يكون أبلق او موشى برهان آخر ان وجود شيء في العالم قائم بنفسه ليس جسما ولا عرضا ولا قابلا للتجزؤ ولا طول له ولا عرض ولا عمق فهو محال ممتنع اذ هذا المذكور ليس شيئا غير الباري تعالى وجل تعالى ان يكون له في العالم شبه وبهذا بان عز وجل عن مخلوقاته ولم يكن له كفوا احد وليس كمثله شيء برهان آخر

﴿قال ابو محمد﴾ كل شيء يحتمل ان يكون له اجزاء كثيرة فبالضرورة تدري انه يحتمل ان يجزأ الى اقل منها هذا ما لا تخالف العقول والاحساس فيه كشيء احتمل ان يقسم على اربعة اقسام فلا شك انه يحتمل ان يقسم على ثلاثة وعلى اثنين وهكذا في كل عدد ومن دافع في هذا فانما يدفع الضرورة ويكابر العقل فلو اوقت خطأ من ثلاثة اجزاء كل جزء منها

لا يتجزأ على قولهم أو يعمل ذلك الخط من عشرة أجزاء . وكذلك . من ألف جزء كذلك أو مما زاد
فانه لا يختلف احد في ان الخط الذى هو من ثلاثة اجزاء فانه ينقسم اثلاثا في موضعين وان الذى هو
اربعة اجزاء فانه ينقسم ارباعا في ثلاثة مواضع وان الذى من ألف جزء فانه ينقسم اعشارا ونصفين
واذ لا شك في هذا فيبين لاجيد عنه يدري كل ذي حس سليم ولوانه عالم اوجاهل ان ما ينقسم اثلاثا
فانه ينقسم نصفين مستويين وما ينقسم ارباعا فانه ينقسم اثلاثا مستوية وان ما كان من الخطوط فله اعشار
واخماس ونصف واثلاث واسداس واسباع متساوية فاذا لا شك في هذا فان انقسمة لابدان تقع في
نصف جزء منها او في اقل من نصفه فصيح ان كل جسم فهو يتجزأ ضرورة وان الجزء الذى لا يتجزأ باطل
ممدوم من العالم وهذا مالا يخص لهم منه وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر

(قال أبو محمد) بلا شك نعلم ان الخطين المستقيمين المتوازيين لا يلتقيان أبدا ولو مدا عمر العالم ابدا
بلانهاية — وانك ان مددت من الخط الاعلى الى الخط المقابل له خطين مستقيمين متوازيين قام منهما
مربع بلا شك □ فاذا اخرجت من زاوية ذلك المربع خطا منحدرام هـ ناك الى الخط الاسفل
فان تلك الخطوط المخرجة من الضلع لى ذكرنا وتلك الخطوط المخرجة من الزاوية لا تمر مع الخط
الاعلى ابدا لانها غير موازية له فاذا ذلك كذلك فذلك الضلع منقسم ابدا لا بدما اخرجت الخطوط
بلانهاية * برهان آخر

(قال أبو محمد) وبالضرورة ندري ان كل مربع متساوي الاضلاع فان الخط القاطع من الزاوية
العليا الى الزاوية السفلى التى لا يوازها يقوم منه في المربع مثلثان متساويان □ وانه لا شك اطول من كل
ضلع من اضلاع ذلك المربع على انفراد فساوهم عن مائة جزء لا تتجزأ ربت متلاصقة عشرة عشرة
فبالضرورة نجد فيها ما ذكرنا فيبين نعلم حينئذ ان كل جزء من الاجزاء المذكورة لولاً أن له طولاً وعرضاً
لما كان الخط المار بها القاطع للمربع القائم منها على مثلين متساويين أطول من الخط المار بكل جهة من
جهات ذلك المربع على استواء وموازية للخطوط الاربعة المحيطة بذلك المربع وهو أطول منه بلا شك
فصيح ضرورة أن اسكل جزء منها طولاً وعرضاً وأن ماله طول وعرض فهو متجزأ بلا شك فصيح
ايضا بمآذ كونا أن كل جزء مر عليه الخط المذكور فقد انقسم □ برهان آخر وايضا فالتا لو
اقتنا خطا من اجزاء لا تتجزأ على قولهم مستقيما ثم ادرناه حتى يلتقي طرفاه ويصير دائرة فبالضرورة
يدري كل ذي حس سليم ان الخط اذا دبر حتى يلتقي طرفاه فان ما قبل من اجزائه مركز الدائرة اضعف مما
قابل منها خارج الدائرة فاذا ذلك كذلك فهذا لازم في هذا الخط المدار بلا شك واذا لا شك في هذا فقد
فضل من احدى طرفي الجزء الذى لا يتجزأ عندهم فضلة على طرفه الآخر وهكذا كل جزء من تلك
الاجزاء بلا شك فصيح ضرورة أنه محتمل للانقسام ولا بدو بالله تعالى التوفيق * برهان آخر نساوهم عن
دائرة قطرها احد عشر جزءاً لا يتجزأ كل واحد منها عندهم أو أى عدد شئت على الحساب فادرنا أن
نقسمها بنصفين على السواء ولا خلاف في أن هذا ممكن فبالضرورة ندري أن الخط القاطع على قطر الدائرة
من المحيط الى ما قبله من المحيط مارا على مركزها لا يقع البتة الا في انصاف تلك الاجزاء فصيح ضرورة أنها تتجزأ
ولولم يمر ذلك الخط على أنصافها لما قسم الدائرة بنصفين وبالله تعالى التوفيق * و برهان آخر وهو أن
نساوهم عن الجزء الذى لا يتجزأ الذى يحققونه اذا وضع على سطح زجاجة ملساء مستوية هل له حجم زائد
على سطحها أم لا حجم له زائد على سطحها فادروا لا حجم له زائد على سطحها أعدموه ولم يجعلوا له مكانا

ولا جماعوه متمكنا أصلا فتسالمهم عن جزئين جملا كذلك فلا بد من قولهم ان لهما حجما فتسالمهم عن ذلك الحجم ألهما معا أم لاحدهما فاي ذلك قالوا أثبتوا ولا بد الحجم لهما وللجزء الذي هو احدهما وإذا كان للجزء الذي لا يتجزأ حجم زائد فالذى لا شك فيه أن له ظللا وإذا صح بقينا ان له ظللا فلا شك في ان الظل يزيد وينقص ويمتد ويتقلص ويذهب اذا سامتته الشمس فاذ ذلك كذلك فيبين ندرى ان ظله ينقص حتى يكون اقل من قدره واذ ذلك فقد ظهر ووجب ان له تجزيا ومقدارا متبعضا وبرهان آخر وهو اننا نسالمهم عن جزؤ لا يتجزأ من الحديد أو من الذهب وجزؤ لا يتجزأ من خيط قطن هل ثقلها ووزنها سواء ام الذى من الذهب أو الحديد أثقل من الذى من القطن فان قالوا ثقلها ووزنها سواء كبروا لزومهم هذا في ألف جزؤ كذلك من الذهب انهما ايستا أثقل من ألف جزؤ من القطن مجتمعة كانت الاجزاء أو متفرقة وهذا جنون ومكابرة وان قالوا بل لذى من الذهب اوزن وانقل صدقوا وأوجبوا ان له تجزيا يتفاضل الوزن ضرورة ولا بد

﴿قال أبو محمد﴾ فهداه براهين ضرورية قاطعة بان كل جزء فهو يتجزأ أبدا بلانهاية وان جزاء لا يتجزأ ليس في العالم أصلا ولا يمكن وجوده بل هو من المحال ليمتنع وبالله تعالى التوفيق
﴿قال أبو محمد﴾ أما أبو الهذيل فخلط في هذا الباب وحق لمن رام نصر الباطل ان يخلط فقال ان الجزء الذى لا يتجزأ ذو حركة وسكون يتعاقبان عليه وانه يشغل مكانا لا يسع فيه معه غيره وانه اقرب الى السماء من مكانه الذى هو عليه من الارض وهذا غاية التناقض اذا ما كان هكذا فله مساحة بلا شك وهو ذو جهات ست للمساحة أجزاء من نصف وثلاث واقل وأكثر وما كان ذا جهات فالذى منه في كل جهة غير الذى منه في الجهة الاخرى بلا شك وما كان هذا فهو محتمل للتجزى بلا شك وما عدا هذا فوسواس نعوذ بالله منه

(قال أبو محمد) في تخليطهم هذا اختلافا ظريفا أيضا فاجمعوا انه اذا ضم جزؤ ولا يتجزأ الى جزؤ لا يتجزأ فنصار اثنين فقد حدث لهما طول ثم اختلفوا متى يصير جسما له طول وعرض وعمق فقال بعضهم اذا صار جزئين صار جسما وهو قول الاشعرية وقال بعضهم اذا صار أربعة أجزاء وقال بعضهم بل اذا صار ستة أجزاء واتفقوا على انه اذا صار ثمانية أجزاء فقد صار جسما له طول وعرض وعمق وكل هذا يخلط ناهيك به وجهل شديد كان الاولى باهله ان يتعلموا قبل ان يتكلموا بهذه الحماقات برهان ذلك انهم لم يختلفوا انهم اذا صنفوا أربعة أجزاء لا يتجزأ ونحتها أربعة أجزاء لا يتجزأ فانه قد صار عندهم الجميع من هذه الاجزاء جسما طويلا عريضا عميقا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا الذى طابت نفوسهم عليه وأنست عقولهم اليه في الثمانية وسهل على بعضهم دون بعض في ثلاثة اجزاء نحتها ثلاثة أجزاء أو في جزئين نحتها جزآن ومنموا كلهم من ذلك في جزؤ على جزؤ حاشا الاشعرية فانه بعينه موجود على اصولهم المخدولة واقوالهم المردولة في جزؤ على جزؤ على جزؤ سواء سواء بعينه وذلك ان أربعة أجزاء على أربعة أجزاء فانما الحاصل منها جزء على جزء فقط من كل جهة فاذا جمعوا الاربعة على الاربعة طولا فانما جعلوه في جزؤ الى جنب جزؤ كذلك فعلوا في العرض وكذلك فعلوا في العمق واذا هو كذلك والطول عندهم يوجد في جزء الى جنب جزء والعرض يوجد جنب الطول لان العرض لا يكون أكثر من الطول أصلا والعمق موجود فيهما أيضا فظهر ان لكل جزء منها طولا وعرضا وعمقا ومكانا وجهات ووجب ضرورة بهذا انه يتجزأ ولا حجه لهم وخطبهم وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ فإذا قد بطل قولهم في الجزء الذي لا يتجزأ وفي كل ما أوجبوه انه جوهر لا جسم ولا عرض فقد صح ان العالم كله حامل قائم بنفسه ومحمول لا يقوم بنفسه ولا يمكن وجود أحدهما متخلبا فالمحمول هو المرض والحامل هو الجوهر وهو الجسم سمه كيف شئت ولا يمكن في الوجود غيرها وغير الخالق لها تعالى وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقال هؤلاء الجهال ان المرض لا يبقى وقتين وانه لا يحمل عرضا
﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد كلمناهم في هذا وتقرينا كتبهم فما وجدنا لهم حجة في هذا أصلا أكثر من ان بعضهم قال لو بقي وقتين لشغل مكانا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذه حجة فقيرة الى حجة ودعوى كاذبة نصر بها دعوى كاذبه ولا عجب أكثر من هذا ثم لو صحت لهم لازمهم هذا بعينه فما جوزوه من بقاء المرض وقتا واحدا ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال لو بقي المرض وقتا واحدا لشغل مكانا ويقتن يدري كل ذى حس سليم انه لا فرق في اقتضاء المكان بين بقاء وقت واحد وبين بقاء وقتين فصاعدا فان أبطلوا بقاءه وقتا لازمهم انه ليس باقيا أصلا واذا لم يكن باقيا فليس موجودا أصلا واذا لم يكن موجودا فهو معدوم فخلصوا من هذا التخليط على نفى الاعراض ومكابرة العيان ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال بل يبقى وقتين ولا يبقى ثلاثة أوقات اذ لو بقي ثلاثة أوقات لشغل مكانا وكل هذا هوس وليس من أجل البقاء وجب اقتضاء الباقي المكان لكن من أجل انه طويل عريض عميق فقط ولا مزيد وقد قال بعضهم ان الشيء في حين خلق الله تعالى له ليس باقيا ولا قانيا وهذه دعوى في الحق كما سلف لهم ولا فرق وهي مع ذلك لا تعقل ولا يتمثل في الوم ان يكون في الزمان أو في العالم شيء موجود ليس باقيا ولا قانيا

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولا عجب أعجب من حق من قال ان بياض الثلج وسواد القار وخضرة البقل ليس شيء منها الذي كان آتيا بل يفتى في كل حين ويستعيض الف الف بياض وأكثر والف الف خضرة وأكثر هذه دعوى عارية من الدليل الا انها جمعت السخف مع المكابرة

﴿ قال أبو محمد ﴾ والصحيح من هذا هو ما قلناه ونقوله ان الاعراض تنقسم أقساما فمنها ما لا يزول ولا يتوهم زواله لا انفساد ما هو فيه لو أمكن ذلك كالصورة الكلية أو كالطول والعرض والعمق ومنها ما لا يزول ولا يتوهم زواله الا بانفساد حامله كالاسكار في الخمر ونحو ذلك فانها ان لم تكن مسكرة لم تكن خمرا وهكذا كل صفة يجدها ما هي عليه ومنها ما لا يزول الا بفساد حامله الا انه لو توهم زوالا لم يفسد حامله كزرق الازرق وقطس الافطس فلو زال لبقى الانسان انسانا بحسبه ومنها ما يبقى مددا طويلا وقصارا وديمابايل ما هو فيه كسواد الشعر وبعض العلوم والخشونة والاملاس في بعض الاشياء والطيب والنت في بعضها والسكون والعلم وبعض الالوان التي تستحيل ومنها ما يسرع الزوال كحمرة الخجل وكبداهم وليس من الاعراض شيء يفتى بسرعة حتى لا يمكن ان يضبط مدته بقاءه الا الحركة فقط على انها بضرورة العقل والحس ندري ان حركة الجزء من الفلك التي تقطع الفلك بنصفين من شرق الى غرب أسرع من حركة الجزء منه الذي حوالى القطبين لان كل هذين الجزأين يرجع الى مكانه الذي بدأ منه في أربع وعشرين ساعة وبين دائريهما في الكبر ما لا يكون مساحة خط دائرة أو خط مستقيم أكثر منه في العالم ويقتن يدري ان حركة المذعورة في طيرانها أسرع من حركة السلحفاة في مشيها وان حركة المنساب في الحدور أسرع من حركة الماء الجاري في مسيل النهر وان حركة العصر في الجرى أسرع من حركة الماشي نصبح يقينا ان خلال الحركات أيضا

بقاء اقامة يتفاضل في مدته لان الحركات كلها انما هي نقلة من مكان الى مكان فلمتحرك مقابلة ولا بد لكل جرم مر عليه ففي تلك المقابلات يكون التفاضل في السرعة أو في البطء. الا أنه لا يحس أجزاءه ولا تضبط دقائقه الا بالعقل فقط الذي به يعرف زيادة الظل والشمس ولا يدرك ذلك بالحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما فانه حينئذ يعرف بحس البصر كما لا يدرك بالحواس نماء النامي الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكما يعرف بالعقل لا بالحس ان لكل خردلة جزءاً من الانتقال فلا يحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكذلك الشبع والري وكثير من أعراض العالم فتبارك خالق ذلك هو الله أحسن الخالقين وأما قولهم ان المرض لا يحمل العرض فكلام فاسد مخالف للشريعة والطبيعة والعقل والحواس ولا جماع جميع ولد آدم لاننا لا نختلف في أن نقول حركة سريعة وحركة بطيئة وحركة مشرقة وحركة أشد من خضرة وخلق حسن وخلق مسيء. وقال تعالى * ان كيدهم عظيم * وقال تعالى * فصبر جميل * وحسبك فسادا بقول أدى الى هذا ومن أحال على العيان والحس والمقول وكلام الله تعالى فقد فاز قدحه وخسرت ضففة من خالقه

(قال أبو محمد) ولنا نقول ان عرضاً يحمل عرضاً الى ما لانهاية له بل هذا باطل ولكن كما وجد وكما خلق البارئ تعالى ما خلق ولا مزيد وما عدا هذا فرقة دين وضعف عقل وقلة حياء ونعوذ بالله من هذه الثلاث وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ الكلام في المعارف ﴾

(قال أبو محمد) اختلف الناس في المعارف فقال قائلون المعارف كلها باضطرار اليها وقال آخرون المعارف كلها باكتساب لها وقال آخرون بعضها باضطرار وبعضها باكتساب (قال أبو محمد) والصحيح في هذا الباب ان الانسان يخرج الى الدنيا ليس عاقلاً لا معرفة له بشيء كما قال عز وجل * والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً

(قال أبو محمد) فركاته كلها طبيعية كأخذه الشدين حين ولادته ونصرفه تصرف البهائم على حسبها في نالها وطربها حتى اذا كبر وعقل وتقوت نفسه الناطقة وأنست بما صارت فيه وسكنت اليه وبدت رطوباته تجف بدأت تميز الامور في الدار التي صارت فيها فيحدث الله تعالى لها قوة على التفكير واستعمال الحواس في الاستدلال وأحدث الله تعالى لها الفهم بما شاهد وما تخبر به فطريقه الى بعض المعارف اكتساب في أول توصله اليها لانه باول فهمه ومعرفة عرف ان الكل أكثر من الجزء وان جسماً واحداً لا يكون في مكانين وانه لا يكون قاعداً قائماً معاً وهو ان لم يحسن العبارة عن ذلك فان أحواله كلها تقضى تيقنه كل ما ذكرنا وعرف أولاً صحة ما أدرك بحواسه ثم انتجت له بعد ذلك سائر المعارف بمقدمات راجعة الى ما ذكرنا من قرب أو بعد فكل ما ثبت عندنا ببرهان وان كان بعيد الرجوع الى ما ذكرنا فمعرفة النفس به اضطرابية لانه لورام جهده أن يزيل عن نفسه المعرفة بما ثبت عنده هذا الثبات لم يقدر فاذ هذا لاشك فيه فالمعارف كلها باضطرار اذ ما لم يعرف بيقين فأنما عرف بظن وما عرف ظناً فليس علماً ولا معرفة هذا مالا شك فيه الا ان يتطرق الى طلب البرهان بطلب وهذا الطلب هو الاستدلال ولو شاء أن لا يستدل لقد رعى ذلك فهذا الطلب وحده هو الاكتساب فقط وأما ما كان مدركاً باول العقل والحواس فليس عليه استدلال أصلاً بل من قبل هذه الجهات يبعدى كل أحد بالاستدلال وبالرد الى ذلك فيصح استدلاله أو يبطل وحد العلم بالشيء وهو المعرفة به أن نقول العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد وهو اعتقاد الشيء

على ما هو عليه وتيقنه به وارتفاع الشكوك عنه ويكون ذلك اما بشهادة الحواس وأول العقل واما ببرهان راجع من قرب أو من بعد الى شهادة الحواس أو أول العقل واما باتفاق وقع له في مصادفة اعتقاد الحق خاصة بتصديق ما افترض الله عز وجل عليه اتباعه خاصة دون استدلال وأما علم الله تعالى فليس محدودا أصلا ولا يجمعه مع علم الخلق حد فلا حس ولا شيء أصلا وذهبت الاشعرية الى أن علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حد واحد

(قال أبو محمد) وهذا خطأ فاحش اذ من الباطل أن يقع ما لم تنزل النهايات وعلم الله تعالى ليس هو غير الله تعالى على ما بينا قبل وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) قالت طوائف منهم الاشعرية وغيرهم من اتفق له اعتقاد شيء على ما هو به عن غير دليل لكن بتقليد أو تميل بارادته فليس عالما به ولا عارفا به ولكنه معتقد له وقالوا كل علم ومعرفة اعتقاد وليس كل اعتقاد علما ولا معرفة لان العلم والمعرفة بالشئ انما يعبر بهما عن يقين صحته قالوا وتيقن الصحة لا يكون الا ببرهان قالوا وما كان بخلاف ذلك فانما هو ظن ودعوى لا يتقن بها اذ لو جاز ان يصدق قول بلا دليل لما كان قول اولي من قول ولكانت الاقوال كلها صحيحة على تضادها ولو كان ذلك لبطلت الاقوال ولبطلت الحقائق كلها لان كل قول يبطل كل قول سواه فلو صححت الاقوال كلها لبطلت كلها لانه لو كان يكون كل قول صادقا في بطله ما عداه

(قال أبو محمد) فنقول وبالله تعالى التوفيق ان التسمية والحكم ليس الينا وانما هما الى خالق اللغات وخالق الناطقين بها وخالق الاشياء ومرتبها كما شاء لاله الا هو قال عز وجل منكرا على من سمي من قبل نفسه * ان هي الاسماء سميتوها اتم وأبؤكم ما أنزل الله بها من سلطان * وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم فنهى الله عز وجل كل أحد عن أن يقول ما ليس له به علم ووجدناه عز وجل يقول في غير موضع من القرآن * يا أيها الذين آمنوا * وقال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * وقال تعالى * فان تابوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين * فحاطب الله تعالى بهذه النصوص وبغيرها وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مؤمن في العالم الى يوم القيامة وييقن ندري انه قد كان في المؤمنين على عهده عليه السلام ثم من بعده عصرا عصرا الى يوم القيامة المستدل وم لاقل وغير المستدل كمن اسلم من الزنج ومن الروم والفرس والاماء وضعة النساء والرعاة ومن نشأ على الاسلام بتعليم أبيه اوسيده اياه وهم الاكثر والجمهور فسماهم عز وجل مؤمنين وحكم لهم بحكم الاسلام وهذا كله معروف بالمشاهدة والضرورة وقال تعالى * آمنوا بالله ورسوله * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله يؤمنوا بما أرسلت به فصيح يقينا انهم كلهم ما يورون بالقول بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وان كل من صد عنه فهو كافر حلال دمه وماله فلو لم يؤمن بالقول بالايمان الامن عرفه من طريق الاستدلال لكان كل من لم يستدل ممن ذكرنا منها عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وعن القول بتصديقه لانه عند هؤلاء القول ليسوا عالمين بذلك وهذا خلاف القرآن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتماع الامة المتيقن أما القرآن والسنة فقد ذكرناهما وأما اجماع الامة فمن الباطل المتيقن أن يكون الاستدلال فرضا لا يصح ان يكون احد مسلما الا به ثم يغفل الله عز وجل ان يقول لا تقبلوا من أحد انه مسلم حتى يستدل انراه نسي تعالى ذلك او تهمد عز وجل ترك ذكر ذلك اضلالا لعباده وبترك ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم اما عمدا أو قصدا الى الضلال والاضلال وانسيا نالني اهتدى له هؤلاء ونهبوا اليه وهم من مملوءة وجهلا

وسقوطا هذا لا يظنه الا كافر ولا يحققه الا مشرك لما قال قط رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قرية او حلة او حي ولا راع ولا راعية ولا للزنج ولا للنساء لا اقبل اسلامكم حتى أعلم المستدل من غيره فاذا لم يقل عليه السلام ذلك قال قول به واعتقاده افك وضلال وكذلك اجمع جميع الصحابة رضی الله عنهم على الدعاء الى الاسلام وقبوله من كل واحد دون ذكر استدلال ثم هكذا جيلا فجيلا حتى حدث من لا قدر له فان قالوا قد قال الله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * قلنا نعم وهذا حق وانما قاله الله عز وجل ان خالف الحق الذي امر عز وجل الجن والانس بانباة وهكذا القول ان كل من قال قولاً خالف فيه ما امر الله عز وجل بانباة فسواء استدلى بزعمه ولم يستدل هذا مبطل غير معذور الا من عذره الله عز وجل فبا عذره فيه كالمجتهدين من المسلمين بخطا قاصدا الى الحق فقط ما لم يقم عليه الحجة فيعاند واما من اتبع الحق لما كلفه الله عز وجل قط برهانا والبرهان قد ثبت بصحة كل ما امر الله تعالى به فسواء علمه فتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعلمه حسبه أنه عالم بالحق معنقد له موقن به وان جهل برهانه الذي قد علمه غيره وهذا خلق الله عز وجل الايمان والعلم في نفسه كما خلقه في نفس المستدل ولا فرق قال تعالى * اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا * فسامم داخلين في دينه وان كانوا افواجا وما شرط الله عز وجل قط اولا رسوله صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك باستدلال بل هذا شرط من شرط ذلك ممن قذفه ابليس في قلبه وعلى لسانه ليخرجه الى تكفير الامة ولا عجب أعجب من اطباق هذه الطائفة الضالة المخدولة على انه لا يصح لاحد ايمان حتى يستدل على ذلك ولا يصح لاحد استدلال حتى يكون شاكا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم غير مصدق بها فاذا كان ذلك صح له الاستدلال والا فليس مؤمنا فهل سمع باحق أو ادخل في الحق والكفر من قول من قال لا يؤمن احد حتى يكفر بالله تعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم وان من آمن بهما ولم يكفر بهما قط فهو كافر مشرك نبأ الى الله تعالى من كل من قال بهذا

وقال ابو محمد عليه السلام فهذان طريقان لا ثالث لهما كل طريق منها يتقسم قسمين أحدهما من اتبع الذي امره الله عز وجل باتباعه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مؤمن عالم حقاً سواء استدلى أو لم يستدل لأنه فعل ما امره الله تعالى به ثم يتقسم هؤلاء قسمين أحدهما من لم يتبع قط غيره عليه الصلاة والسلام ووافق الحق بتوفيق الله عز وجل فهذا في كل عقد اعتقده اجراءً واما ان يكون حرم موافقة الحق وهو مرید في امره ذلك اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا معذور ماجور اجرا واحدا ما لم تقم عليه الحجة فيعاند ما وهذا نص قوله عليه السلام في الحاكم المجتهد المصيب والمخطئ والطريق الثانية من اتبع غير الذي امره الله باتباعه فهذا سواء استدلى أو لم يستدل هو مخطئ ظالم عاص لله تعالى وكافر على حسب ما جاءت به الديانة في امره ثم يتقسم هؤلاء قسمين أحدهما أصاب ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير قاصد الى اتباعه عليه الصلاة والسلام فيه والاخر لم يصبه فكلاهما لا خير فيه وكلاهما آثم غير ماجور وكلاهما عاص لله عز وجل أو كافر على حسب ما جاءت به الديانة من أمره لانهما جميعا تمديا حدود الله عز وجل فبا أمرهم به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى * ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه * ولا يتفع باصا به الحق اذ لم يصبة من الطريق التي لم يجعل الله طلب الحق وأخذه الا من قبلها وقد علمنا ان اليهود والنصارى يوافقون الحق في كثير كآقارهم بنبوة موسى عليه السلام وكتوحيد بعضهم لله تعالى لما انتفعوا بذلك اذ لم يعتقدوه اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم وكذلك من قلد فقيها فاضلا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عقده أنه لا يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان وافق قوله قول ذلك الفقيه فهذا فاسق بلا شك ان فعله غير معتقد له وهو كافر بلا شك ان اعتدده بقلبه أو نطق به بلسان لمخالفته قول الله تعالى * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * فنفى الله عز وجل عن أهل هذه الصفة الايمان واقسم على ذلك ونحن نفى مانفى الله عز وجل عن نفاه عنه ويقسم على ذلك ونوقن أننا على الحق في ذلك وأما من قلد فقيها فاضلا وقال انما اتبعه لانه اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مخطيء لانه فعل من ذلك ما لم يأمره الله تعالى به ولا يكفر لانه قاصد الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطي للطريق في ذلك ولعله ماجور بنيته اجرا واحدا ما لم تقم الحجة عليه بخطئه فان ذكرنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث فتنة القبر وأما المنافق أو المرتاب فانه يقال له ما قولك في هذا الرجل يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لا ادري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته

(قال أبو محمد) هذا حق على ظاهره كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقول هذا الا المنافق أو المرتاب لا المؤمن الموقن بل المؤمن الموقن ذكر في هذا الحديث أنه يقول هو عبد الله ورسوله أتنا بالهدى والنور أو كلاما هذا معناه أو أخبر قائما أخبر عليه السلام عن موقن ومرتاب لاعتن مستدل وغير مستدل وكذلك تقول أن من قال في نفسه أو بلسانه لولا اني نشأت بين المسلمين لم أكن مسلما وانما اتبع من نشأت بينهم فهذا ليس مؤمنا ولا موقنا ولا متبعاً لمن أمره الله تعالى باتباعه بل هو كافر

(قال أبو محمد) واذا كان قد يستدل دهره كله من لا يوفقه الله تعالى للحق وقد يوفق من لا يسعد بل يقينا لو علم أربابه أو أمه أو ابنته أو امرأته أو أهل الارض يخالفونه فيه لاستحل دماءهم كلهم ولو خير بين أن يلقى في النار وبين أن يفارق الاسلام لاختار أن يحرق بالنار على أن يقول مثل هذا قلنا فاذ هو موجود فقد صبح ان الاستدلال لا معنى له وانما المدار على اليقين والمقد فقط وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) وانما يضطر الى الاستدلال من نازعته نفسه اليه ولم يسكن قلبه الى اعتقاد ما لم يعرف برهانه فهذا يلزمه طلب البرهان حينئذ ليقى نفسه نار او قودها الناس والحجارة فان مات شاكا قبل أن يصبح عند البرهان مات كافرا أخذ في النار أبداً

(قال أبو محمد) ثم نرجع الى ما كنا فيه هل المارف باضطراب ام باكتساب فنقول وبالله تعالى التوفيق أن المعلومات قسم واحد وهو ما عقد عليه المرء قلبه وتيقنه ثم هذا ينقسم قسمين أحدهما حق في ذاته قد قام البرهان على صحته والثاني لم يقم على صحته برهان وأما ما لم يتيقن المرء صحته في ذاته فليس عالما به ولا له به علم وانما هو ظان له وأما كل ما علمه المرء ببرهان صحيح فهو مضطر الى علمه به لانه لا مجال للشك فيه عنده وهذه صفة الضرورة وأما الاختيار فهو الذي ان شاء المرء فعله وان شاء تركه

(قال أبو محمد) فعلنا بحدوث العالم وان له بكل ما فيه خالفا واحدا لم يزل لا يشبهه شيء من خلقه في شيء من الاشياء والعلم بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة كل ما أتى به مما نقله اليها الصحابة كلهم رضى الله عنهم ونقله عنهم الكواف ذمة بمدكاة حتى بلغ اليها ونقله المتفق على عدالة عن مثله وهكذا حتى بلغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كله علم حق متيقن مقطوع على صحته عند الله تعالى لان الاخذ بالظن في شيء من الدين لا يحمل قال

الله تعالى * ان الظن لا يغني من الحق شيئا * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وقال تعالى * انا نحن زلنا الذكروا نأله لحافظون * فصيح ان الدين محفظ لما ضمن الله عز وجل حفظه فنحن على يقين انه لا يجوز أن يكون فيه شك وقد أمر الله تعالى بقبول خبر الواحد العدل ومن الحال ان يامر الله عز وجل بان نقول عليه ما لم يقل وهو قد حرم ذلك أو ان نقول عليه ما لا نعلم انه تعالى قد حرم ذلك بقوله * وان تقولوا على الله ما لا تعلمون * فكل ما أمرنا الله عز وجل بالقول به فنحن على يقين من انه من الدين وان الله تعالى قد سماه من كل دخل وكذلك أخذنا بالزائد من الاثنين المتعارضين ومن الخبرين الثابتين المتعارضين وقد علمنا صحة ان الحق في فعلنا ذلك علم ضرورة متيقن ولا أعجب ممن يقول ان خبر الواحد لا يوجب العلم وانما هو غالب ظن ثم نقطع به ونقول انه قد دخلت في الدين دواخل لا تميز من الحق وانه لا سبيل الى تمييز ما أمر الله تعالى به في الدين مما شرعه الكذابون هذا أمر نؤذي الله منه ومن الرضاء به

﴿قال أبو محمد﴾ وأما ما اجتمعت عليه الجماعات العظيمة من أرائهم مما لم يأت به نص عن الله عز وجل ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل عند الله ييقن لانه شرع في الدين ما لم ياذن به الله عز وجل وقال على الله تعالى ما لم يقله وبرهان ذلك انه قد يعارض ذلك قول آخر قالته جماعات مثل هذه والحق لا يعارض والبرهان لا يناقضه برهان آخر وقد قمنا هذا في كتابنا بالرسوم بكتاب الاحكام في اصول الاحكام فاغنى عن ترداده والحمد لله رب العالمين

﴿قال أبو محمد﴾ نكل من كان من أهل الملل المخالفة فبلغته معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وقامت عليه البراهين في التوحيد فهو مضطر الى الاقرار بالله تعالى وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من قام على شيء ما أى شيء كان عنده برهان ضرورى صحيح وفهمه فهو مضطر الى التصديق به سواء كانت من الملل أو من النحل أو من غير ذلك وانما أنكر الحق في ذلك أحد ثلاثة إما غافل معرض عما صح عنده من ذلك مشتغل عنه بطلب معاشه أو بالترديد من مال أو جاه أو صوت أو لذة أو عمل يظنه صلاحا أو ايثارا للشغل بما يتبين له من ذلك عجزا وضمف عقل وقلة تمييز لفضل الاقرار بالحق أو مسوف نفسه بالنظر كحال كل طبقة من الطبقات الذين نشاهد في كل مكان وكل زمان وامام قلة لاسلافه أو ان نشأ بينهم قد شغلته حسن الظن بمن قلده أو استحسانه لما قلده فيه وغمر الهوى عقله عن التفكير فيما فهم من البرهان قد حال ما ذكرناه بينه وبين الرجوع الى الحق وصرف الهوى ناظر قلبه عن التفكير فيما يتبين له من البرهان ونفر عنه وأوحشه منه فهو اذا سمع برهانا ظاهرا لا مدفع فيه عنده ظنه من الشيطان وغاب نفسه حتى يعرض عنه وقالت له نفسه لا بد ان هاهنا برهانا يبطل به هذا البرهان الذى أسمع وان كنت أنا لا أدريه وهل خفى هذا على جميع أهل ملتي وأهل نحلتي أو مذهبي أو على فلان وفلان وفلان ولا بد انه قد كان عندهم ما يبطلون به هذا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا عام في اكثر من يظن انه عالم في كل ملة وكل نحلة وكل مذهب وليس واحد من هاتين الطائفتين الا والحجة قد لزمته وبهرته ولكنه غلب وساوس نفسه وحماقتها على الحقائق اللائحة له ونصر ظنه الفاسد على يقين قلبه الثابت وتلاعب الشيطان به وسخر منه قلوبهم لشهوته لما هو فيه ان هاهنا دليلا يبطل به هذا البرهان وانه لو كان فلان حيا أو حاضرا لا بطل هذا البرهان وهذا أعظم ما يكون من السخافة لما لا يدري ولا سمع

به وتكذيب لما صح عنده وظهر اليه ونعوذ بالله من الخذلان والثالث منكر بلسانه ما قد تبين صحته بقلبه اما استدامة لرياسة او استدرار مكسب أو طمعا في أحدهما لعله يتم له أو لا يتم ولو تم له لكان خاسر الصفقة في ذلك أو أثر غرورا ذاهبا عن قريب طى فوز الابد أو يفعل ذلك خوف أذى أو عصبة لمن خالف ما قد قام البرهان عنده أو عداوة لفائل ذلك القول الذى قام به عنده البرهان وهذا كله موجود في جمهور الناس من اهل كل ملة وكل نخلة واهل كل رأى بل هو الغالب عليهم وهذا أمر يجدونه من انفسهم فهم يغالبونها

وقال أبو محمد رحمه الله تعالى ويقال لمن قال بمن ينتمى الى الاسلام ان المعارف ليست باضطرار وان الكفار ليسوا مضطرين الى معرفة الحق في الربوبية والنبوة اخبرونا عن معجزات الانبياء عليهم السلام هل رفعت الشك جملة عن كل من شاهدها وحسنت علمها وفصلت بين الحق والباطل فصلا تاما أم لا فان قالوا نعم أقرروا بان كل من شاهدها مضطر الى المعرفة بانها من عند الله تعالى حتى شاهد بصدق من أتى بها ورجعوا الى الحق الذى هو قولنا والله الحمد وان قالوا لا بل الشك باق فيها ويمكن ان تكون غير شاهدة بانهم يحقون قطع بان الانبياء عليهم السلام لم يأتوا ببرهان وان الشك باق في أمرهم وان حجة الله تعالى لم تقع على الكفار ولا لزمهم قطعه تعالى حجة وان الانبياء عليهم السلام انما أنشئوا بشيء ربما قام في الظن انه حق وربما لم يقيم وهذا كفر مجرد من دان به أو قاله وهكذا نسألهم في البراهين العقلية على آيات التوحيد وفي الكواف النافلة اعلام الانبياء عليهم السلام حتى يقرروا بالحق بان حجة الله تعالى بكل ما ظهرت وبهرت واضطرت الكفار كلهم الى تصديقها والمعرفة بانها حق او يقولوا انه لم يتم لله حجة على احد ولا تبين قط لاحد تبين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانما نحن في الاقرار بذلك على ظن الا انه من الظنون قوى وقد يمكن ان يكون بخلاف ذلك ومن قال بهذا فهو كفر مجرد محض شرك لا خفاء به ونعوذ بالله من الخذلان

وقال أبو محمد رحمه الله تعالى ومن انكر ان يكون الكفار وكل مبطل مضطرين الى تصديق كل ما قام به برهان بعد بلوغ اليهم وقال ان ما اضطرت المرء الى معرفته فلا سبيل له الى انكاره اريناه كذب قوله في تكوين الارض والافلاك ومدار الشمس والقمر والنجوم وتناهي مسافة كل ذلك واكثر الناس على انكار هذا ودفعه الحق في ذلك وكذلك من دان بالقياس والرأى او دليل الخطاب وسمع البراهين في ابطالها فهو مضطر الى معرفة بطلان ما هو عليه مكابر لمقله في ذلك مغالط لنفسه مغالب ليقينه مغلب لظنونه

وقال أبو محمد رحمه الله تعالى وعلم الملائكة عليهم السلام وعلم النبيين عليهم السلام بصحة ما جاءتهم به الملائكة واوحى اليهم به واروه في منامهم علم ضرورى كسائر ما ادركوه بحواسهم واوايل عقولهم وكلمهم بان اربعة اكثر من اثنين وان النار حارة والبقل اخضر وصوت الرعد وحلاوة المسلى وتنت الحليث وخشونة القنفذ وغير ذلك ولو لم يكن الامر كذلك لكان عند الملائكة والنبيين شك في أمرهم وهذا كفر بمن اجازه الا ان الملائكة لا علم لهم بشيء الا هكذا ولا ظن لهم اصلا لانهم لا يخطئون ولا ركبوهم من طبائع متخالفة كركب الانسان فان قال قائل فاذا علم كاه باضطرار والاضطرار فعل الله تعالى في النفوس فكيف يوجب الانسان او يذب على فعل الله تعالى فيه قلنا نعم لا شيء في العالم الا خلق الله تعالى وقد صح البرهان بذلك على ما اوردنا في كلامنا في خلق الافعال في ديواننا والحمد لله رب العالمين وما نقل حافظ نصا ولا برهان عقل بالمنع من ان يعذبنا الله تعالى ويؤجرنا على ما خلق فينا والله تعالى يفعل ما يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

(قال أبو محمد) وكيف ينكر أهل النقلة ان يكون قوم يخالفون مام الى المعرفة به مضطرون وم يشاهدون السوفسطائية الذين يبطلون الحقائق جملة وكما يعتقد النصارى وم أمم لا يحصى عددم الاخالفهم ورازقهم ومضلمهم لاله الا هو وفيهم علماء بلوم كثيرة وملوك لهم التدبير الصائبة والسياساب المجبة والاراء المحكمة والفطنة فى دقائق الامور وبصر بفوامضها وهم مع ذلك يقولون ان واحدا ثلاثة وثلاثة واحد وان احد الثلاثة اب والثانى ابن والثالث روح وان الاب هو الابن وليس هو الابن والانسان هو الاله وهو غير اله وابن المسيح اله نام وانسان نام وهو غيره وان الاول الذى لم يزل هو المحدث الذى لم يكن ولا هو هو

(قال أبو محمد) وليس فى الجنون أكثر من هذا واليقينية منهم وهم مئين ألوف يمتقدون ان البارى تعالى عن كفرهم ضرب بالسياط واللطم وصب ونحرومات وسقي الحنظل وبقي العالم ثلاثة أيام بلا مدبر وكاصحاب الحلول وغالية الرافضة الذين يمتقدون فى رجل جالس معهم كالحلاج وابن أبي العزانه الله والاله عندهم قد يبول ويسلج ويمجوع فيا كل ويسطش فيشرب ويمرض فيسوقون اليه الطيب ويقلع ضرسه اذا ضرب عليه ويتضر اذا أصابه دمل ويجماع ويحتجم ويفتصد وهو الله الذى لم يزل ولا يزال خالق هذا العالم كلا ورازقه ومحصيه ومدبره ومدبر الافلاك المميت المحيى العالم بما فى الصدور ويصبروز فى جنب هذا الاعتقاد على السجون والمطابق وضرب السياط وقطع الايدى والارجل والقتل والصلب ومعتك الحریم وفيهم قضاء وكتاب وتجاروهم اليوم الرفوكا يدعى طوائف اليهود وطوائف من المسلمين انز بهم تعالى جسد فى صورة الانسان لحم ودم يمشى ويقعد كالاشربة الذين يقولون ان هاهنا احوالا لا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معلومة ولا مجهولة ولا حق ولا باطل وان النار ليست حارة والثلج ليس باردا وكما يقول بعض الفقهاء واتباعه ان رجلا واحدا يكون ابن رجلين وابن امرأتين كل واحدا منهما امه وهو ابنها بالولادة

(قال أبو محمد) اترى كل من ذكرنا لا تشهد نفسه وحسه ولا يقر عقله بأن كل هذا باطل بلى والذى خلقهم ولكن المواضع التى ذكرنا قبل سهلت عليهم هذا الاختلاط وكرهت عليهم الرجوع الى الحق والاذعان له (قال أبو محمد) وأما العناد فقد شاهدناه من كل رأينا فى المناظرة فى الدين وفى الماملات فى الدنيا أكثر من أن يحصى ممن يلم الحق يقينا ويكابروا على خلافه ونموذ بالله من الخذلان ونساله الهدى والمعصية (قال أبو محمد) لا يدرك الحق من طريق البرهان الا من صفى عقله ونفسه من الشواغل التى قدمنوا نظر من الاقوال كلها نظرا واحدا واستوت عنده جميع الاقوال ثم نظر فيها طالبا لما شهدت البراهين الراجحة رجوعا صحيحا غيره مموه ضروريا الى مقدمات مأخوذة من اوائل العقل والحواس غير مسموح فى شيء من ذلك فهذا مضمون له بمون الله عز وجل الوقوف على الحقائق والخلاص من ظلمة الجهل وبالله تعالى التوفيق * واما نقله اثنان فصاعدا نوقن انهما لم يجتمعا ولا تساررا فاجبرا بخبر واحد راجع الى ما أدركه بالحواس من أى شيء كان فهو حق بلا شك مقطوع على حقيقته والنفس مضطربة الى تصديقه وهذا قول احد الكافة او لما اذ لا يمكن البتة اتفاق اثنين فى توليد حديث واحد لا يختلفان فيه عن غير تواطؤ واما اذا تواطأت الجماعة العظيمة فقد تجتمع على الكذب وقد شاهدنا بحججهم يشكرون ولا تهم وهم كاذبون الا ان هذا لا يمكن ان ينفقوا على ظنه ابدًا ومن انكر ما تنقله الكافة لزمه ان لا يصدق انه كان فى الدنيا احد قبله لانه لا يعرف كون الناس الا بالخبر

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد يضطر خبر الواحد في بعض الاوقات الى التصديق يعرف ذلك من تدبر امور نفسه كمثذر يموت انسان لدفنه وكرسالة من عند السلطان ياتي بها يريد وككتاب وارد من صديق بديهة وكمخبر يخبرك ان هذا دار فلان وكمثذر يبرس عند فلان وكرسول من عند القاضي والحاكم وسائر ذلك من أخبار بان هذا فلان بن فلان ومثل هذا كثير جدا وهذا لا يضبط باكثر مما يسمع ومن راعى هذا المعنى لم يمض له يوم واحد قطعا حتى يشاهد في منزله وخارج منزله من خبر واحد ما يضطر الى تصديقه ولا بد كثيرا جدا وأما في الشريعة فخير الواحد الثقة موجب للعلم وبرهان شرعي قد ذكرناه في كتابنا الاحكام لاصول الاحكام وقد ادعى المخالفون ان ما اتفقت عليه أمتنا بآرائها فهي مصبوبة بخلاف سائر الامم ولا برهان على هذا وقال النظام ان خبر التواريخ لا يضطر لان كل واحد منهم يجوز عليه الغلط والكذب وكذلك يجوز على جميعهم ومن المحال ان يجتمع ممن يجوز عليه الكذب وممن يجوز عليه الكذب من لا يجوز عليه الكذب ونظر ذلك باعمى وأعمى واعمى فلا يجوز ان يجتمع مبصرون

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تنظير فاسد لان الاعمى ليس فيه شيء من صحة البصر وليس كذلك المخبرون لان كل واحد منهم كما يجوز عليه الكذب كذلك يجوز عليه الصدق ويقع منه وقد علم بضرورة العقل ان اثنين فصاعدا اذا فرق بينهما لم يمكن التمسك بهما ان يتفقا على توليد خبر كاذب يتفقان في لفظه ومعناه فصح انهما اذا اخبرا بخبر فاتفقا فيه انهما اخبرا عن علم صحيح موجود عندهما ومن انكر هذا لزمه ان لا يصدق بشيء من البلاد الغائبة عنه ولا بالملوك السالفين ولا بالانبياء وهذا خروج الى الجنون بلا شك او الى المكابرة في الحس وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل كيف اجزمت ههنا اطلاق اسم الضرورة والاضطرار ومنعتم من ذلك في افعال الفاعلين عند ذكركم الاستطاعة وخلق الله تعالى افعال العباد وكل ذلك عندهم خلق الله تعالى في عبادته قلنا ان الفرق بين الامرين في ذلك لا نصح وهو ان الفاعل متوم منه ترك فعله لو اختار تركه وممكن منه ذلك وليس ممكنا منه اعتقاد خلاف مايقنه بان يرفع عن نفسه تحقيق ما عرف انه احق فهكذا او تعناها هنا اسم الاضطرار ومنعنا منه ههناك وبالله تعالى نتايد

﴿ الكلام على من قال بتكافؤ الادلة ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهب قوم الى القول بتكافؤ الادلة ومعنى هذا انه لا يمكن نصر مذهب على مذهب ولا تغليب مقالة على مقالة حتى يلوح الحق من الباطل ظاهر بينا لا اشكال فيه بل دلائل كل مقالة فهي مكانة لدلائل سائر المقالات وقالوا كلما ثبت بالجدل فانه بالجدل يقضى وانقسم هؤلاء الى اقسام ثلاثة فيما أنتج لهم هذا الاصل فطائفة قالت بتكافؤ الادلة جملة في كل ماختلف فيه فلم تحقق الباري تعالى ولا أبطلته ولا أثبت النبوة ولا أبطلتها وهكذا في جميع الاديان والاهواء لم تثبت شيئا من ذلك ولا أبطلته الا انهم قالوا اننا نوقن ان الحق في احد هذه الاقوال بلا شك الا انه غير بين الى احد البقية ولا ظاهر ولا متميز اصلا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكان اسمعيل بن يونس الاعور الطبيب اليهودي تدل اقواله ومناظراته دلالة صحيحة على انه كان يذهب الى هذا القول لاجتهاده في نصر هذه المقالة وان كان غير مصرح بانه يعتقد ما قالت طائفة اخرى بتكافؤ الادلة فيما دون الباري تعالى فثبت الخالق تعالى وقطعت بانه حق خالق لكل مادونه ييقن لاشك فيه ثم لم تحقق النبوة ولا أبطلتها ولا حققت دين ملة ولا أبطلته لكن قالت ان في هذه الاقوال قولا صحيحا بلا شك الا

انه غير ظاهر الى أحد ولا بين ولا كلفه الله تعالى أحدا وكان اسمعيل بن القراد الطيب اليهودي يذهب الى هذا القول يقينا وقد ناظرنا عليه مصرحا به وكان يقول اذا دعونا الى الاسلام وحسبنا شكوكه وتقضنا علله الانتقال في الملل تلاعب

وقال أبو محمد وقد ذكر لنا عن قوم من أهل النظر والرياسة في النلم هذا القول الا اننا لم يثبت ذلك عندنا عنهم وطائفة قالت بتكافؤ الأدلة فيما دون الباري عز وجل ودون النبوة فقطعت ان الله عز وجل حق وانه خالق الخلق وان النبوة حق وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق لم يظلم قولا من اقوال أهل القبلة على قول بل قالوا ان فيما تحزلا هو الحق بلا شك الا انه غير بين الى أحد ولا ظاهر وأما الأقوال التي صاروا اليها فيما يشبوا عليها منها فطائفة لزمت الحيرة وقالت لا ندري ما نعتقد ولا يمكننا أخذ مقالة لم يصح عندنا دون غيرها من الطالين لانهما مكابرين لمقولنا لكننا لا نكر شيئا من ذلك ولا تثبته وجمهور هذه الطائفة مالت الى اللذات وأمرح النفوس في الشهوات كيف مامالت اليه بطبائها وطائفة قالت على المرء فرض لموجب العقل الا يكون سدا بل يلزمه ولا بد ان يكون له دين يرد جربه عن الظلم والقبائح وقالوا من لا دين له فهو غير مأمور في هذا العالم على الافساد وقتل النفوس غلبة وجبرا وأخذ الاموال خيانة وعصيا والتدنى على الفروج تحيلا وعلاية وفي هذا هلاك العالم بأسره وفساد البنية والحلال النظام وبطلان العلوم والفضائل كلها التي تنقضي العلوم بلزمها وهذا هو الفساد الذي توجب العقول التحرر منه واجتنابه قالوا فمن لا دين له فواجب على كل من قدر على قتله أن يسارع الى قتله واراحة العالم منه وتجبيل استكفاف ضره لانه كالأفسي والمقرب أو أضر منهما ثم انقسم هؤلاء قسمين فطائفة قالت فاذا الامر كذلك فوجب على الانسان لزوم الدين الذي نشأ عليه أو ولد عليه لانه هو الدين الذي تخبره الله له في مبدأ خلقه ومبدأ نشأته بيقين وهو الذي أثبتته الله عليه فلا يحل له الخروج عما رتبته الله تعالى فيه وابتداء عليه أي دين كان وهذا كان قول اسماعيل بن القداد وكان يقول من خرج من دين الى دين فهو وقاح متلاعب بالاديان عاص لله عز وجل المتعبد له بذلك الدين وكان يقول بالمساواة الكلية ومعنى ذلك الا يبقى أحد دون دين يعتقدده على ما ذكرنا آنفا وقالت طائفة لا عذر للبره في لزوم دين أبيه وجده أو سيده وجاره ولا حجة فيه لكن الواجب على كل أحد أن يلزم ما اجتمعت الديانات بأسرها والمقول بكليتها على محتمه وتفضيله فلا يقتل أحدا ولا يزني ولا يلوط ولا يبيع به ولا يسع في افساد حرمة أحد ولا يسرق ولا ينصب ولا يظلم ولا يجر ولا يحن ولا يشن ولا يشب ولا ينم ولا يسفه ولا يضرب أحدا ولا يستطيل عليه ولكن يرحم الناس ويتصدق وؤدي الامانة ويؤمن الناس شره ويعين المظلوم ويمنع منه فهذا هو الحق بلا شك لانه المتفق عليه من الديانات كلها ويتوقف عما اختلفوا فيه ليس علينا غير هذا لانه لم يلح لنا الحق في شيء منه دون غيره

وقال أبو محمد فهذه أصولهم ومعاقدهم وأما احتجاجهم في ذلك فهو انهم قالوا وجدنا الديانات والآراء والمقالات كل طائفة تدعى انها انما اعتقدت ما اعتقدته عن الاولين وبراهين باهرة وكل طائفة منها تناظر الاخرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبها الاخرى في مجلس آخر على حسب قوة نظر المناظر وقدرته على البيان والتحليل والتشعب لهم في ذلك كالمناظرين يكون الظفر سجالا بينهم قالوا فصح انه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان لما أشكل على أحد ولم يختلف الناس في ذلك كما لم يختلفوا فيما ادر كوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا في الحساب وفي كل شيء عليه برهان لا يحج قالوا ومن المحال أن يبدو الحق الى الناس

فمأندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك في الدنيا والاخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل طائفة انما تتبع اماما نشأت عليه واماما يتجمل لاحدهم انه الحق دون تثبيت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من أهل كل ملة وان كان فيها مالا شك في سخافته وبطلانه وقالوا أيضا انا نرى الجماعة الكثيرة قد طلبوا علم الفلسفة وتبحروا ووسموا أنفسهم بالوقوف على الحقائق وبالمخروج عن جملة العامة وبأنهم قد أشرافوا على الصريح بالبراهين وميزوهم من الشغب والافئاع ونجد آخرين قد تمهروا في علم الكلام وافنوا فيه دهرهم ورسخوا فيه وفخروا بأنهم قد وقفوا على الدلائل الصحاح وميزوها من الفاسدة وأنهم قد لاح لهم الفرق بين الحق والباطل الحجج والانصاف ثم نجدهم كلهم يبنى جمع هاتين الطائفتين فلسفيهم وكلاميهم في أديانهم التي يقرون انها نجاتهم او هلكتهم مختلفين كاختلاف العامة واهل الجهل بل أشد اختلافًا فمن يهودى يموت على يهوديته ونصرانى يتهاك على نصرانيته وثليثة ومجوسى يستमित على مجوسيته ومسلم يستقتل في اسلامه ومناى يستهلك في مانويته ودهرى يتقطع في دهريته قد استوى العامى المقلد من كل طائفة في ذلك مع المتكلم الماهر المستدل بزعمه ثم نجد أهل هذه الاديان في فرقهم أيضا كذلك سواء سواء فان كان يهوديا فاما رباني يتقد غيظا على سائر فرق دينه وأما صائبي بلعن سائر فرق دينه وأما عيسوى يسخر من سائر فرق دينه وأما سامرى يبرأ من سائر فرق دينه وان كان نصرانيا فاما ملكى يتهاك غيظا على سائر فرق دينه وأما نطورى يقدا سنا على سائر فرق دينه وأما يثوبى يسخط على سائر فرق دينه وان كان مسلمانا فاما خارجى يستحل دماء سائر اهل ملته وأما معتزلى يكفر سائر فرق ملته وأما شيعى لا يتولى سائر فرق ملته وأما مرجئى لا يرضى عن سائر فرق ملته وأما سنى ينافر فرق ملته قد استوى في ذلك العامى والمقلد الجاهل والمتكلم بزعمه المستدل وكل امرى ممن متكلمى الفرق التي ذكرنا يدعى انه انما أخذ ما أخذ وترك ما ترك يبرهان واضح ثم هكذا نجدهم حتى في الفتيا اما حنيفى يجادل عن حنيفيته واما مالكى يقاتل عن مالكيته واما شافعى يناضل عن شافعيته واما حنبلى يضارب عن حنبليته واما ظاهرى يحارب ظاهريته واما متحير مستدل فهنا لك جاء التجاذب حتى لا يتفق اثنان منهم على مائة مسألة الا في النذرة وكل امرى ممن ذكرنا يزرى على الآخرين وكلهم يدعى انه أشرف على الحقيقة وهكذا القائلون بالدهر أيضا متباينون متباذون مختلفون فيما بينهم فمن موجب ان العالم لم يزل وان له فاعلا لم يزل ومن موجب ازالة الفاعل واشياء أخرجه وان سائر العالم محدث ومن موجب ازالة الفاعل وحدوث العالم ام يطل للنبوات كلها كما اختلف سائر اهل النحل اولا فرق قالوا فصيح ان جميعهم اما متبع للذى نشأ عليه والنحلة التي تربى عليها واما متبع لهواه قد تخيل له انه الحق فهم على ما ذكرنا دون تحقيق قالوا فلو كان للبرهان حقيقة لما اختلفوا فيه هذا الاختلاف ولبان على طول الايام وكرور الزمان ومروور الدهور وتداول الاجيال له وشدة البحث وكثرة ملاقات الخصوم ومناظراتهم واقائهم الاوقات وتسويدهم القراطيس واستنفاد وسممهم وجهدهم أين الحق فيرتفع الاشكال بل الامر واقف بحسبه امتزج في الاختلاف وحدوث التجاذب والفرق قالوا وأيضا فانا نرى المرء الفهم العالم النبيل المتيقن في علوم الفلسفة والكلام والحجاج المستنفذ لعمره في طلب الحقائق المؤثر للبحث عن البرهان على كل ماسواه من لذة أو مال أو جوارح المستفرغ لقوته في ذلك النافر عن التقليد يعتقد مقالة ما وينظر عنها ويحتاج دونها ويدافع امامها ويمادى من خالفها مجدا في ذلك موقفا بصوابه وخطا من خالفه منافرا له مضللا أو مكفرا يبقى كذلك الدهر الطويل

والاعوام الجمة ثم انه تبدوله بادية عنها فيرجع أشد ما كان عداوة لما كان ينصر ولا هل تلك المقالة التي كان يدين بصحتها وينصرف يقاتل في ابطالها وينظر في افسادها ويعتقد من ضلالها وضلال أهلها الذي كان يعتقد من صحتها ويعجب الآن من نفسه أمس وربما عاد الى ما كان عليه أو خرج الى قول ثالث قالوا فدل هذا على فساد الأدلة وعلى تكافؤها جمة وان كل دليل فهو هادم الاخر كلاما يهدم صاحبه وقالوا أيضا لا يخلو من حقيق شيئا من هذه الديانات او المقالات من ان يكون صح له أو لم يصح له ولا سبيل الى قسم ثالث قالوا فان كان لم يصح له باكثر من دعواه أو من تقليده مدعيها فليس هو أولى من غيره بالصواب وان كان صح له فلا يخلو من ان يكون صح له بالحواس أو بعضها أو بضرورة العقل وبديته أو صح له بدليل ماغير هذين ولا سبيل الى قسم رابع فان كان صح له بالحواس أو ببعضها أو بضرورة العقل وبديته فيجب ان لا يختلف في ذلك أحد كما لم يختلفوا فيما أدرك بالحواس وبديته العقل من أن ثلثه أكثر من اثنين وانه لا يكون المرء قاعدا قائما معا بالعقل فلم يبق الا ان يقولوا انه صح لنا بدليل غير الحواس فنسلم عن ذلك الدليل بماذا صح عندكم بالدعوى فليست باولى من غيركم في دعواه أم بالحواس وبديته العقل فكيف خولفتهم فيه هذا ولا يختلف في مدركاته أحد ام بدليل غير ذلك وهكذا ابدا الى ما لا نهاية له قالوا وهذا مالا غلص لهم منه قالوا ونسالهم ايضا عن علمهم بصحة ما عليه ايعلمون انهم يعلمون ذلك ام لا فان قالوا لا نسلم ذلك أحوالوا وسقط قولهم وكفونا مؤثرتهم لانهم يقرون انهم لا يعلمون انهم يعلمون ما علموا وهذا هوس وافساد لما يستقدونه وان قالوا بل نعلم ذلك سالناهم ابلغ علموا ذلك ام بغير علم وهكذا ابدا وهذا يقتضي ان يكون للعلم علم ولعلم العلم علم الى ما لا نهاية له وهذا عندم محال

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا كل ما هو به ما نعلم لهم شغباً غير ما ذكرنا ولهم متعلق سواء اصلا بل قد زدناهم فيما رأينا لهم وتفصيلناه لهم بغاية الجهد كما فعلنا باهل كل مقالة
﴿ قال أبو محمد ﴾ وكل هذا الذي هو به منحل يقين ومنتقض بابين برهان بلا كثير كلفة ولم نجد احدا من المتكلمين السالفين اورد بابا خالصا في النقض على هذه المقالة ونحن ان شاء الله تعالى نتقض كل ما هو به بالبراهين الواضحة وبالله تعالى التوفيق وذلك بعد ان نبين فساد مبادئ هذه الطوائف المذكورة ان شاء الله عز وجل

﴿ قال أبو محمد ﴾ فنقول وبالله تعالى تأييد اما الطائفة المعجبة فقد شهدت على انفسها بالجهل وكفت خصومها مؤنثها في ذلك وليس جهل من جهل حجة على علم من علم ولا من لم يتبين له شيء غبارا على من تبين له بل من علم فهو الحجة على من جهل هذا هو الذي لا يشك احد فيه في جميع العلوم والصناعات وكل معلوم يعلمه قوم ويجهله قوم ولا احق ممن يقول لما جهلت انا امر كذا ولم اعرفه علمت ان كل احد جاهل به كجهل وهذه صفة هؤلاء القوم نفسها ولو ساغ هذا لاحد لبطلت الحقائق وجميع المعارف وجميع الصناعات اذ لكل شيء منها من يجهله من الناس نعم ومن لا يتحجج فيه ولا يفهمه وان طلبه هذا امر مشاهد بالحواس فهم قد اقرؤا بالجهل وندعى نحن العلم بحقيقة ما اعترفوا بجهلهم به فالواجب عليهم ان ينظروا في براهين المدعين للمعرفة بما جهلوه نظرا صحيحا متقصى بغير هوى فلا بد يقينا من ان يلوح حقيقة قول الحق وبطلان قول المبطل فتزول عنهم الحيرة والجهل حينئذ فسقطت هذه المقالة يقين والحمد لله رب العالمين * واما من قطع بان ليس ها هنا مذهب صحيح اصلا فان قوله ظاهر الفساد يقين لا اشكال فيه لانهم اثبتوا حقيقة وجود العالم بما فيه وحقيقة

ما يدرك بالحواس وبأول العقل وبديته ثم لم يصححوا حدوثه ولا أزليته ولا ابطالوا حدوثه وأزليته
 معا ولم يصححوا ان له خالقا ولا انه لا خالق له وأبطالوا كلا الامرين وأبطالوا النبوة وأبطلوا ابطالها
 فقد خرجوا يقينا الى المحال والى ابلح قول السوفسطائية وفاقوا بديسة العقل وضرورته التي قد
 حققوها وصدقوا موجبها اذ لا خلاف بين أحد له مسكة عقل في ان كل مالم يكن حقا فهو باطل ومالم
 يكن باطلا فانه حق وان اثنين قال أحدهما في قضية واحدة في حكم واحد قال نعم والآخر لا فاحدهما
 صادق بلا شك والآخر كاذب بلا شك هذا يعلم بضرورة العقل وبديته واما قول قائل هذا حق باطل
 معا من وجه واحد في وقت واحد وقول من قال لا حق ولا باطل فهو بين باطل معلوم بضرورة العقل
 وبديته فواجب باقرارهم ان من قال ان العالم لم يزل وقال الآخر هو محدث ان احدهما صادق بلا شك
 وكذلك من أثبت النبوة ومن نفاها فظهر بيقين وضرورة العقل يقينا فساد هذه المقالة الا ان يبطلوا
 الحقائق ويلحقوا بالسوفسطائية فيكلمون حينئذ بما تكلم به السوفسطائية مما ذكرناه من قبل وبالله تعالى
 التوفيق وأما من مال الى اللذات جملة فانه ان كان من احدى هاتين الطائفتين فقد بطل عقده وصح يقينا
 انه علي ضلال وخطا وباطل وفساد في اصل معتقده الذي أداه الى الانهماك واذا بطل شيء ييقن قد
 بطل ما تولد منه وان مال الى احد الاقوال الاخر فكلها مبطل للزوم اللذات والانهماك فصح ضرورة
 بطلان هذه الطريقة وان صار الى تحقيق الدهرية كالم بما تكلم به الدهرية مما قد أوضحناه والحمد لله
 واما من قال بالزام المرء دين سلفه والدين الذي نشأ عليه فخطا لا خفاء به لاننا نقول لمن قال بوجوب
 ذلك ولزومه اخبرنا من اوجه ومن ألزمه فلا يحجب والالزام يقتضي فاعلا ضرورة ولا بد منها فمن
 ألزم ما ذكرتم من ان يلزم المرء دين سلفه أو الدين الذي نشأ عليه ألزم ذلك جميع عبادته أم غير الله
 تعالى أوجب ذلك اما انسان واما عقل واما دليل فان قال بل ما ألزم ذلك الا من دون الله تعالى قيل
 له ان من دون الله تعالى مصى مخالف مرفوض لا حق له ولا طاعة الا من اوجب الله عز وجل له
 فيلزم طاعته لان الله اوجبها لالها واجبة بذاتها وليس من اوجب شيئا دون الله تعالى بأولى من آخر
 ابطل ما اوجب هذا وأوجب بطلانه وفي هذا كفاية لمن عقل ولا ينقاد للزوم من دون الله تعالى الا
 جاهل مغرور كالبهيمة تنقاد فتفتاد ولا فرق وان قال ان العقل ألزم ذلك قيل له انك تدعى الباطل على
 العقل اذا دعيت عليه ما ليس في بنيته لان العقل لا يوجب شيئا وانما العقل قوة تميز النفس بها الاشياء على
 ماهي عليه فقط ويعرف ماصح وجوبه مما أوجب من نلزم طاعته مما لم يصح وجوبه مما لم يوجب من
 يجب عليه طاعته ليس في العقل المراد به التمييز شيء غير هذا أصلا وايضا فان قائل هذا مجاهر
 بالباطل لانه لا يخلو ان يكون يزعم ان العقل اوجب ذلك ببديته أو يبرهان راجع الى البدية من
 قرب أو من بعد فان ادعى ان العقل يوجب ذلك ببديته كابر الحس ولم ينتفع بهذا ايضا لانه
 لا يهجز عن التوقع بمثل هذه الدعوى احد في اي شيء شاء وان ادعى انه اوجب ذلك برهان
 راجع الى العقل كلف الجيء به ولا سبيل اليه ابدا فان قال ان الله عز وجل اوجب ذلك سئل
 الدليل على صحة هذه الدعوى التي اضافها الى الباري عز وجل وهذا ما لا سبيل اليه لان
 ما عند الله عز وجل من الزام لا يعرف البتة الا بوحي من عنده تعالى الى رسول من خلقه
 يشهد له تعالى بالمعجزات واما بما يضعه الله عز وجل في العقول وليس في شيء من هذين
 دليل على صحة دعوى هذا المدعي واما احتجاجه بانه هو الدين الذي احتاره الله عز وجل
 لكل احد وانشاء عليه فلا حجة له في هذا لاننا لم نخالفه في ان هذا درب على هذا الدين

وخلقه الله عز وجل مع من دربه عليه بل تهر بهذا كما تقر بان الله خلقا في مكان ما في صناعة ما وعلي ما هو خير منه ولا على انه لزمه لزوم المكان الذي خلق فيه والصناعة التي نشأ عليه والقوت الذي كبر عليه بل لا يختلف اثنان في ان له مفارقة ذلك المكان وتلك الصناعة وذلك الماش الى غيره وان فرضا عليه لزوال عن كل ذلك اذ كان مذموما الى المحمود من كل ذلك وأيضا فان جميع الاديان التي أوجبها كلها هذا القائل وحقق جميعها فكل دين منها فيه انكار غيره منها واهل كل دين منها تكفر سائر اهل تلك الاديان وكلهم يكذب بعضهم بعضا وفي كل دين منها تحريم التزام غيره على كل احد فلو كان كل دين منها لازما ان يعتقده من نشأ عليه لكان كل دين منها حقا واذا كان كل دين منها حقا منها يبطل سائرهما وكل ما يبطله الحق فهو باطل بلا شك فكل دين منها باطل بلا شك فوجب ضرورة على قول هذا القائل ان جميع الاديان باطل وان جميعها حق فجميعها حق باطل معا فبطل هذا القول يبين لاشك فيه والحمد لله رب العالمين واما من قال اني الزم فعل الخير الذي اتفقت الديانات والمقول على انه فضل واجتنب ما اتفقت الديانات والمقول على انه قبيح فقول فاسد موه مضطرب اول ذلك انه كذب ولا اتفقت الديانات ولا المقول على شيء من ذلك بل جميع الديانات الا الاقل منها مجموعون على قتل من خالفهم واخذوا موالم وكل دين منها لا يحاشي ديننا قاتل باحكام هي عند سائرهم ظلم وأما للثانية فانها وان لم تقبل بالقتل فانها تقول بترك النكاح الذي هو مباح عند سائر الديانات ويقولون بإباحة الباطة والسحق وسائر الديانات محرمة لذلك فما اتفقت الديانات على شيء أصلا ولا على التوحيد ولا على ابطاله لكن اتفقت الديانات على تحطئه وتكفيره والبراءة منه اذا لم يعتقده ديننا فيناه بطلب موافقة جميع الديانات حصل على مخالفة جميعها وهذا كذا فليكن السمي المضلل وكذلك طبائع جميع الناس مؤثرة لذات كارهة لما يلتزمه أهل الشرائع والفلاسفة فبطل تعلقهم بشيء يجمع عليه ولم يحصل الاعلى طمع خائب مخالف لجميع الديانات غير متعلق بدليل لاعقلي ولا سمى وقد قلنا ان المقول لا توجب شيئا ولا تقبحه ولا تحسنه وبرهان ذلك أن جميع أهل المقول الايسرا فانهم أصحاب شرائع وقد جاءت الشرائع بالقتل واخذ المال وضرب الانسان وذبح الحيوان فما قال نعت أصحاب المقول أنها جاءت بخلاف ما في المقول ولا ادعى ذلك الا أقل الناس ومن ليس عقله عياراً على عقل غيره ولو كان ذلك واجبا في المقول لوجدته سائر أهل المقول كما قالوا م سواء سواء فصيح ان دعواهم على المقول كاذبة في باب التقييد والتحسين جملة وهذا أكسر عام لنفس أقوالهم والحمد لله رب العالمين ثم نذكر ان شاء الله تعالى البراهين على ابطال حججهم الشبهة الموه بها والله تعالى تاييد

قال ابو محمد (ع) أما احتجاجهم بان قالوا وجدنا أهل الديانات والآراء والمقالات كل طائفة تناظر الاخرى فتتصف منها وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبتها الاخرى في مجلس آخر على حسب قوة المناظر وقدرته على البيان والتجليل والشغب فهم في ذلك كالمختارين يكون الظفر سجلا بينهم فصيح انه ليس هنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أنشك على أحد ولا اختلاف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوا بحواسهم وبداية عقولهم وكما هم يختلفوا في الحساب وفي كل شيء عليه برهان لا نفع واللامح الحق على مرور الزمان وكثرة البحث وطول المناظرات قالوا ومن المحال أن يسدو الحق الى الناس ظاهرا فيما ندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك في الدنيا والآخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل طائفة تتبع أما

مانشات عليه وأما ما يخيل لأحدهم أنه الحق دون تثبت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من كل ملة ونحلة وان كان فيها مالا يشك في بطلانه وسخافته

(قال أبو محمد) هذه جمل نحن نبين كل عقدة منها ونوفيها حقاً من البيان بتصحيح أو إفساد بما لا يخفى على أحد صحته وبالله تعالى التوفيق أما قولهم أن كل طائفة من أهل الديانات والآراء يناظر فينتصف وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبتها الأخرى في مجلس آخر على قدر قوة المناظر وقدرته على البيان والتحليل والشغب والتفويه بقول صحيح إلا أنه لأحجة لهم فيه على ما دعوه من تكافؤ الأدلة أصلاً لأن غلبة الوقت ليست حجة ولا يقنع بها عالم محقق وإن كانت له ولا بلغت إليها وإن كانت عليه وإنما نحتج بها ويغضب منها أهل المحرفة والجهال وأهل الصياح والتهويل والتشنيع القانمون بأن يقال غلب فلان فلانا وإن فلانا لنظار جدال ولا يبالون بتحقيق حقيقة ولا بابطال باطل فصيح إن تغالب المتناظرين لا معنى له ولا يجب أن يعتد به لاسيما تجادل أهل زماننا الذين أمالمهم نوب معدودة لا يتجاوزونها بكلمة وأما أن يغلب الصليب الرأس بكثرة الصياح والتوقع والتشنيع والجمعات وأما كثير المدركوى على أن بلاء المجلس كلاماً لا يتحصل منه معنى وأما الذى يعتقده أهل التحقيق الطالبون معرفة الأمور على ما هي عليه فهو أن يبحثوا فيما يطلبون معرفته على كل حجة احتج بها أهل فرقة في ذلك الباب فإذا نقضوها ولم يبقوا منها شيئاً تأملوها كل حجة حجة فيزوا الشغب منها والاقناعى فاطر حوها وفتشوا البرهاني على حسب المقدمات التى بيناها فى كتابنا الموسوم بالتقريب فى مائة البرهان وتميزه مما يظن أنه برهان وليس ببرهان وفى كتابنا هذا وفى كتابنا الموسوم بالأحكام فى أصول الأحكام فإن من سلك تلك الطريق التى ذكرنا وميزنى المبداء ما يعرف بأول التمييز والحواس ثم ميز ما هو البرهان مما ليس برهاناً ثم لم يقبل إلا ما كان برهاناً راجعاً رجوعاً صحيحاً ضرورياً إلى ما أدرك بالحواس أو يديه التمييز وضرورة فى كل مطلوب يطلبه فإن سارع الحق يلوح له واضعاً ممتازاً من كل باطل دون أشكال والحمد لله رب العالمين وأما من لم يفعل ما ذكرنا ولم يكن وكده الانصر المسألة الحاضرة فقط أو نعر مذهب قد ألفه قبل أن يقوده إلى اعتقاده برهان فلم يجعل غرضه إلا طلب أدلة ذلك المذهب فقط فبعد عن معرفة الحق عن الباطل ومثل هؤلاء غروا هؤلاء المخاذيل فظنوا أن كل بحث ونظو مجرأ هذا المجرى الذى عهدوه ممن ذكرونا فضلوا ضلالاً بعيداً وأما قولهم فصيح أنه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أشكل على أحد ولما اختلف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم وبدابة عقولهم وكما لم يختلفوا فى الحساب وفى كل ما عليه برهان لا يخفى قول أيضاً بموه لأنه كله دعوى فاسدة بلا دليل وقد قلنا قبل فى إبطال هذه الأقوال كلها بالبرهان بما فيه كفاية وهذا لا يمكن فيه تفصيل كل برهان على كل مطلوب لكن نقول جملة أن من عرف البرهان وميزه وطلب الحقيقة غير مايل بهوى ولا ألف ولا تقار ولا كسل فضمون له تمييز الحق وهذا كمن سأل عن البرهان على أشكال إقليدس فإنه لا إشكال فى جوابه عن جميعها بقول مجمل لكن يقال له سل عن شكل شكل شكل تخبر ببرهانه أو كمن سأل ما النحو وأراد أن يوقف على قوانينه جملة فإن هذا لا يمكن بأكثر من أن يقال له هو بيان حركات وحروف يتوصل باختلافها إلى معرفة مراد المخاطب باللغة العربية ثم لا يمكن توقيفه على حقيقة ذلك ولا إلى اثباته جملة إلا بالأخذ معه فى مسألة مسألة وهكذا فى هذا المكان الذى نحن فيه لا يمكن أن نبين جميع البرهان على كل مختلف فيه بأكثر من أن يقال له سل عن مسألة مسألة نبين لك برهانها يحول الله تعالى وقوته ثم نقول

لمن قال من هؤلاء ان ههنا قولاً صحيحاً واحداً لا شك فيه اخبرنا من اين عرفت ذلك ولعل الامر كما
 يقول من قال ان جميع الاقوال كلها حق فان قال لا لانها لو كانت حقاً لكان محالاً ممنوعاً لان فيها
 اثبات الشيء وابطاله معا ولو كان جميعها باطلاً لكان كذلك أيضاً سواء سواء وهو محال ممنوع لان
 فيه أيضاً اثبات الشيء وابطاله معا واذا ثبت اثبات الشيء بطل ابطاله بلا شك واذا بطل اثباته ثبت
 ابطاله بلا شك فاذ قد بطل هذان القولان يبين لم يبق بلا شك الا أن فيه حقاً بعينه وباطلاً بعينه قلنا
 له صدقت واذا الامر كما قلت فان هذا العقل الذي عرفت به في تلك الاقوال قولاً صحيحاً بلا شك به
 تميز ذلك القول الصحيح بعينه مما ليس بصحيح لان الصحيح من الاقوال يشهد له العقل والحواس
 ببراهين ترده الى العقل والى الحواس رداً صحيحاً وأما الباطل فينقطع ويقف قبل أن يبلغ الى العقل
 والى الحواس وهذا بين والحمد لله رب العالمين * واما من ابطال ان يكون في الاقوال كلها قول صحيح
 فقد اخبرنا انه مبطل للحقائق كلها متناقض لانه يبطل الحق والباطل معا وبالله تالمى التوفيق أما قولهم
 لو كان ههنا قول صحيح لما أشكل على أحد ولا اختلف فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم ولا في
 الحساب فان هذا قول فاسد لان اشكال الشيء على من أشكل عليه انما معناه انه جهل حقيقة ذلك
 الشيء فقط وليس جهل من جهل حجة على من علم برهان هذا انه ليس في العالم شيء الا ويجهله بعض
 الناس كالجانيين والاطفال ومن غمرة الجهال والبلدة ثم يتردد الناس في الفهم فيفهم طائفة شيئاً لا تفهمه
 الجانيون وتفهم أخرى ما لا تفهمه هؤلاء وهكذا الى ارفع مراتب العلم فكما اختلف فيه فقد وقف على
 الحقيقة فيه من فهمه وان كان خفي على غيره هذا أمر مشاهد محسوس في جميع العلوم وآفة ذلك ما قد
 ذكرنا قبل وهو اما قصور الفهم والبلادة وأما كسل عن تقصى البرهان وأما لاف او نفاق تعدا بصاحبهما
 عن الغاية المطلوبة أو تمديهاها وهذه دواعي الاختلاف في كل ما اختلف فيه فاذا ارتفعت الموانع لاح
 البرهان يبين فبطل ما شغبوا به والحمد لله رب العالمين * وأما قولهم كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم
 وفي الحساب وفيما أدركوه ببداية عقولهم فقول غير مطرد والسبب في انقطاع اطراذه هو انه ليس في
 أكثر ما يدرك بالحواس وبداية العقول شيء يدعو الى التنازع ولا الى تقليدتها لك في نصره او ابطاله
 وكذلك في الحساب حتى اذا صرنا الى ما فيه تقليد مما يدرك بالحواس أو باوائ التمييز وجد فيه من
 التنازع والمكابرة والمدافعة وجحد الضرورات كالذي يوجد فيما سواء كمكابرة النصاري واستهلاكم
 في ان المسيح له طبعان ناسوتية ولا هوتية ثم منهم من يقول ان تلك الطبعين صارنا شيئاً واحداً
 وصار اللاهوت ناسوتاً تاماً محدثاً مخلوقاً وصار الناسوت أهما تاماً خالفاً غير مخلوق ومنهم من يقول
 امتزجاً كامتزاج العرض بالجوهر ومنهم من يقول امتزجاً كامتزاج البطانة والظاهرة وهذا حق ومحال
 يدرك فساد بول العقل وضرورته وكما تهالك المنانية على ان الفلك في كل أفق من العالم لا يدور الا
 كما يدور الرمح وهذا أمر يشاهد كذبه بالعيان وكما تهالك اليهود على ان النيل الذي يحيط بارض
 مصر وزويلة ومعادن الذهب وان الفرات المحيط بارض الموصل يخرجهما جميعاً من عين واحدة من
 المشرق وهذا كذب يدرك بالحواس وكما تهالك المجوس على ان الولادة من انسان وان مدينة
 واقفة من بنيان بعض ملوكهم بين السماء والارض وكتهالك جميع السامية على ان السماء مستوية
 كالصحيفة لا مقيية مكورة وان الارض كذلك أيضاً وان الشمس تطلع على جميع الناس في
 جميع الارض في ساعة واحدة وتغرب عنهم كذلك وهذا معلوم كذبه بالعيان وكتهالك
 الاشعرية وغيرهم ممن يدعى العلم والتوفيق فيه ان النار لا حر فيها وان الثلج لا بارد فيه وان

الزجاج والحصا لها طم ورائحة وان الخمر لا يسكر وان ههنا احوالا لا معدومة ولا موجودة ولا
 هي حق ولا هي باطل ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هي معلومة ولا مجهولة وهذا كله معلوم كذبه
 وبطلانه بالحواس وباول العقل وضرورته وتخليط لا يفهمه أحد ولا يتشكل في وهم أحد ولو لا اننا
 شاهدنا أكثر من ذكرنا لما صدقنا ان من له مسكة عقل ينطق اسانه بهذا الجنون وكتمالك
 طوائف على ان اسمين يقمان على مسميين كل واحد من ذينك المسميين لا هو الآخر ولا هو غيره
 وكالسوفسطائية المنكرة للحقائق وأما الحساب فقد اختلف له في أشياء من التعديل ومن قطع
 الكواكب وهل الحركة لها أو لا فلاكها وأما الذي لا يخلو وقت من وجوده خطأ كثير من أهل
 الحساب في جمع الاعداد الكثيرة حتى يختلفوا اختلافا ظاهرا حتى اذا حقق النظر يظهر الحق من الباطل
 وهذا نفس ما يمرض في كل ما يدرك بالحواس فظهر بطلان تمويههم وتشبيهم جملة والحمد لله رب العالمين
 وصح ما أنكروه من ان كثيرا من الناس يغيبون عن اعتقاد ما شهدت له الحواس وينكرون أوائل
 المقول ويكبرون الضرورات أما انهم كسلوا عن طلب البرهان وقطعوا بظنونهم وأما لانهم زلوا
 عن طريق البرهان وظنوا انهم عليه وأما لانهم القوا ما مالت اليه أهواؤهم لالف شيء وتفرغ
 آخر وأما قولهم وللأح الحق على مرور الأزمان وكثرة البحث وطول المناظرات فيقال لهم وبالله
 تعالى التوفيق نعم قد لاح الحق وبان ظن الباطل وان كان كل طائفة تدعيه فان من نظر على الطريق
 التي وصفنا صح عنده الحق المدعى من المبطل وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم ومن الحال ان يبدو
 الحق الى الناس فيعاندوه بلا معنى ويرضوا بالملاك في الدنيا والآخرة بلا معنى فقول قاسد لا نا قد
 رأيناهم أتوا أشياء بدا الحق فيها الى الناس فعانده كثير منهم وبدلوا مهجهم فيه وكانهم ما شاهدوا
 الأمر الذي ملا الأرض من المقاتلين الذين يعرفون بقلوبهم ويقررون بالسننهم انهم على باطل يقتتلون
 ويعترفون بانهم بلغوا مهجهم ودماءهم وأموالهم وأديانهم وبنون أولادهم ويرملون نساءهم في قتال
 عن سلطان غائب عن ذلك القتال لا يرجون زيادة درهم ولا يخاف كل امرئ منهم في ذاته تقصيرا به
 لو لم يقاتل أو لم يروا كثيرا من الناس ياكلون أشياء يوقنون بانهم يستضرون بها ويكثرون شرب الخمر
 وهم يقررون انها قد أذنتهم وأفسدت أمزجتهم وانما تؤذيهم الى التلاف وهم يقررون مع ذلك انهم ماصون
 لله تعالى وكم رأينا من الموقنين بخاود العاصي في النار المحققين لذلك يقر على نفسه انه بفعل ما يخلد
 به في النار فان قالوا ان هؤلاء يستلذون ما يفعلون من ذلك قلنا لهم ان استلذاذ من يدين بشيء ما
 يبصره لما يدين به وتعصبيه له أشد من استلذاذ الأكل والشرب لما يدري انه يبلغه من ذلك ثم نقول
 لهم اخبرونا عن قولكم هذا انه ليس ههنا قول سطمت حجته ولو كان لما اختلف الناس فيه أحق وهي
 هذه القضية التي قطعتم بها وهل قولك هذا ظاهر الحجة متيقن الحقيقة أم لا فان قالوا لا أقروا بان
 قولهم لم تصح حجته ولا لاح برهاننا وانه ليس حقا ما قالوه وان قالوا بل هو حق قد لاح حجته
 قلنا لهم فكيف خولتم في شيء لاح حجته حتى صار أكثر أهل الأرض يعمدون عما لا شك فيه عندهم
 وعن ما لاح الحق فيه حتى اعتقدوا فيكم الضلال والكفر واباحة الدم وهذا هو نفس ما أنكروا قد
 صرحوا انه حق والحمد لله رب العالمين وأما احتجاجهم بانتقال من ينتقل من مذهب الى مذهب
 وتهالكه في اثباته ثم تهالكه في ابطاله ورومهم ان يفسدوا بهذا جميع البراهين فليس كما ظنوا لان
 كل منتقل من مذهب الى مذهب فلا يخلو ضرورة من احد ثلاثة اوجه اما ان يكون انتقل من
 خطأ الى خطأ أو من خطأ الى صواب أو من صواب الى خطأ وأي ذلك كان فانما أتى في الانتقالين

الاثنين الذين هما الى الخطا من انه لم يطلب البرهان طلبا صحيحا بل غا جزا عنه باحد الوجوه التي قدمنا قبل وأما الانتقال الى الصواب فانه وقع عليه بمحد صحيح وطلب صحيح أو بمحد ومبحث وهذا يعرض فيما يدرك بالحواس كثيرا فيرى الانسان شخصا من بيد فيظنه فلانا ويحلف عليه ويكابر ويجرد ثم يتبين له أنه ليس هو الذي ظن وقد يشم الانسان رائحة يظنها من بعض الروائح ويقطع على ذلك ويحلف عليه مجدا ثم يتبين له انه ليس هو الذي ظن وهكذا في الذوق أيضا وقد يعرض هذا في الحساب فقد يظن الحاسبون في جمع الاعداد الكثيرة فيقول أحدهم ان الجميع من هذه الاعداد كذا وكذا ويخالفه غيره في ذلك حتى اذا بحثوا بحثنا صحيحا صح الامر عندهم وقد يعرض هذا للانسان فيما بين يديه يطلب الشيء بين متاعه طلبا مرددا المرة بعد المرة فلا يجده ولا يقع عليه وهو بين يديه ونصب عينيه ثم يجده في أقرب مكان منه وقد يكتب الانسان مستمليا أو يقرأ فيصحف ويزيد وينقص وليس هذا بموجب الايصاح شيء. بادراك الحواس أبدا ولا الايصاح وجود الانسان شيئا افتقده أبدا ولا الايصاح جمع الاعداد أبدا ولا الايصاح حرف مكتوب ولا كلمة مقروءة أبدا لا مكان وجود الخطا في بعض ذلك لكن التثبت الصحيح يليق الحق من الباطل وهكذا كل شيء أخطأ فيه ولا بد من برهان يليق الحق فيمن الباطل ولا يظن جاهل ان هذه المعاني كلها حجة لمبطل الحقائق بل هي برهان عليهم لان كل ما ذكرنا لا يختلف حتى أحد في ان كل ذلك اذا نتش نفتشا صحيحا فانه يقع اليقين والضرورة بان الوم فيها غير صحيح وان الحق فيها ولا بد فبطل تعطيلهم بمن يرجع من مذهب الى مذهب ولم يحصلوا الا على ان قالوا انا نرى قوما يحفظون قتلنا لهم نعم ويصيب آخرون قاتلهم بوجود الخطا موجب ضرورة ان ثم صوابا لان الخطا هو مخالفة الصواب ولو لم يكن صوابا لم يكن خطا ولو لم يكن برهانا لم يكن شغب بخلاف للبرهان ثم نعكس استدلالهم عليهم فنقول لهم والله تعالى نتايد فاذ قد وجدتم من يعتقد ما أتم عليه ثم يرجع عنه فهلا قائم ان مذهبكم هذا كالاقوال الاخر التي أبطلتموها من أجل هذا الظن الفاسد في الحقيقة وهو في ظنكم صحيح فهو لكم لازم لانكم صححتموه ولا يلزمنا لاننا لا نصحيحه ولاصححه برهان

(قال أبو محمد) وبهذا الذي قلنا يبطل ما عترضوا به من اختلاف المدعين الفلسفة والمتحلين الكلام في مذاهبهم وما ذكره من اختلاف المختارين أيضا في اختيارهم لاننا لم ندع ان طبائع الناس سليمة من الفساد لكننا نقول ان الغالب على طبائع الناس الفساد فان المنصف لنفسه أولا ثم لخصمه ثانيا الطالب البرهان على حقيقة العارف به فدليل برهانا على هذا ما وجدناه من اختلاف الناس واختلافهم كثيرا دليل على كثرة الخطأ منهم وقد وضعنا ان وجود الخطأ يقتضى ضرورة وجود الصواب منهم ولا بد وليس اختلافهم دليلا على ان لاحقيقة في شيء من أقوالهم ولا على امتناع وجود السبيل الى معرفة الحق والله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بانه لا يخلو من حقق شيئا من الديانات والمقالات والآراء من أن يكون صح له بالحواس أو يبسها أو ببديهة العقل وضرورته أو بدليل من الادلة غير هذين وانه لو صح بالحواس أو بالعقل لم يختلف فيه والزامهم في الدليل مثل ذلك الى آخر كلامهم فهذا كله مقرر قد مضى الكلام فيه وقد أريناهم انه قد يختلف الناس فيما يدرك بالحواس وببديهة العقل كاختلافهم في الشخص يرونه ويختلفون فيه ما هو وفي الصوت يسمعون به بينهم فيما هو ويختلفون فيه وكاقوال التصاري وغيرهم مما يعلم بضرورة العقل فسادهم ثم نقول لهم ان أول المعارف هو ما أدرك بالحواس وببديهة العقل وضرورته ثم ينتج براهين راجعة من قرب

أومن بعد بعد إلى أول العقل أو إلى الحواس فأصححة هذه البراهين فهو حق وما لم تصححه هذه البراهين فهو غير صحيح ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق قولكم هذا باى شيء علمتموه بالعقول أم بالحواس أو بدليل غيرهما فان علمتموه بالحواس أو العقول فكيف خولقتم فيه وان كنتم عرفتموه بدليل فذلك الدليل بما عرفتموه بالحواس أم بالعقول أم بدليل آخر وهكذا أبدا وكل سؤال أفسد حكم نفسه فهو قاسد وعلى ان هذا لهم لازم لانهم صححوه ومن صحح شيئا لزمه ونحن لم نصحيح هذا السؤال فلا يلزمنا وقد اجبتنا عنه بما دفعه عنا وأما هم فلا يخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم نسالهم عن علمهم بما يدعون صحته أنعلمونه أم لا فان قالوا لا فاعلمه بطل قولهم اذا قروا بانهم لا يعلمونه وان قالوا بل نعلمه سالناهم أيعلم علمكم بذلك أم بغير علم وهكذا أبدا فهذا أمر قد أحكنا بيان فساده في باب أفرادنا في ديواننا هذا على أصحاب معمر في قولهم بالمعاني وعلى الاشعرية ومن وافقهم من المعتزلة في قولهم بالاحوال وانما كلامنا هذا مع من يقول بتكافؤ الادلة

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا السؤال نفسه مردود عليهم كما هو ونسالهم أنعلمونه صحة مذهبكم هذا أم لا فان قالوا لا اقروا بانهم لا يعلمون صحته وفي هذا ابطاله والله انما هو ظن لاحقيقة وان قالوا بل نعلمه سالناهم أيعلم تعلمونه أم بغير علم وهكذا أبدا الا ان السؤال لازم لهم لانهم صححوه ومن صحح شيئا لزمه وأما نحن فلم نصححه فلا يلزمنا وقد اجبتنا عنه في بابنا نعلم صحة علمنا بعلمنا ذلك بعينه لا يعلم آخر ونعتل أن لنا عقلا بعقلنا ذلك بنفسه وانما هو سؤال من يبطل الحقائق كلها لا من يقول بتكافؤ الادلة فبطل كل ما هووا به والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ ثم نقول لهم انتم قد اثبت الحقائق وفي الناس من يبطلها ومن يشك فيها وهم السوفسطائية وعلمتم أنهم مخطئون في ذلك براهين صحاح فيبراهين صحاح أيضا صح ما أبطلتموه أو شككم فيه من أن في مذاهب الناس مذهباً صحيحاً ظاهر الصحة فاذا سال عنها أجيب بها في مسألة مسألة

(قال أبو محمد) ويقال لمن قال لكل ذي ملة أو ملة أو مذهب لعلك مخطيء وأنت تظن انك مصيب لان هذا ممكن في كثير من الاقوال بلا شك أخبرنا اني الناس من فسد دماغه وهو يظن انه صحيح الدماغ فان انكر ذلك كابر ودفع المشاهدات وان قال هذا ممكن قيل له لعلك أنت الآن كذلك وأنت تظن انك سالم الدماغ فان قال لا لان هاهنا براهين تصحح اني سالم الذهن قيل له وهاهنا براهين تصحح الصحيح من الاقوال وتبينه من الفاسد فان سال عنها أجبت بها في مسألة مسألة

(قال أبو محمد) فاذا قد بطل ييقين ان تكون جميع أقوال الناس صحيحة لان في هذا أن يكون الشيء باطلا حقا معاً وبطل ان تكون كلها باطلا لان في هذا أيضا اثبات الشيء وضده معا لان الاقوال كلها انما هي نفى شيء يثبت آخر من الناس فلو كان كلا الامرين باطلا لبطل النفي في الشيء واثباته معا واذا بطل اثباته صح نفيه واذا بطل نفيه صح اثباته فكان يلزم من هذا أيضا ان يكون الشيء حقا باطلا معاً ثبت ييقين ان في الاقوال حقا وباطلا واذا هذا لاشك فيه فبا اضرة نعرف ان بين الحق والباطل فرقاً موجوداً وذلك الفرق هو البرهان فمن عرف البرهان عرف الحق من الباطل وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل فانكم محيولون على براهين تقولون ان ذكرها جملة لا يمكن وتامرون بالجد في طلبها فما الفرق بينكم وبين دعاة الاسماعيلية والقرامطة الذين يحيلون على مثل هذا قلنا لهم الفرق بيننا وبينهم برهانان

واضح ان احدهما ان القوم يامرون باعتقاد أقوالهم وتصديقهم قبل أن يعرفوا براهينهم ونحن لا نفعل هذا بل ندعوا الى معرفة البراهين وتصحيحها قبل أن نصدق فيما نقول والثاني أن القوم يكتمون أقوالهم وبراهينهم مما ولا يبيحونها للسب والنظر ونحن نهتف بأقوالنا وبراهيننا لكل أحد وندعوا الى سبرها وتقيسها وأخذها ان صحت ورفضها ان لم تصح والحمد لله رب العالمين ولسنا نقول اننا لا نقدر أن نجد براهيننا بحد جامع مبين لها بل نقدر على ذلك وهو أن البرهان المفرق بين الحق والباطل في كل ماختلفوا فيه أن يرجع رجوعا صحيحا متيقنا الى الحواس او الى العقل من قرب أو من بعد رجوعا صحيحا لا يحتمل ولا يمكن فيه الا ذلك العمل فهو برهان وهو حق متيقن وان لم يرجع كما ذكرنا الى الحواس أو الى العقل فليس برهانا ولا ينبغي ان تشتغل به فانما هو دعوى كاذبة وبالله تعالى التوفيق وبهذا سقط القياس والتقليد لانه لا يقدر القائلون بهما على برهان في تصحيحهم ما يرجع الى الحواس أو الى أول العقل رجوعا متيقنا

(قال أبو محمد) ونحن نقول قولاً كافياً بكون الله وقوته وهو أن أول كل ماختلفت فيه من غير الشريعة ومن تصحيح حدوث العالم وان له محدثاً واحداً لم يزل ومن تصحيح النبوة ثم تصحيح نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان براهين كل ذلك راجعة رجوعاً صحيحاً ضرورياً الى الحواس وضرورة العقل فما لم يكن كذا فليس بشيء ولا هو برهان وان كان ماختلف فيه من الشريعة بعد صحة جملها فان براهين كل ذلك راجعة الى ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى اذ هو المبعوث اليها بالشريعة فما لم يكن هكذا فليس برهانا ولا هو شيئاً في أول ديواننا هذا باب في ماهية البراهين الموصلة الى معرفة الحقيقة في كل ماختلف الناس فيه فاذا أضيف الى هذا ارتفع الاشكال والحمد لله رب العالمين

الكلام في الألوان

(قال أبو محمد) الأرض غبراء وفيها حمراء وفيها بيضاء وصفراء وخضراء وسوداء وموشاة والماء كله أبيض الا أن يكتسب لونا بما استضاف اليه لقرط صفائه فيكتسب لوناً ثانياً أو ما هو فيه وانما قلنا انه أبيض لبراهين * أحدها أنه اذا صب في الهواء بهرق ظهر أبيض صافي الباض * والثاني في أنه اذا جمد فصار تلجاً أو برداً ظهر أبيض شديد البياض وأما الهواء فلا لون له أصلاً ولذلك لا يرى لانه لا يرى الا اللون وقد زعم قوم انه انما لا يرى لا نظايقه على البصر وهذا فاسد جداً وبرهان ذلك أن المرء يغوص في الماء الصافي ويفتح عينيه فيه فيرى الماء وهو منطبق على بصره لاحائل بينهما ولا يرى الهواء في تلك الحال وان استلقى على ظهره في الماء وهذا أمر مشاهد واما الذي يرى عند دخول خط ضياء الشمس من كوة فانما هو ان الاجسام تنحل منها ابداء أجزاء صفار وهي التي تسمى الهباء فاذا انحصر خط ضياء الشمس وقع البصر على تلك الاجزاء الصفار وهي متكاثفة جداً ولونها الغبرة فهي التي ترى لاما سواها ومن تأمل هذا عرفه يقيناً وان البيوت مملوءة من هذا الضياء المنحل من الأرض والثياب والابدان وسائر الاجرام ولكن لدقتها لا ترى الا ان انحصر خط الشمس فيرى ما في ذلك الانحصار منها فقط واما النار فلا ترى ايضاً لانه لا لون لها في فلكتها واما المرئية عندنا في الحطب والفتيلة وسائر ما يحترق فانما هي رطوبات ذلك المحترق يستحيل هو فيه نارياً فتكتسب ألواناً بمقدار ما تعطى طبيعتها فتزاهيها خضراء ولا زوردية وحمراء وبيضاء وصفراء وبالله تعالى التوفيق وهذا يعرض للرطوبات المعول منها دائرة قوس تزح

(قال أبو محمد) أجمع جميع المتقدمين بعد التحقيق بالبرهان على أنه لا يرى إلا الألوان
وإن كل ما يرى فليس إلا لونا وحدوا بعد ذلك البياض بأنه لون يفرق البصر وحدوا السواد بأنه
لون يجمع البصر

(قال أبو محمد) وهذا حد وقعت فيه مساحمة وإنما خرجوه على قول العامة في لون السواد ومعنى يجمع
البصر أنه يقبضه في داخل الناظر ويمنع من انتشاره ومن تشكل المراتب وأذ هذا معنى القبض بلا شك
فهو معنى منع البصر والادراك وكفه ومن هذا سمي المكفوف مكفوفاً فإذا السواد يمنع البصر من
الانتشار ويقبضه عن الانبساط ويكفه عن الادراك وهذا كله معنى واحد وإن اختلفت العبارات
في بيانه فالسواد بلا شك غير مرئي إذ لو رؤي لم يقبض خط البصر إذ لا رؤية إلا بامتداد البصر فإذ
هو غير مرئي فالسواد ليس لونا إذ اللون مرئي ولا بدو ما لم ير فليس لونا وهذا برهان عقلي ضروري
وبرهان آخر حسي وهو أن الظلمة إذا طبقت فلا فرق حينئذ بين المفتوح العينين السالم النظرين
وبين الأعمى المنطبق والمسدود العينين سداً أو كفاً فإذ ذلك كذلك فالظلمة لا ترى ومن الباطل
المتنع أن تكون ترى الظلمة وبالحس نعلم أن المنطبق العينين فيها بمنزلة واحدة من عدم الرؤية
ومع المفتوح العينين فيها والظلمة هي السواد نفسه فمن ادعى أنها متغايران فقد كابر العينان وادعى
مالا يأتي عليه بدليل أبداً ونحن نجد أن لو فتح في حائط بيت مغلق كوتان ثم جعل على أحدهما ستر
أسود وتركنا الأخرى مكشوفة لما فرق الناظر من بعد بينهما أصلاً ولو جعل على أحدهما ستر أحمر
أو أصفر أو أبيض لتبين ذلك للناظر يقيناً من بعد أو قرب وهذا بيان أن السواد والظلمة سواء
وبرهان آخر حسي وهو أن خطوط البصر إذا استوت فلا بد من أن تقع على شيء ما لم يقف فيه
مانع من تمامها ونحن نشاهد من بين يديه ظلمة أو هو فيها لا يقع بصره على حائط إن كان في الظلمة
وسواء كان فيها حائط مانع من تمامي خط البصر أو لم يكن فصح يقيناً أن الظلمة لا ترى بل هي مائة
من الرؤية والظلمة هي السواد والسواد هو الظلمة لم يختلف قط في هذا اثنتان لا بطبيعة ولا بشرية ولا في معنى
المنة ولا بالمشاهدة فقد صح أن السواد لا يرى أصلاً وأنه ليس لونا

(قال أبو محمد) وإنما وقع الخلط على من ظن أن السواد يرى لأنه أحس بوقوع خطوط البصر على
ماحوالي الشيء الأسود من سائر الألوان فعلم بتوسط ادراكه ماحوالي الأسود أن بين تلك النهايات
شيئاً خارجاً عن تلك الألوان فقد رآه ومن هاهنا عظم غلط جماعة ادعوا بظنونهم من الجهة
التي ذكرنا أنهم يرون الحركات والسكون في الأجرام والأمر في كل ذلك وفي الأسود واحد ولا فرق
فإن قال قائل أنه إن كان في جسم الأسود زيادة نائلة سوداء كسائر جسده رأيناها فلو لم تر لم تعلم
بنتوء تلك الهيئة النائلة له على سطح جسده قيل له وبالله تعالى التوفيق هذا أيضاً وهم لأنه لما لم يمتد
خط البصر عند قبض تلك الهيئة النائلة له وامتدت سائر الخطوط إلى أبعد من تلك المسافة وعلمت
النفس بذلك توهم من لم يحقق أن هذه رؤية وليست كذلك وتوهموا أيضاً أنهم يرون السواد
ممازجا لحمرة أو لغبرة أو لظفرة أو لصفرة أو لزرقة فإذا كان هذا هكذا فإن البصر يرى ما في
ذلك السطح من هذه الألوان على حسب قوتها وضمفها فقط فيتوهمون من ذلك أنهم رأوا السواد
ويتوهمون أيضاً أنهم يرونه لأنهم قالوا نحن نميز الأسود البراق البصيص واللبنان من الأسود
الاكدر الغليظ

(قال أبو محمد) وهذا مكان ينبغي أن تثبت فيه فنقول وبالله تعالى التوفيق إن الاملاس

هو استواء أجزاء السطح والخشونة هي تباين أجزاء السطح وقد نجد أمارس لمارس وأمارس كدرا
 فاذ ذلك كذلك فالبيض واللمعان شيء آخر غير استواء أجزاء السطح واذ هو كذلك وهو مرئي
 فالبيض بلا شك لون آخر محمول في الملون بالحمرة أو الصفرة أو سائر الألوان وفيما عرى من جميع
 الألوان سواء فاذا قلنا أسود لمارس فاما نريد انه ليس فيه من الألوان الا اللامعان فقط فهو لون صحيح
 وقد عرى من الحمرة ومن الصفرة ومن البياض والخضرة والزرقة ومما تولد من استزاج هذه الألوان
 ولعل الكدرة أيضا لون آخر مرئي كاللمعان وهي أيضا غير سائر الألوان فهذا ما لا يوجد ما يمنع
 منه بل الدليل يثبت ان الكدرة أيضا لون وهو وقوع البصر عليها وهو لا يقع الا على لون ومن أبي
 من هذا كلفناه أن يحد لنا اللامعان والكدرة فانه لا يقدر على شيء أصلا غير ما قلنا وبالله تعالى التوفيق
 فان قال قائل فانا نرى الثوب الاسود يستبين نسج خيوطه وتتوء ما تتأ منها وانخفاض ما انخفض
 فلولا انه يرى ما علم ذلك كله فالجواب وبالله التوفيق انا قد علمنا ان خطوط البصر تخرج من الناظر
 ولها مساحة ما وبعضها أطول من بعض بلا شك لان الخطوط الخارجة من البصر الى السماء أطول
 من الخطوط الخارجة من البصر الى المجلس لك بلا شك فاما خرجت خطوط البصر الى الثوب المذكور
 انقطع تمامي بعضها أكثر من تمامي البعض فبالجواب علمنا هذا لان بصرنا وقع على لون أصلا وأيضا
 فان النور هو اللون الذي طبعه بسط قوة الناظر واستخراج قوى البصر حتى انه اذا وافق ناظر اضعيف
 البنية بطبعه أو برض اجتلب جميعه واستلبه كله أو اقتطفه فعلى قدر قوة النور في اللون المرئي وضعفه
 فيه يكون وقوع البصر عليه هذا أمر مشاهد بالعيان فكما قل النور في اللون كان وقوع البصر عليه
 أضعف وكانت الرؤية له أقل حتى اذا عدم النور جملة ولم يبق منه شيء فقد بطل بالضرورة أن يمتد
 خطوط البصر اليه وأن يقع الناظر عليه اذ لا نور فيه ولا يختلف ذو حس في العالم في ان السواد المحض
 الخالص ليس فيه شيء من النور فاذا لا شك في هذا فلا شك في انه لا يرى وبالله تعالى التوفيق
 وأيضا فان جبلا ذا لون ما وأرضا ذات لون ما وفيهما غاران مظلمان لا شك ان كل ناظر اليهما فانه
 لا يرى الا ما حول الغارين وانه لا يرى ما ضمه خط الغارين فاذا هذه كلها براهين ضرورية
 مشاهدة حسية عقلية فالبرهان لا يعارضه برهان أصلا والبرهان لا يمارض بالدعوى ولا بالظنون
 والحمد لله رب العالمين وأما من كلام الله تعالى فانه يقول * ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده
 لم يكدرها * وقوله تعالى * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا *
 فصيح يقينا ان الظلمة مانعة من النظر والرؤية جملة وهو السواد بلا شك فهو لا يرى ولا خلاف في
 أن البصر القليل يداوى بالثوب الاسود والقعود في الظلمة وليس ذلك الامتنع من امتداد خط بصره
 فيكل بامتداده وبالله تعالى التوفيق فان قيل السواد غير الظلمة قلنا انا نجد الارمد الشديد الارمد متى
 صار في بيت مظلم شديد الا تطابق لا يدخله شيء من الضوء أمكنه فتح عينيه بحسب طاقته ولم يالم
 بالنظر اليه ومتى جلسنا في بيت مضيء وعلى وجهه وعينه ثوب كثيف جدا أسود أمكنه فتح عينيه
 بحسب طاقته ولم يالم بالنظر اليه وكانت حاله في تغطية وجهه بذلك الثوب كحالته في الظلمة التامة
 سواء سواء وكذلك يعرض للصحيح البصر في الحالتين المذكورتين ولا فرق ومتى جعلنا على بصر
 الارمد ثوبا أبيض ألم ألما شديدا كاله اذا نظر في الضوء ولا فرق فان جعلنا على وجهه ثوبا اصفر
 ألم دون ذلك وان كان أحر ألم دون ذلك فان كان اخضر ألم دون ذلك على قدرهما في اللون من تمازجة
 الباض له فصيح ان السواد والظلام شيء واحد وقال بعض أصحابنا السواد غير الظلمة وهو لا يرى الا ان

الزنجي والغراب والثوب ليس شيء من ذلك اسود وكل ذلك يرى ولون كل ما ذكرنا لون غير السواد الا انه سمي باسم السواد مجازا وقال بعضهم السواد اسم مشترك يقع على الظلمة ويقع على لون الزنجي والغراب والثوب فكل ظلام سواد وليس كل سواد ظلاما فان عنت بالسواد لون الزنجي والغراب والثوب فهو يرى وهو غير الظلمة وان عنت بالسواد الظلمة فهو لا يرى وقال بعضهم الظلمة لا ترى وليست سودا أصلا والسواد شيء آخر غير الظلمة وهو لون يرى وقال بعضهم الظلمة والسواد شيء واحد وكلاهما يرى وأقروا بان الاعمى والا كنه والمفقو العينين والمطبق العينين يرى الظلمة

الكلام في المتوالد والمتولد

(قال ابو محمد) الحيوان كله ينقسم أقساما ثلاثة متوالد ولا بد ولا يتولد ومتولد ولا بد لا يتوالد وقسم ثالث يتوالد ويتولد أيضا قاما المتولد المتوالد فكبنات وردان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكلجعلان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكثير من الحيوان المتولد في النبات وقد رأيناها يتسافد ومثل القمل فانا قد شاهدناه يخرج من تحت الجلد عيانا ويحدث في الرأس وقد يتوالد وقد نجد بعضه اذا قطع مملوء بيضا وأما المتولد الذي لا يتوالد فالحيوان المتولد في أصول أشجار العينين وأصول شعر الشارب واللحية والصدر والعانة وهو ذوا رجل كثيرة لا يفارق موضعه وما علمناه يتوالد أصلا ومثل الصغار المتولد في البطن وشحمة الارض وكل هذا لا نعلمه يتوالد البتة وقد شاهدنا ضفادع صغارا تتولد من لبناتها فتصبح مناقع المياه منها مملوءة ومنها الثلاثندرية وهو حيوان كبير يشبه الجرادين الصغار بطيئة الحركة وحيوانات كثيرة منها صغير مفروط الصغر يكاد لصغره لا يتجزأ مثلما كثيرا رأيناها في الدوى والدفاتر وهو سريع المشي جدا ومنها السوس المتولد في الباقلا والدود المتولد في الجراحات وفي الخوص والبلوط وفي التفاح وبين الحشيش وبين الصنوبر وفي الكنف وهي ذوات الاذنان والحياح المتولد في الخضر وهو في غاية الحسن ومنه ما يضيء بالليل كانه شرارة نار والدود ذوات الارجل الكثيرة والذرايح وهذا كثير لا يحصى لا خالقه عز وجل ومنها الضفادع والحجارب فقد صح عندنا يقينا لا مجال للشك فيه انها تتولد في مناقع المياه دويبات صغار ملس شديدة السواد ذوات اذنان تمشي عندنا ثم صح عندنا كذلك انها تكسر فتقطع اذنانها وتبدل ألوانها وتستحيل أشكالها وتعظم فتصير ضفادع ثم تزيد كبرا واستحالة ألوان فتصير حجارب

(قال ابو محمد) قد رأيناها في جميع تنقلها كما وصفنا وقد عرض علينا في مناقع المياه خطوط ظاهرة قيل لنا انها بيض الضفادع وأما الذباب فقد شاهدناها عيانا تتناكح والانثى منها هي الكبار والذكور هي الصغار وشاهدنا البراغيث تتناكح أيضا والكبار هي الاناث والذكور هي الصغار نشاهد ذلك بان الاعلى هو الصغير أبدا ونجد الانثى مملوءة بيضا اذا وضعت فتلقى بيضاها في القباب وفي خلال أجزاء الثياب ثم يخرج

(قال ابو محمد) وقد رأينا ذبابا صغارا جدا وذبابا كبيرا مفروط الكبر وشاهدنا بأبصارنا الدود الطويل الذنب المتولد في الكنف وزبول البقر والغنم يستحيل فيصير فراشا طيارا مختلف الألوان بديع الخلقة من أبيض وأصفر فاقع وأخضر ولازودي منقط ولا ندرى كيف الحال في العقارب والعناكب والرتيلات والبقوقات والدبر الا اننا ندرى ان دود الحرير يتوالد يتسافد الذكور منها والاناث وتبيض ثم تحضن بيضاها هذا مالا خلاف فيه وما رأى أحد قط دود حرير يتولد من غير بيضه وكذلك النمل فانه يتوالد وقد رأينا بيضه والعرب تسميه المازن وكذلك النحل يتوالد ويوجد في مواضع من

بنائه في تضاعف القبر الذي فيه العسل وكذلك الجراد والعرب تسميه بيضة الصرد
 ﴿قال أبو محمد﴾ وما رأى أحد قط نحلا يتولد ولا تملا يتولد ولا جرادا يتولد الا في اكدوبات لا
 تصح وأما سائر الحيوان فتوالد ولا بد من منى أو بيض فكل ذى أذن بارزة يلد طائرا كان أو غير طائر
 كالغفاش وغيره وكل ما ليس له أذن بارزة فهو يبيض طائرا كان أو غير طائر كالحيات والجراديين والوزغ
 وغير ذلك .

﴿قال أبو محمد﴾ فطلبنا أن نجد حدا يجمع ما يتولد دون ما يتوالد أو ما يتولد دون ما يتولد فلم نجد الا
 اننا رأينا كل ذى عظم وفقارات لا سبيل البتة الى ان يوجد من غير تناكح كحيوان البحر الذي له العظم
 والفقارات ورأينا مالا عظم له ولا فقار فنه ما يتولد ولا يتوالد ومنه ما يتولد ويتوالد وما وكل ذلك خالق
 الله عز وجل يخلق ما شاء كما شاء لا اله الا هو وليست القدرة في الخلق في خلق ما خلقه الله عز وجل
 حيوانا ذا أرج أو ذا ريش من بيضة أو من منى بأعظم من القدرة من خلقها من تراب دون توسط بيضة
 ولا منى ولا البرهان عن الصنع والابتداء في احدهما باوضح منه في الآخر بل كل ذلك برهان على
 ابتداء الخلقه وعلى عظيم القدرة من البارى لا اله الا هو

﴿قال أبو محمد﴾ وقد ادعى قوم انه يتولد في التاج حيوان ويتولد في النار حيوان وهذا كذب وباطل
 وانما قاسوه على تولد حيوان ما في الارض والماء والقياس باطل لانه دعوى بلا برهان وما لا برهان
 له فليس بشيء وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ واذا حصلت الامر فالحيوان لا يتولد من الماء وحده ولا من الارض وحدها ولكن
 مما يجتمع من الارض والماء معا نتبارك الله أحسن الخالقين لا معقب لحكمه لا اله غيره عز وجل *
 تم السفر الثالث بنام جميع الديوان من الفصل في المال والاراء والنحل بحمد الله وشكره على حسن تاييده وعونه *
 وافق الفراغ منه في تسعة أيام خلت من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٨ احدى وسبعين ومائتين بعد الالف * من
 هجرة من له المز والشرف * على بد الفقير الى الله محمد بن موسى غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين وصلى الله
 على سيدنا محمد النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ يقول مصححه الراجى غفران المساوى * محمد محمد ماضى الرخاوى ﴾

الحمد لله الذى نفرد بالتوحيد وتوحد بالازلية والتأيد وتجد بالصمدانية وتقدس عن التولد والتوليد
وجل ذاتا وصفة وفعل عن الضد والشبه والتديد خالق الخلق وباسط الرزق ومدبر الامور ومصرفها
كيف يشاء ويريد بلا همامة ولا فكرة ولا نرو ولا ترويد القائم على كل نفس بما كسبت والرقيب
على خلقه والشهيد الذى لا تنفذ خزائن رحمته ولا يبديد ملكه ولا يعيد أحده وأشكره وأتوب اليه
وأستغفره وأسأله اللطف بما جرت به المقادير وأصلى وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والناصر الحق
بالحق والهادى الى الصراط المستقيم (أما بعد) فقد تم بعون الله سبحانه وتعالى طبع كتاب الفصل فى
الملل والاهواء والنحل للامام أبو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم وان هذا السفر من أنفس الاسفار
التي وضعت للبحث فى الديانات والكتب السماوية وآراء الفلاسفة والخلاف بينهم وبين الملليين والرد
على منكرى الالهية ومعتقى الاديان المخالفة لدين الاسلام وبيان ما طرأ على معتقداتهم من زيف
وتضليل ودخل على كتبهم من تحريف وتبديل . غنى فيه مؤلفه رضى الله عنه بالبحث والتحصيل .
وابراد الادلة والحجاج العقلية والنقلية التى ثبتت باجلى البراهين . وأدغ الحجاج حقيقة الشريعة
المحمدية ووضوح محبتها وخلوصها من كل شوائب التغير والفساد ومثانة أصولها وبعدها عن
كل ما يناهى التوحيد وعصمة الانبياء وسلامة نصوصها من كيد الكائدين وعبث العابثين
وبها مشه كتاب الملل والنحل لابن بو الفتح محمد بن احمد بن القاسم عبد الكريم بن
أبى بكر أحمد الشهرستانى رضى الله عنهم جميعا وتقع بمؤلفاتهم جميع الملة الاسلامية
ووفق أهل الزين والاهواء للدين الحنيف والملة السمحاء هذا وقد
قام بشرح معضلات الفاظه وتبيين كلامه فضيلة الاستاذ
العلامة الشيخ عبد الرحمن خليفة المدرس بمدرسة ماهرباشا
وقد قام بطبعه حضرة الممام السيد محمد على صبيح وذلك
بمطبعته الكائن مركزها بجوار الازهر الشريف
بمصر وكان تمام طبعه وحسن تنسيقه ووضع
فى أواخر شهر ربيع الثانى من شهر
سنة ١٣٤٨ هجرية على صاحبها
أفضل الصلاة وأزكى
التحية آمين

﴿ فهرست الجزء الخامس من كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل ﴾

صفحة	صفحة
٢٩	٢ الممانى التى يسميها أهل الكلام اللطائف
»	والمقام فى السحر والمعجزات
٣١	٩ الكلام فى الجن ووسوسة الشيطان وفعله فى
»	المصروع
٣٥	١١ الكلام فى الطبائع
»	١٢ نبوة النساء
٣٥	»
»	١٤ الكلام فى الرؤيا
»	١٤ » فى أى الخلق أفضل
»	١٨ » فى الفقر والغنى
»	١٩ » فى الاسم والمسمى
»	٢٤ » فى قضايا النجوم والكلام فى ان الفلك
»	والنجوم تعقل أولا
٦٣	» ٢٥ فى خلق الله تعالى للشيء أهو المخلوق
»	نفسه أم غيره
٦٥	» ٢٦ فى البقاء والفناء
»	٢٧ » فى المعدوم أهو شيء أم لا
٦٨	
»	
٧٥	
»	
٦٦	
»	